المحور الثاني

العقيدة

٢٠

القضايا المبدئية والمصيرية الكبرى للإنسان

ماذا أنا؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟

الإمام يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٤ ـ ٧٩].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۞ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۞ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۞ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣٨ ـ ٤٤].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عبد الله بن عباس أن أبا سـفيان بن حـرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسـه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسـبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سـفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا. فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سـائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عنه.

فسأله هرقل وأجاب أبو سـفيان ثم قال هرقل للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وسـألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت: رجل يأتسـي بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أن لا. قلــت: فلو كان من آبائه من ملــك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وســألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا. فقد أعرف أنه لــم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه. وهم أتباع الرســل. وســألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون. وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وســألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا. وكذلك الرســل لا تغدر.

وســألتك: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشــركوا به شــيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فإن كان ما تقول حقًّا، فســيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنــت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. **متفق عليه**

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا الكتاب أكتبه في أواخر حياتي، لا أريد أن أخاطب به المسلمين الذين أنا منهم ابتداءً؛ بل أريد أن أخاطب به غير المسلمين أولًا، سواء أكان لهم دين وثني أو كتابي، أو لم يكن لهم كتاب ولا رسول، أم لم يؤمنوا بأي دين قط، كما هو شأن الملاحدة، الذين لا يؤمنون بإله واحد ولا متعدد، ولا يؤمنون بحياة آخرة بعد هذه الحياة التي نعيشها، فهم لا يؤمنون بأن لهذا الكون إلهًا، ولا بأن لهذا الإنسان روحًا، ولا بأن مع هذه الدنيا آخرة.

لهذا كان لا بد لكل إنسان أن يفكر في أمره بصراحة وشجاعة، أمر نفسه ومصيره: ما هو؟

لا بد لكل من في هذه الدنيا أن يموت، رجلًا كان أو امرأة، غنيًّا كان أو فقيرًا، متعلِّمًا أو أميًّا. فهل الموت فناء محض؟ فلماذا كانت الحياة؟ أم هناك حياة أخرى؟ وما هذه الحياة؟ وهل لها مِنَّا مطالب؟ وما هي؟

لا بد أن يُعمِل الإنسان عقلَه في هذه القضية الكبيرة، التي ينبغي أن تقدَّم على كل القضايا، السياسية والاقتصادية، والعلمية والتِّقنية، التي يبحث فيها الناس ويتكلمون، ويُصدرون توصيات وقرارات، وقد

QaradawiBooks.com

لا يستطيعون أن يصلوا فيها إلى شيء يُجمِع عليه الناس، إذا تأخرت الأفكار وتحكَّمت الأهواء، وتصدرت الشهوات، وغلبت المصالح الشخصية أو الحزبية أو الفئوية.

لا بد للناس أن تؤرقهم وتوقظهم وتتعبهم هذه القضية الكبرى، التي يبحث كل إنسان فيها عن هويته، وعن موقعه في هذا الوجود، وخصوصًا بعد أن يُنقض هذا الكيان القائم، وهو الكون، ويأتي كيان آخر: ماذا له فيه؟

مَن لا يؤمنون بأن لهم ربًّا خلقهم، وخلق هذا الكون، ودبَّره لهم، يعتبرون حياتهم عبثًا، ولغطًا لا معنى له، وسوقًا تقوم وتنفضُّ، ولا شيء وراءها!

وإذا بحث الإنسان في قضية «المصير»، فلا بد أن يجرَّه ذلك إلى قضية «المبدأ»، من أين أتيتُ؟ ومَن جاء بي؟ ومَن الذي جاء بهذا العالم الكبير من فوقي ومن تحتي؟ ولماذا هذه المخلوقات الكثيرة من حولي؟ وما المقصود منها؟

وأما أهل الإيمان بالدين وبالله وبالبعث لحياة أخرى، فيقولون: «**والله لتموتُنَّ كما تنامون، ولتبعثُن كما تستيقظون، ولتحاسبُن بما تعملون، ولتُجْزَوُنَّ بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنها لجنة أبدًا، أو لنار أبدًا**»[1].

هذا ما يقوله المؤمنون بالدار الآخرة، وأن في الآخرة الجنة والنار، دار الخلود الأبدي، دار الثواب لأهل الدين والخير والصلاح، أو دار العقاب لأهل الكفر والسوء والفساد، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

(١) ابن الأثير في الكامل (٦٥٩/١)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. وعلى كل ذي دين، وعلى المسلمين خاصة أن يبلِّغوا مضمون ذلك إلى الأمم الأخرى، والملل الأخرى، وإلى من لا ملة لهم.

وإن كان المسلمون مخاطبين بهذا الكتاب من ناحية: أن عليهم أن يتعلَّموا أن من واجباتهم الأولية التي فرضها عليهم دينهم، وألزمهم بها كتاب ربهم، وسنة نبيهم: أن يدعوا غير المسلمين إلى الإسلام ـ والإسلام هو الدين الذي بُعِثَ به كل الرسل، وأنزلت به كل الكتب ـ وأن يتلوا قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

كل المسلمين مطالبون بذلك، وأهل العلم الشرعي، وأصحاب الدعوة الإسلامية منهم خاصة: مطالبون مطالبة أساسية بدعوة من لا دين لهم، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

نحن ـ المسلمين ـ جميعًا نعلم: أن ديننا منذ بُعِث به نبينا محمد ﷺ بمكة المكرمة دينٌ عالمي، لم يكن يومًا دينًا قوميًّا أو محليًّا، بل هو دين عالمي، أعلن ذلك الرسول الذي أنزل الله عليه كتابه الخالد «القرآن الكريم»، وعلَّمه في هذا القرآن أنه مبعوث إلى الناس كافة، عربِهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم وأصفرهم، شرقيِّهم وغربيهم، شماليهم وجنوبيهم، وهو ما نطق به القرآن العظيم في سوره المكية، أي التي تلاها الرسول بمكة، قبل أن يهاجر إلى المدينة، وقرأها وبلَّغها للناس، وعرف الخاص والعام أنها من القرآن المكي.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

QaradawiBooks.com

والفرقان هو القرآن، الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل.

وقال تعالى يخاطب رسوله محمدًا بصريح العبارة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. هنا حصر القرآن رسالة محمد الذي خاطبه، بأنها رحمة، ولكن ليست للعرب وحدهم، ولا للمسلمين وحدهم، ولكنها للعالمين، كل العالمين.

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

وتكرر في السور المكية وصف القرآن بأنه «ذِكْر للعالمين» أو «ذكرى للعالمين»، ويكفينا قول الله تعالى، الذي ختم به سورة (صٓ): ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [صٓ: ٨٧، ٨٨].

وختم سورة (ن) بقوله عن القرآن: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [ن: ٥٢].

وكذلك جاء في سورة التكوير: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧].

هذه الآيات وغيرها أوجبت على المسلمين أن يعرفوا من قرآنهم: أنهم أمة دعوة، وأن عليهم أن يوصِّلوا إلى العالم في كل مكان وبأي لغة تُتَكلَّم رسالةَ القرآن ودعوةَ الإسلام.

ولذلك يعتبر العلماءُ الناسَ قسمين: أمة الإجابة، وهم الذين استجابوا لنداء الإسلام، وأسلموا، ودخلوا في الإسلام، وأصبحوا مسلمين. وبقية العالم تعتبر: أمة دعوة؛ لأنهم مدعوُّون أبدًا إلى الإسلام.

ولكن هل بلَّغهم المسلمون؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في ظني أن المسلمين مقصِّرون فيما عليهم، وعليهم أن يضاعفوا جهدهم، ويبذلوا أقصى ما يستطيعون، ليحصلوا على غايتهم، أو قليلًا منها، عسى أن يصلوا شيئًا فشيئًا إلى ما يريدون.

ولكنَّ وراءهم مطلوباتٍ كثيرةً، حتى يحققوا ما يهدفون إليه، وأوَّلها إعداد الدعاة القادرين على إيصال الدعوة، بكل لغة إلى الناس، باللغات الفصيحة، وباللغات الدارجة، وبلغة الحديث العادي، وبالدراما والقصة القصيرة، والرواية والمسرحية، وكل ألوان الثقافة، والله هو المعين.

إن البشرية شغلت نفسها بأمور كثيرة، من أجل أوطانها، ومن أجل غيرهم، ومن أجل أمور العيش ومطالب الحياة، ومن أجل أمور أخرى، بعضها يتعلق بالسياسة، وبعضها يتعلق بالثقافة، وبعضها يتعلق بالهُوية.

واختلف الناس فيما بينهم كثيرًا، وتحاربوا وتعادَوْا، وأحيانًا يتفقون، بفعل نزعات الخير في بعض بني الإنسان، واستجابة بعض القادة لها، ثم سرعان ما يغلب الشرُّ الخيرَ، وتعود المعركة كما كانت، ولا يزال الإنسان يعاني من هذه الويلات.

وكنا نتمنى أن تأخذ هذه القضايا الكبرى: القضية المصيرية الأولى، وقضية مبدأ الإنسان، ومبدأ العالم، ومبدأ الحياة، ونحوها من قضايا الإنسان الكبرى؛ حيزًا معقولًا، ومساحة مناسبة من إنتاجات الثقافة العامة، ومن كتابات الأدباء والمفكرين والفلاسفة، ومن محاولات الإعلام الكبيرة التأثير في حياة الناس الشخصية والعامة، المادية والمعنوية. ولكنا للأسف لم نجد في كثير من الإعلاميين الرغبة في الدخول إلى هذا المأزق الذي يعتبرونه خطيرًا.

غير مرخصة للطباعة

نحن نريد من الناس أن ينتبهوا لأنفسهم، وأن يأخذوا القضية مأخذ الجد، وخصوصًا هؤلاء الناس الذين يعيشون آكلين شاربين، لابسين ساكنين، متمتعين بحياتهم القصيرة، غارقين في لذائذهم وشهواتهم، حتى إذا آذنت شمسهم بالغروب، وحياتهم بالأفول، جاءهم الموت الذي يأتي كل الناس من حولهم، وهو أمر محتوم على البشر، طال العمر أو قصر، وإذا الموت قد اختطف هذا الإنسان من دنياه ومن ماله ومن أهله وأقاربه وأصحابه، وهو لا يدري: ماذا بعد ذلك؟ قد يفكر بعضهم في ذلك الوقت ما مصيره فيه؟ ما نهايته؟ ماذا وراء الموت؟ وقد لا يفكر.

مع أن المهم الأكبر للإنسان هو التفكير في مصيره، ومصير كل حي مثله بعد الموت، ماذا يكون هذا المصير؟!

وتفكيرنا في قضية مصير الإنسان، بعد هذه الحياة الدنيا، هو الذي جعلنا ننظر في كل قضايا الإنسان الكبرى، التي فكر الناس فيها من قديم، وسألوا أنفسهم عنها، وعُرِفت هذه الأسئلة، وتناقلها الناس في مختلف الأزمان: ماذا أنا؟ ومن أين جئتُ؟ ومن أين جاء هذا العالم العلوي والسفلي من حولي؟

وقد بحثنا قضية أين المصير بعد الموت؟ أهو الفناء والعدم أم هو حياة أخرى، ووجود آخر، يثاب فيه الإنسان على حياته الأولى، أو يعاقب عليها، حسب إيمانه وعمله؟

ثم السؤال الأخير عن الغاية التي وُجِد لها الإنسان: ما هي؟ أهي غاية مادية كغايات الحيوانات الأخرى التي لم تؤتَ ما أوتي الإنسان، أم هي غاية روحية، فوق الجسد الترابي والكيان المادي الذي يلبسه

QaradawiBooks.com

الإنسان؟ فما هذه الغاية أو الرسالة التي خُلِق من أجلها الإنسان، وكُلِّف بالعمل لها، والإعداد لاكتمالها؟

هذه الأسئلة الخالدة التي حصرها الناس بقولهم: ماذا أنا؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟

هذه الأسـئلة وأجوبتها هي ما حاولنا أن ننبه عليها، ونلفت الأنظار إليها، ونوقظ الإنسـانية كلها إلـى الإجابة عنها، والإعـداد لها. فالأمر خطير، وهو بالعناية جدير.

الدوحة ٥ من جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ

آذار (مارس) سنة ٢٠١٦م

يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١
القضية المصيرية الكبرى لكل إنسان

هناك في حياة كل إنسان، مهما يكن جنسُــه، أو لونه، أو وطنه، أو طبقته، أو ظروفه الخاصة، مشــكلة أو قضية أساسية تعترضه في حياته، لا بدَّ أن تعترضه في يوم من الأيام. هي كامنة في ضميره المستتر، وفي أعماق نفسه، قد تختفي أحيانًا في ظروف الحياة التي يحياها الإنسان، وقد تبرد وتضعف، وقد تشــتدُّ وتحتدُّ، وتشتعل وتُلحُّ على الإنسان: أن يجد لها حلًّا يرتضيه، أو يجد لأسئلتها التي تثور في ذهنه جوابًا عليها مقنِعًا صريحًا؛ فلا يكاد يجده، إلَّا بعد لأْيٍ وسَــعْي وتعب في البحث عن حقيقة السؤال المحير، أو عن الأســئلة العويصة، فإذا وجدها، فما أســعده! وما أهناه! وما أعظم سروره! وما أجلَّ ســعادته بما لقي! هنا يكون الإنســان كمن ظلَّ يشقى ويســعى في طلب ضالته، التي نشدها حتى يئس من وجودها، ووضع خدَّه على الأرض ليموت، فاستيقظ فإذا هي أمامه.

إنها «المشــكلة المصيرية» التي يتحدث عنها بعضُ السياســيين في بعض الأقطار، وفي بعض الأحيان، ولكن الحقيقة: أن المشكلة المصيرية هي ـ حقًّا ـ مشكلة عامة، كل إنســان عنده هذه المشكلة، يلزم كل من كان في رأسه عقل يفكر، وكل من في قلبه ضمير يحس: أن يبحثها، وأن

QaradawiBooks.com

يهتدي إلى حلها. فليس هناك مشـكلة إلا ولها حـل، ولا مرض إلا له دواء، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ولا بد للناس أن يظلُّوا يبحثون عنه حتى يجدوه.

القضية المصيرية الأولى لكل إنسان: ماذا أنا؟ وما مصيري؟

كل إنسـان، رجلًا كان أو امرأة، غنيًّـا كان أو فقيـرًا، أميرًا كان أو مأمورًا، أين كانت معيشـته في هذه الحياة؛ في طرف الدنيا الشمالي أو الجنوبـي، الشـرقي أو الغربي، أيًّا كانـت ظروفه المعيشـية: تنعم في بحبوحة العيش: ملأ بيتـه الخير، وامتلأت يده بالمـال، وحوله الخدم والحشـم؛ أم كان في ضيق من العيش، لا يكاد يجد اللقمة التي تغذِّيه، والشَّـرْبة التي ترويه، والثوب الذي يسـتره. كل منهم، سيلحُّ عليه هذا السؤال، أو هذه الأسئلة: ماذا أنا؟ وماذا بعد ذلك؟ هل أنا كائن مستقل، أم أنا كائن تابع؟ وإذا كنتُ مسـتقِلًّا، فلماذا أشـعر أني في حاجة إلى غيري، وكذلك غيري في حاجة إليَّ؟

كنت صغيرًا جدًّا، كما أرى إخوتـي الصغار يولدون، ضعافًا ليس لهم أعين تبصر، ولا سِنٌّ تقطع، ولا يد تبطش، ولا رجل تمشي، ولا لسان يتكلم.

ولكن هذا الصغير يجد الأم التي ولدته، لها ثدي يَرضعُه بفمه، دون أن يعلمه أحد كيف يلتقم الثدي، ويجد في حِضْنها ما يدفئه إذا برد، وما يشـبعه إذا جاع، وما يرويه إذا عطش. إنه اللبن الطبيعي الذي يتدفق من صدر أمه باردًا في الصيف، دافئًا في الشتاء، عذب الطعم، سهل الهضم، لا يحتاج معه إلى طعام آخر، في هذه الفترة.

QaradawiBooks.com

هذه الأم هي كل دنياه، وكل مُلكه، وعندها كل ما يحتاج إليه، يساعدها أبوه، الذي يهيئ لها من موادِّ الطعام والشراب، واللباس والمنام، والمأمن والدواء، وكل ما يهمه وجوده.

وإنما وُجِد أبواه الاثنان: أمه وأبوه، بوجود أسرتهما، أمهما وأبيهما، وهكذا كل صبي وصبية، يوجدان صغيرين حتى يكبرَا، ضعيفين حتى يقويَا، جاهلَيْن حتى يتعلَّمَا، عاجزَيْن حتى يقدِرَا.

كل شيء يكسبه الإنسان عن طريق التعود أو التلقي والتعليم البسيط، شيئًا فشيئًا: الأكل، والمشي، والحركة، والكلام، حتى يصير إنسانًا مكتملًا، قادرًا على أن يزداد علمًا، ويزداد قوة وقدرة على الحركة والنمو، ويتقوَّى في جهة الخير، أو في جهة الشر.

وهكذا حتى يكتمل نموه العقلي، يقرأ ويكتب، ويُسأل فيجيب، ويسأل غيره، ويريد منه أن يجيب، كما يسأل نفسه أحيانًا أسئلة ليست سهلة الإجابة، ومطلوب منه أن يجيب عنها، فما من سؤال إلا له جواب.

ماذا أنا؟

هنا تثور في فكر الإنسان أسئلة عويصة تلحُّ عليه، ويريد لها إجابة، ومنها هذا السؤال الكبير: ماذا أنا؟ أنا لا أشعر أني كائن مستقلٌّ، أعيش وحدي، كما أشاء، بل أنا كائن تابع للمجموعة التي أعيش فيها، أتكلم باللغة التي يتكلمون بها، بل هم الذين لقَّنوني هذه اللغة، وآكل ما يأكلون، وأشرب ما يشربون، وألبس ما يلبسون، وأدين بما يَدينون، إن كانوا يعبدون إلهًا واحدًا، فأنا أعبده معهم كما يعبدون،

QaradawiBooks.com

وأطيعه كما يطيعون، وأتَّقيه كما يتقون، أصلِّي له وأقوم، وأتبتَّل إليه وأصوم، وأبذل لمرضاته من مالي، وأحب من أمرني بحبه، وأبغض من أمرني ببغضه.

وإن كانت آلهتهم شتَّى، فأنا أعبد هذه الآلهة، وأستحسن ما يستحسنون، وأستقبح ما يستقبحون، قد تكون هذه الآلهة من الحجارة الصمَّاء، أو من العجوة التي تؤكل ـ كما كان يفعل بعض العرب ـ وقد يقرصهم الجوع، فيضطرون إلى أكلها، وقد يكون إلهنا من البقر ـ مثل أهل الهند ـ التي يقدسها قومنا، فنقدسها، وندعها تمشي بيننا، أعني: الأنثى من البقر فقط! أما الثور الذي هو من جنسها؛ وهو أقوى منها، وهو السبب في وجودها، فلا مكان له في الألوهية ولا التقديس ـ وإن كان الفراعنة يعبدون عجلًا من البقر يسمونه «عجل أبيس» ـ وكذلك صنف الجاموس، وهو مثل البقر، لكن لونه أسمر، وهو أقوى من البقر جسَدًا، وأدرُّ منه لبنًا، ولبنه أكثر دسمًا، وخدمته للإنسان أكبر، ولكنه حرم من كل ما أعطي للبقر من عبادة ورعاية وتقديس.

وإن كانوا لا يؤمنون بإله قط، ولا يعترفون بأن للكون كلِّه إلهًا واحدًا، أو آلهة شتَّى، كما هو شأن الملحدين، فأنا معهم، وأنا على طريقتهم.

وقد رأيت من أصدقائي وأقربائي ومعارفي من ينكر ما عليه المؤمنون، من وجود إله، ورب لهذا الكون، ويسخر ممن ينادون هذا الإله، خصوصًا في ساعات الشدة والكربة التي تنزل بالإنسان، ولا يجد أمامه أحدًا يلجأ إليه، أو يعوذ به ويلوذ، إلا أن ينادي من أعماق فطرته: يا الله! يا رب!

QaradawiBooks.com

هل كل ما سبق من العقائد حق؟ هل كلها صحيح؟

لا يستطيع أحد أن يقول ذلك، لا بد أن شيئًا من هذا هو الحق، وما عداه هو الباطـــل، لا بد أن واحدة من هذه الاعتقـــادات هي الصحيحة، التي قبلتها العقول الصحيحة، ونهضت بها الأدلة الصريحة، واستجابت لها الفطر السليمة، وما عداها فما هي إلا أباطيل.

ربما أجاب الشابُّ نفســـه بعد أن يسأل هذا السؤال: ماذا أنا؟ ويقول لنفسه: لماذا أشغل نفسي بهذا السؤال وغيره من الأسئلة التي تلح عليَّ، وعندي أشـــياء مهمة وعاجلة، تتطلب مني أن أُفَرِّغ نفسي لها، لأحققها وأحصل عليها؛ ورائي الزواج والإنجاب، والعمل في الحياة، واجتذاب أنواع المسرَّات والملذَّات، لا بد أن أخوض معركة الحياة مع الخائضين، وأقنص منها مع القانصين.

ولكن: ماذا بعد هـــذا؟ نحن نعـــرف أن بعد الطفولة شـــبابًا، وبعد الشباب كهولة، وبعد الكهولة شيخوخة وشَيْبة، ثم ماذا بعد ذلك؟ أليس هو الموت؟!

نعم، هو الموت، النهاية الحتمية لحياة الإنسان، الحافلة بما فيها من كفاح وصراع، وتجاذب وتضارب، وتقابل وتحارب، تنتصر حينًا، وتنهزم حينًا أو أحيانًا، تغتني حينًا، وتفتقر حينًـــا، وتصِحُّ حينًا، وتمرض حينًا، وتكســـب حينًا، وتخســـر حينًا، أو أحيانًا، ثم في النهاية الأخيرة يهجم عليك هذا الهاجم، الذي لا يفرُّ منه أحد، طال عمره أو قصر، ســـعد في الدنيا أم شقي، أخذ حقَّه أم لم يأخذه، ظلم الناس أو ظلمه الناس، سيأتيه هذا الحدث الهائل، الذي سمَّوْه: الموت.

QaradawiBooks.com

والإنسان قبل أن يموت جرَّب الموت فيمن حوله، من يحب منهم، ومن يكره، أقرب الناس لـه، وأعز الناس عليه، وأحـب الناس إليه: ماتوا، جَدُّه مات، وجَدَّته ماتت، وأبوه مات، وأمه ماتت، وعمُّه وعمَّتُه، وخالُه وخالتُه، وكم من شاب في مثل عمره أصابه الموت، في مرض أصابه، ولم يجد له طبيبًا يعالجه، ولا دواءً يشفيه، وكم من صديقٍ له أصابه بلاء مفاجئ في الطريق، فجـاءه الموت وهو لا يفكر فيه، وكم من متجبِّر في الأرض، يمشـي متبختِرًا بين الناس، مستكبرًا عليهم، ظالمًا لهم، قد جاءه الموت فجأة، أو بجلطة دماغية، أو سـكتة قلبية، فلم يجد في ماله ولا في أعوانه، ولا فيمـا حوله مُنْجِيًا، إلا الخضوع لجلال الموت.

قالوا: إن الشـاعر العربي الكبير ابن الرومـي أصابه مرض في آخر حياته، فعرضوه على طبيب، فشخَّص له الداء، ووصف له الدواء، ولكن المؤسف أن الطبيب غلط في الدواء، فكان سببًا في أن يقرِّب ابن الرومي من الموت، وكان الناس يلومون الطبيب ويعذلونه؛ لأنه كان سـببًا في التعجيل بموت الرجل، ولكن الشاعر قال:

غلـط الطبيبُ علـيَّ غلطة موردٍ عجـزت مـواردهُ عـن الإصدارِ
والنَّـاس يَلْحَـوْن الطبيب وإنما غلطُ الطبيـب إصابة الأقـدارِ[1]

لقد تبيَّن لنا باليقين، الذي لا يسـتطيع أحد أن يشك أو يشكك فيه: أننا كلنا ميتون. ثم ماذا؟ هل هناك شيء بعد الموت؟

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي (١١٨/١)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر عالم الكتب، بيروت.

QaradawiBooks.com

هذه هي الحقيقة التي لا بد للناس ـ كل النـــاس ـ أن يبحثوا عنها، سواء أكانوا كبار العقول أم صغارها! ســـواء أكانوا فلاسفة يبحثون فيما لا يفهمه العوام، ولا يفكرون فيه، ولا يســـألون عنه، أم كانوا من الناس البســـطاء، الذين ليس لهم عقول كبيرة ورؤوس مفكِّـــرة، ولكن عندهم العقول العاديـــة، التي يملكها كل الناس، يفكِّرون بهـــا في تدبير الرزق اللازم لهم ولأسرهم.

لا بد لهؤلاء جميعًـــا أن يتباحثـــوا فيما لا بد لهم منـــه، ولا بد أن يتعاونوا معًا ليحُلُّوه، ولا بد أن يرقى بهم الحال ليدخلوا في قضايا أكبر مما يفكرون فيه، وأوســـع دائرةً، وأعلى مقامًا، وكلما اتسعت دائرتهم، ودخل فيها أناس كثيرون، مختلفو الأديـــان، مختلفو المذاهب، مختلفو الطرائق، وربما كان الاختلاف بين هذه الطوائف الكثيرة، وخصوصًا إذا ضمَّتها أو ضمَّت أممًا كبيرة، وأوطانًا واسعة، وجنسيات شتَّى، وفيها من العقائد والشـــرائع والفلســـفات، ما يثير مزيدًا من التســـاؤلات، ويفسح مجالًا للنـزاعات، ويفتح الأبـــواب للتقاولات والنقولات، وكلٌّ له تأثير في أفكار الناس، وفيما ينبغي أن يتدين به الناس، أو ينتفع به الناس.

أنا ـ إذن ـ واحد من الناس الذين يعيشـــون حولنا، آكل كما يأكلون، وأعيش كما يعيشون، وأموت كما يموتون. ولكن، ماذا نحن؟ وما شأن كل واحد منا؟ إذا كان كل ما يجري علينا يجري بقانون واحد، له بداية، وله نهاية، ولا يســـتطيع أحد أن يقـــف ضده، أو يقول لـــه: لا. أو: غيِّر طريقك. أو: خذ لك صيغة أخرى. كل ما عليه أن يستســـلم له؛ ليمضي في طريقه. قد يحاول تحســـين الحياة، أو تحسين شـــيء أو أشياء فيها، ولكن في النهاية لا بد أن يحكمه الموت.

QaradawiBooks.com

كل النـاس تنتهي حياتهم بالموت، الرسـل والأنبياء، والقديسـون والأتقياء، والملوك والأمراء، والرؤساء والوزراء، كلهم سيشرب من هذه الكأس، ويخرج بها من هذه الدنيا، ولكن القضية الكبرى هي: ماذا بعد الموت؟ هل بعد الموت تنتهي قصة الإنسان وقصة الحياة، ويصدق قول من قال: أرحام تدفع، وأرض تبلع؟ أمن أجل هذه السنين القصيرة التي مهما طالت فهي منتهية خُلق الإنسان؟!

لم ينشـرح الناس لهذا المعنى أبدًا، أن المـوت عدم محض، وفناء كامل، لم يصدِّق أحد هذه الدعوى، لماذا أعطي هذا الإنسان العقل الذي ميَّزه على غيره؟ أو لماذا زُوِّد بالمواهب الروحية؟ ولماذا أُعْطِيَ الإرادة والقدرة؟ أهذا كله أُعْطِيَه الإنسان لمجرد العيش هذه السنوات، ثم يَنْفَق كما تنفق البهيمة؟

لقد رفض ذلك كلُّ ذي دِين، وكل ذي عقيدة، مشرك أو موحد، ذي دين سـماوي أو أرضي، شـرعي أو وضعي، كلهم قالوا: إننا نحس في داخلنا، ومـن أعماقنا، أن لنا حيـاة أخرى نحياها، حيـاة أخلد وأبقى. وأصحاب الأديان السماوية أخبرهم أنبياؤهم بأن الموت إنما تموت فيه أجسادهم، أما أرواحهم فباقية، ستعود هذه الأرواح وتتصل بالأجساد مرة أخرى، فالموت إنمـا هو رحلة من دار إلى دار، مـن دار الدنيا إلى دار الآخرة، كما قال الشاعر:

وما المـوت إلا رحلـة غير أنها من المنـزل الفاني إلى المنـزل الباقي[1]!

(١) البيت لأبـي العتاهية. انظر: الإعجـاز والإيجاز للثعالبي صـ ١٥١، نشـر مكتبة القرآن، القاهرة.

QaradawiBooks.com

هذا ما يقوله أهل الأديان الكتابية، من اليهودية والنصرانية والإسلام. وكثير من أصحاب الأديان الأخرى لهم تصورات عن الحياة بعد الموت، وكلها تؤكد لكل إنسان أهمية هذه المرحلة وخطورتها.

فكل إنسان، مهما تكن قدرته ومركزه وماله وسنه وأتباعه، لا بد أن يفكر ويفكر، ويطيل التفكير في هذا الأمر الخطير، إنه أمر المصير، هل يصير إلى جنة أبدًا، أم إلى نار أبدًا؟ هذه القضية التي جعلناها عنوان هذا الفصل، وهو قضية المصير لكل إنسان.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢

إنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا

غير مرخصة للطباعة

إنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا. هذا ما يقوله المؤمنون بالله تعالى وبرسله وبالدار الآخـرة، وما يجري فيها من مواقف هائلـة، وامتحانات رهيبة، ومساءلات حاسمة، في هذا اليوم العظيم الطويل، الذي يشتد فيه الهلع، ويعظم الخوف والفزع، من نصب الموازين، ونشـر الدواوين، وسـؤال الناس عمَّا قالوه، أو فعلوه، أو ما نوَوْه، في حياتهم السـابقة، يحاسبهم ربهم عليه، خيرًا كان أو شرًّا، حلوًا كان أو مُرًّا.

في هذا اليوم الذي يخرج الناس من مقابرهم وأجداثهم سراعًا يوفضون، كأنهم جراد منتشر، ليقفوا بين يدي المَلِك الأعلى، الذي ليس في هذا اليوم ملِكٌ غيره، ولا مالك سـواه، كما يقول تعالى في ذلك الوقت: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ هل هناك أحد يدَّعِي المُلْك، أو يقـول: إنه الإمبراطور. أو يزعم أن بيده شيئًا؟ لا أحد يرد على هذا السؤال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ وإنما يرد المَلِك الأعظم والأوحد على نفسه قائلًا: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

هو المَلِك، وهو المالك في هذا اليوم، كمـا قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطـار: ١٩]. ولذلك نقرأ فاتحة الكتاب بهاتين القراءتيـن، وكلتاهما صـواب: ﴿مَلِكِ يَـوْمِ الدِّينِ﴾ و﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

أهل الدين يدعون الناس إلى جنة الخلد:

يقول أهل الدين، ورجال الإيمان، وعُبَّاد الله وحده، للناس كل الناس، من كل من لم يرضَ بالله ربًّا، ولا بنبيِّه رسـولًا، ولا بكتابه الذي أنـزله شـرعة ومنهاجًا، يقول لهم المؤمنون: يا قومنا، اسمعوا لنا، نحن لا نريد منكم دُنيا، ولا نريد أن تدفعوا لنا أجرًا، بل أجرنا كله على الله، هو وحده الذي يأجرنا، نحن لا نريد لأنفسنا شيئًا منكم، نحن في الحقيقة لا نريد إلا منفعتكم في الدنيا وفـي الآخرة، نريد أن تعرفـوا الحقيقة الكبرى، الظاهرة المكشوفة لنا، والمغيَّبة ـ للأسف الشديد ـ عنكم: أنكم مخلوقون لخالق، ومربوبون لربٍّ، وأن هذا الرب يريد منكم أن تؤمنوا به، وتعبدوه وحده، لا شـريك له، هو سـبحانه غنـي عنكم، وليس فـي حاجة إلى عبادتكم، ولو كفرتم به، أنتم ومن معكم ومن حولكم، ومن شـئتم من الناس، لن ينقص هذا من ملك الله تعالى شيئًا. كما أنكم لو أطعتموه حقَّ الطاعة، وعبدتموه حق العبـادة، أنتم ومَن حولكم، ومـن قبلَكم، ومَن بعدكم، وأوَّلكم وآخركم، لم يزد ذلك في مُلك الله شـيئًا. إن الله سبحانه غنيٌّ عن العالمين، ليس في حاجة إلى أي شيء مما عندكم، وهل عندكم شيء؟ كل ما عندكم من خير وفضل إنما هو من عنده.

يقول المؤمنون بالله تعالى وكتبه ورسله: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمـران: ٦٤]. ومعنى هذا: ألَّا يتألَّه بعضُنا على بعض، ولا يستكبر بعضنا على بعض، فنحن البشر في الحقيقة أسرة واحدة، لنا رب واحد، يجب أن نؤمن به جميعًا، ولنا أب واحد، يجب أن ننتسب إليه كلنا.

ربنا هو الذي خلقنا فسوَّانا، ورزقنا وقوَّانا، وأنعم علينا وهدانا.

QaradawiBooks.com

هو الذي رزقنا العقول لنفكر بها في كل ما يُهمُّنا، فميَّزنا عن سائر الحيوانات البريِّة والبحرية والجوية.

هو الذي سخر لنا كل المواد التي نحتاج إليها في رزقنا ورزق أولادنا، وسخر لنا كل ما في هذا الكون في أرضه وسمائه.

وأبونا الذي ننتسب إليه هو آدم، أبو البشر، الذي خلقه ربنا بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، ومَن امتنع عن السجود له طرده من عليائه، فقد استكبر وكان من الكافرين، إنه الشيطان الرجيم، إبليس اللعين، عدو الإنسان المبين.

إن علينا نحن العقلاء الذين ما زالوا يُحسُّون أن في رؤوسهم عقولًا تفكر، وأن في وجوههم أعيُنًا تبصر، وأن فيها آذانًا تسمع، أن نصغي جيِّدًا لما يقوله هؤلاء الدعاة المُلِحُّون علينا، الذين لا يكادون يتركوننا، حتى يعودوا إلينا.

يقول هؤلاء: يا قومنا، نحن ندعوكم إلى أمر خطير، ندعوكم إلى قضية المصير، بل لا توجد قضية مصير حقًّا إلا هذه القضية التي ندعوكم لها، كل القضايا الكبيرة، أو ما يسميه الناس: الكبرى، من قضايا الدنيا كلها قضايا زائلة، تبدأ اليوم، وتنتهي غدًا أو بعد غد، أو بعد أيام أو سنين.

ولكن القضية التي لا تنتهي أبدًا، هي قضيتنا، قضية الخلود والدوام الأبدي.

إنك إذا آمنت بالله سبحانه، ربِّك وربِّ الكون مِنْ حولِك، وهو وحده الذي يستطيع أن يرحمك برحمته، وأن يذيقك من عذابه، وأن ينزل

QaradawiBooks.com

عليك رزقه، وأن يُقَتِّره عليك، ويستطيع أن يستجيب دعاءك إذا دعوته، ويستطيع أن يؤخِّره عنك ليجزيك بدله في الدنيا، أو يعوِّضك عنه في الآخرة، إنه هو الذي يأخذ الظالم المستكبر، المتجبر في الأرض، من ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١١ ـ ١٤]. وهو الذي يرزقك الزوجة الصالحة، ويهبُ لك الأبناءَ البَرَرة، ويهيِّئ لك الأصدقاء والأعوان الصالحين، ويهيئ لك كل أسباب الخير والسعادة في الدنيا، إذا آمنت واستقمت على طريقه، وبعد تلك النعم العظيمة؛ يجزيك حياة أطيب منها في الآخرة؛ جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ثم فيها بعد ذلك «رضوان من الله أكبر»، وفيها ينعم الناس برؤية الله تعالى بأعين غير أعين الدنيا، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

يقول المؤمنون للكافرين: إن ما ندعوكم إليه ليس مجرد صفقة تجارية، أو نزهة برية أو بحرية، أو منفعة دنيوية، مما يعرفه الناس ويتذوقونه ويتناولونه ويتهادونه بينهم، كل هذه أشياء جرَّبناها وخَبَرْناها، وخبَرها أناسٌ قبلنا، والتذُّوا بها مدة، ثم ذهبت عنهم، أو ذهبوا هم عنها، ككل متع الدنيا ولذائذها.

ما ندعوكم إليه ـ يا قومنا ـ أكبر من هذه المتع التي بالغتم في وصفها، وغامرتم في إيقاعها، وفاتكم الخير الكثير، حينما ركضتم وراءها، فما هي ـ والله ـ إلا السراب، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجد مكانه شيئًا، ما ظنته العينُ ماءً، لم يكن ماءً حقيقيًّا، وهكذا كل متع الدنيا. يقول الشاعر العربي:

QaradawiBooks.com

هــب الدنيا تســاق إليــك عفوًا ... أليس مصيــر ذاك إلــى انتقال!
ومــا دنيــاك إلا مثــل ظــل ... أظــلَّــك ثــم آذن بالــزوال[١]!

ما ندعوكم إليه ـ يا إخواننا من عباد الدنيا ـ إنما هو شــيء غير هذه اللذائذ الفانية، والمرغوبــات التافهة، التي تُحِسُّ بها ســاعتها، ثم بعد دقائق، تشعر بأنك فارغ منها، ذهبتْ لذتُها، وبقيت حسرتها.

ما ندعوكم إليه إنما هو جنة عرضها كعرض السماء والأرض، أُعِدَّت للذين آمنوا بالله ورسله، «**فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة: ١٧]»[٢].

أتعلمون كم مساحة هذه الجنة؟ ذكر القرآن عرضها فقال: ﴿**وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمــران: ١٣٣]. وإذا كان عــرض الجنــة عرض الســماوات والأرض، والعرضُ أقل من الطول، فكم يكون طول الجنة؟

وكم يكون ملك الشــخص من أهل الجنة؟ كم تكون المساحة التي له؟ قَدِّر ثم قدِّر، ثم قدِّر.

ســيكون نصيبه أضعاف ما تُقَدِّر، لتعرف الحقيقة: اقرأ هذا الحديث وما بعده في فضل الجنة وما فيها.

---

(١) البيت لأبي العتاهية. انظر: لباب الآداب للثعالبي صـ ١٧٢، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

(٢) رواه مســلم في الجنة وصفــة نعيمها (٢٨٢٥)، وأحمد (٢٢٨٢٦)، عن ســهل بن ســعد الساعدي.

QaradawiBooks.com

ذكر ما لأدنى أهل الجنة فيها:

تأمل هذين الحديثين اللذين رواهما مسـلم، في ما لأدنى أهل الجنة فيها:

عن المغيرة بن شـعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه: ما أدنى أهـل الجنة منـزلة؟ فقال: رجل يجيء بعـد ما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: رب، كيفَ وقد نـزل الناس منازلهم وأخذوا أَخَذَاتِهم؟**

فيقال له: أترْضَى أن يكون لك مثل مَلَكٍ مـن ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ رب.

فيقول له: لـك ذلك ومثله ومثلـه ومثله ومثله. فقال في الخامسـة: رضيت رب.

فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهتْ نفسُك، ولذَّتْ عينُك. فيقول: رضيتُ رب.

قال «موسى عليه السلام»: ربِّ، فأعلاهم منـزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرسْتُ كرامتهم بيدي، وخَتَمْتُ عليها، فلم تَرَ عَيْنٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على قلب بشر»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منـزلة: رجل صَرَف الله وجهَه عن النار، قِبَل الجنة، ومَثَّل له شجرةً ذات ظِلٍّ، فقال: أيْ ربِّ، قرِّبني إلى هذه الشـجرة، أكـون في ظِلِّها..**». فذكر الحديث في دخوله الجنة وتمنِّيه إلـى أن قال في آخره: «**حتى إذا**

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٨٩)، والترمذي في التفسير (٣١٩٨).

QaradawiBooks.com

انقطعتْ به الأمانيُّ قال الله: هو لك وعشرة أمثاله». قال: «**ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحْياكَ لنا، وأحيانا لك**». قال: «**فيقول: ما أُعْطي أحد مثلَ ما أعْطِيتُ!**»[(١)].

وصف درجات الجنة وغرفها وأنهارها:

وانظر هذه الأحاديث في درجات الجنة، وغرفها وخيامها وأنهارها:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة لَيَتَرَاءَوْن أهل الغُرَف من فوقهم، كما يَتَرَاءَوْن الكوكب الدُّرِّيَّ الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لِتفَاضُلِ ما بينهم**». قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم! قال: «**بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين**»[(٢)].

وعن أبي مالك عن النبي ﷺ: «**إن في الجنة غُرَفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدَّها الله لمن أَطْعَم الطعام، وأَفْشَى السلام، وصَلَّى بالليل والناسُ نيام**»[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة مائةَ درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٨٨)، وأحمد (١١٢١٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٥٦)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣١).

(٣) رواه أحمد (٢٢٩٠٥) وقال مخرجوه: إسناده حسن. وابن خزيمة في الصيام (٢١٣٧)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٠٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥١٦٢): رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٤) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠).

QaradawiBooks.com

عن أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا**»(١).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهَر في الجنة، حافَّتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج**»(٢).

وعن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك**». قال: «**فضرب المَلَك بيده، فإذا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ**»(٣).

وعن حكيم بن معاوية القُشَيْري، عن أبيه ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**في الجنة بحر للماء، وبحر للبن، وبحر للعسل، وبحر للخمر، ثم تشقق الأنهار بعدُ**»(٤).

وفي القرآن الكريم: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٤٣)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٨).

(٢) رواه الترمذي في التفسير (٣٣٦١) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٣٣٤)، والطبري في التفسير (٦٨٨/٢٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٩٨).

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٨١)، وأحمد (١٢٩٨٩).

(٤) رواه أحمد (٢٠٠٥٢) وقال مخرجوه: إسناده حسن. والترمذي في صفة الجنة (٢٥٧١)، وقال: حسن صحيح. والدارمي في الرقاق (٢٨٧٨)، وابن حبان في المناقب (٧٤٠٩).

QaradawiBooks.com

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، إن شئتم فاقرؤوا: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾** [الواقعة: ٣٠، ٣١]»[(١)].

فناء الدنيا ومتعها:

وكم تبقى الجنة لصاحبها؟ أو كم يبقى صاحب الجنة للجنة؟

إن هناك أناسًا يتمتعون بأشياء ممَّا يسميه الناس: نعيم الدنيا، أو متاع الدنيا، ولكن إلى أي مدة يدوم هذا المتاع أو هذا النعيم؟

الواقع الذي عايشناه بأنفسنا، ورأيناه بأعيننا، ولمسناه بأيدينا: أننا نرى هؤلاء أصنافًا شتى، فمنهم من يتمتع به قليلًا، ثم سرعان ما يزول هذا النعيم، وتتبدَّل صحته مرضًا، ومتعه همًّا، وحياته ضنكًا، وحلاوته مرارة.

ومنهم من يعيش فيه سنين، ثم يموت حبيبه الذي كان يسعى له: ابنه أو أميره، أو صديقه، فتصبح الحياة بعده شجرة ذابلة، ودارًا ضيقة، وعَيْشًا لا معنى له ولا طعم.

ومنهم من يعيش في نعمة وقوة وعافية، طاغيًا متكبِّرًا، فينزل عليه بأس الله فجأة، فيهوي إلى مكان سحيق، ويصبح كأن لم يغنَ بالأمس.

ومن الناس من ذهب عنه النعيم فجأة، كما جاء فجأة، وكثيرًا ما شاهدنا أناسًا كانوا في بحبوحة من العيش، ثم ضربهم الدهر بضَرَباته،

(١) رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٥١)، وأحمد (١٢٣٩٠).

QaradawiBooks.com

فإذا هم لا يجدون شيئًا، وأصبحوا يسألون الناس، بعد ما كان الناس يسألونهم، كما قالت بنت النعمان بن المنذر[١]:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصَّف!
فأفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلُّبُ تارات بنا وتصرُّف!

وهَبْ أن من الناس من عاش عمره كله في وفرة من العافية، وسعة من العيش، ورصيد من المال والجاه، وحظوة من الأهل والأصدقاء، فكم تكون مدة هذا، لو سلِمَ من الشكوى؟!

ومن ذا الذي يسلم من الشكوى، من مرض مؤلم، ومن ولد عاقٍّ، ومن امرأة مؤذية، ومن صديق خائن، ومن قريب غادر، ومن.. ومن؟!

قل ما شئت فيما يمكن أن يتمتع به الإنسان في دنياه، كم تكون قيمة هذه المنفعة في جانب ما يعطيه لك الله تعالى في الجنة، سواء أكنتَ من المقربين في أعلى عليين، أم من أهل اليمين؟

هل سعادة الجنة ومتعها مائة سنة؟ ألف سنة؟ ألف ألف سنة؟ ألف ألف ألف سنة؟ ألف مليون مليار سنة؟ قل ما شئت، وزد وأطل، فإن الجنة نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وعطاء غير مجذوذ.

من يضيع هذا النعيم المقيم من رب كريم؟! نعرف بعضه، ولا نعرف كله، وما نعرفه منه شيء هائل، لا يمكن وصفه، ولا تصويره، ولا تقريبه

(١) البيتان لحُرَقة بنت النعمان بن المنذر. انظر: التذكرة الحمدونية (٢٠٨/٩، ٢٠٩)، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ. ومعنى نتنصف: نخدم غيرنا.

QaradawiBooks.com

للناس، إنما يعرفه من يكون من أهله، من يقال له: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

هل يضيع الإنسان هذه السعادة القصوى، بماديِّها ومعنويِّها، هل يدع هذا النعيم الكبير، بكل مشتملاته، من أجل شهوات بهيمية، وغرائز حيوانية، ونزوات سبُعية، ونزغات شيطانية؟

يا أهل العقل، يا إخواني، يا قومي، انظروا، فالأمر أخطر من أن يترك، أو لا يُفكَّر فيه.

أهل الدين يدعون الناس إلى الفرار من عذاب جهنم الأبدي:

وما قلناه في نعيم الجنة المادي والروحي، الذي يسعد به أهل الجنة، نقوله في عذاب جهنم الذي يشقى به أهلها من المكذِّبين الضالِّين، الذين طالما حذَّرهم منها الرسل وأتباعهم من الدعاة المؤمنين الصادقين، وقال قائلهم في الدنيا لهؤلاء المكذبين ما قاله مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۞ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۞ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۞ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٣٨ ـ ٤٤].

QaradawiBooks.com

ونحن كما ذكرنا لك نصوصًا من القرآن الكريم، ومن الأحاديث النبوية الصحيحة، فيما أعده الله للمؤمنين في الآخرة، من نعيم ومن هناءة، ومن عيش طيب، نذكر هنا بعض ما أعده الله للكافرين به، والمعرضين عنه، من نار وعذاب، يبدأ بيوم القيامة، الذي نرى الناس فيه سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، اقرأ بعض الآيات في عذاب جهنم، كما في سورة الكهف: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

واقرأ في سورة الدخان: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝ ذُقْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٥٠].

الاستعاذة بالله من النار:

واقرأ بعض ما انتقينا من أحاديث الترغيب في سؤال الله الجنة، والاستعاذة من النار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يعلِّمُهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»[1].

(١) رواه مسلم في المساجد (٥٩٠)، وأبو داود في الصلاة (١٥٤٢)، والترمذي في الدعوات (٣٤٩٤)، والنسائي في الجنائز (٢٠٦٣).

QaradawiBooks.com

وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعني رسول الله ﷺ وأنا أقول: اللهم أمْتِعني بزوجي رسولِ الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية. فقال: «**سألتِ الله لآجالٍ مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يُعَجِّل شيئًا منها قبل أجله ولا يُؤخِّر، ولو كنتِ سألتِ اللهَ أن يعيذكِ من النار وعذاب القبر كان خيرًا وأفضل**»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الله الجنة ثلاثَ مراتٍ قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ومن استجار من النار ثلاثَ مرات قالت النار: اللهم أجِرْه من النار**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة سيارة يتبعون مجالس الذكر..**». فذكر الحديث إلى أن قال: «**فيسألهم الله عز وجل، وهو أعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك: يسبِّحونك ويكبِّرونك، ويهلِّلونك ويحمدونك، ويسألونك. قال: فما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنَّتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟!**

قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟!

قالوا: ويستغفرونك». قال: «**فيقول: قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٣)، وأحمد (٤٢٥٤).

(٢) رواه الترمذي في صفة الجنة (٢٥٧٢) وقال: وروي عن أبي إسحاق، عن بريد بن أبي مريم، عن أنس، موقوفًا أيضًا. والنسائي في الاستعاذة (٥٥٢١)، وابن ماجه في الزهد (٤٣٤٠)، وابن حبان في الأدعية (١٠٣٤) وقال الأرناؤوط: صحيح. والحاكم (٥٣٤/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٥٠٢)

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٤٠٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٩).

QaradawiBooks.com

الترهيب من النار:

ومن ذلك أحاديث الترهيب من النار، عن أنس ﷺ قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١][(١)].

وعن عدي بن حاتم ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النار**». قال: وأشاح، ثم قال: «**اتقوا النار**». ثم أعرض وأشاح ثلاثًا، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»[(٢)].

والإشاحة الخوف والحذر، وأشاح ـ بشين معجمة وحاء مهملة ـ معناها: حذر النار كأنه ينظر إليها. وقال الفراء: المُشيح على معنيين: المقبل إليك، والمانع لما وراء ظهره. قال: وقوله: أعرض وأشاح أي أقبل[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. دعا رسول الله ﷺ قريشًا، فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال: «**يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مُرَّة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا**»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في تفسير القرآن (٦٣٨٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٣٩، ٦٥٤٠)، ومسلم في الزكاة (١٠١٦).

(٣) تهذيب اللغة للهروي (٩٦/٥)، تحقيق محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٤)، كما رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣١٨٥)، والنسائي في الوصايا (٣٦٤٤).

QaradawiBooks.com

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «**أنذرتكم النار، أنذرتكم النار**». حتى لو أن رجلًا كان بالسُّوق لسمعه من مقامي هذا، حتى وقعت خَمِيصةٌ[١] كانت على عاتقه، عند رجليه[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إنما مَثَلي ومثل أمتي، كمثل رجل استوقد نارًا، فجعلت الدوابُّ والفَرَاش يقَعْنَ فيها، فأنا آخِذٌ بحُجَزِكم، وأنتم تَقَحَّمون فيها**»[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثلي ومثلكم، كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفَرَاش يقَعْنَ فيها، وهو يَذُبُّهن عنها، وأنا آخِذٌ بحُجَزكم عن النار، وأنتم تَفَلَّتون من يدي**»[٤].

والحُجَز ـ بضم الحاء وفتح الجيم ـ جمع حُجْزة، وهي مَعْقِد الإزار.

وعن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا**». قالوا: وما رأيتَ يا رسول الله؟ قال: «**رأيتُ الجنة والنار**»[٥].

شدة حرِّ النار وبُعد قعرها:

وأحاديث أخرى في شدة حرها، وبعد قعرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ناركم هذه؛ ما يوقد بنو آدم، جزء واحد من سبعين**

(١) الخميصة: كساء أسود أو أحمر له أعلام.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٩٨) وقال مخرجوه: إسناده حسن. والحاكم في الجمعة (٢٨٧/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٤٤): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٨٣)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٤).

(٤) رواه مسلم في الفضائل (٢٢٨٥)، وأحمد (١٤٨٨٧).

(٥) رواه مسلم في الصلاة (٤٢٦)، وأحمد (١١٩٩٧).

QaradawiBooks.com

جزءًا من نار جهنم». قالوا: والله إن كانت لكافية. قال: «**إنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلهن مثل حرِّها**»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لمَّا خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها**». قال: «**فجاء، فنظر إليها، وإلى ما أعـد الله لأهلها فيها**». **قال:** «**فرجع إليه، قال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فأمر بها فحُفَّت بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر إلى ما أعددتُ لأهلها فيها**». **قال:** «**فرجع إليها، فإذا هي قد حُفَّت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك، لقد خفتُ ألا يدخلها أحد. وقال: اذهب إلـى النار، فانظر إليها، وإلى ما أعـددتُ لأهلها فيها**». **قال:** «**فنظر إليها، فإذا هي يركـب بعضها بعضًا، فرجع إليـه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلَها. فأمر بها فحُفَّت بالشهوات، فقال: ارجع إليها. فرجع إليها، فقال: وعزتك، لقد خشيتُ ألا ينجو منها أحد إلا دخلها**»[٢].

وعن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بـن غزوان ﷺ فقال: إنه ذُكِرَ لنا أن الحَجَر يُلقى من شفير[٣] جهنم، فيهوي فيها سبعين عامًا، ما يدرك لها قعرًا، والله لتملأَنَّ، أفعجبتم[٤]؟!

وكان عمر يقول: أكثروا ذكرَ النار؛ فإن حرَّها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٥)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٤٣).

(٢) رواه أحمد (٨٦٤٨) وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في السنة (٤٧٤٤)، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٦٠) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الأيمان والنذور (٣٧٦٣).

(٣) شفير جهنم: أصله من تسميتهم ناحية الوادي من أعلاه: شفير الوادي.

(٤) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦٧)، وأحمد (١٧٥٧٥).

(٥) رواه الترمذي في صفة جهنم (٢٥٧٥) وقال: لا نعرف للحسـن سماعًا من عتبة بن غزوان، =

QaradawiBooks.com

وعن أبي هريـــرة ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ، فســـمعنا وَجْبة، فقال النبي ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟**». قلنا: الله ورســـوله أعلـــم. قال: «**هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفًا، فالآن حين انتهى إلى قعرها**»[1].

فماذا تقولون يا إخواننا من البشر، الذين أنعم الله عليهم بعقول تفكِّر، وبقلوب تخشع، وبعيون ترى، وبضمائر تحيا؟

ماذا تفعلون أمام ما يقوله الرســـل الذين اختارهم الله رب العالمين، وأرسلهم لعباده مبشرين ومنذرين؟

والله إن الأمر لجد خطير، لا يمكن التفريط فيه، ولا يستطاع إهماله وتأجيله، ولا الاستراحة منه، وألا نأخذ أنفســـنا بالحزم، ونعزم إرادتنا، ونجنِّد أنفســـنا لمفارقة عدونا إبليس: الشيطان الأكبر، والعدو المتربص بنا وبإخوتنا، وبأبنائنا وذرياتنا. ولا نجاة لنـــا إلا بمعصيته، وطاعة ربنا الذي أتم علينـــا نعمته، وأنـــزل في قلوبنا ســـكينته، ونشـــر علينا فضله ورحمته.

ربنا اغفر لنا وارحمنا وأنت أرحم الراحمين.

* * *

= وإنما قدم عتبة بن غزوان البصرة في زمن عمر، وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر. وصححه الألباني في الصحيحة (١٦١٢).

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٤٤)، وأحمد (٨٨٣٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

٣

بقية الأسئلة الخالدة

ليس السؤال عن المصير هو السؤال الوحيد الذي يطارد الإنسان، ويركض وراءه أينما ذهب، خصوصًا إذا كان عنده شيء من الذكاء، وإذا كان يهتم بحياته وحياة من حوله؛ بل هناك في قضايا الإنسان الأساسية أسئلة كثيرة معروفة.

هناك جملة من الأسئلة المهمة الخطيرة، تلح على الإنسان أن يجيب عنها، ولا يفر منها؛ لأنه إن تركها فلن تتركه، منها: السؤال الذي ذكرناه فيما سبق، وهو: ماذا بعد الموت؟ وهو السؤال عن مصير الإنسان.

نعم هناك عدة أسئلة أخرى ضرورية، وشديدة الإلحاح على كل إنسان، هي:

ماذا أنا؟ ومن أين جئتُ، وجاء هذا العالم؟ وإلى أين أذهب ويذهب عالمي؟

لماذا وُجِدتُ؟ وما مهمتي في هذا الوجود؟ ورسالتي في هذه الحياة؟

أسئلة يجب على الإنسان ـ كل إنسان ـ أن يسألها لنفسه، وأن يفكر مليًّا في جوابه عنها.

نسخة مجانية

فإن كل جهـل ـ مهما عظمت نتائجـه ـ قد يُغتفـر، إلا أن يجهل الإنسان حقيقة نفسه، وسرَّ وجودِه، وغاية حياته، ورسالة نوعه وشخصه في هذه الأرض!

وأكبر العار على هذا الكائن الذي أوتي العقل والإرادة «الإنسـان» أن يعيش غافلًا، يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام، لا يفكر في مصيره، ولا يدري شـيئًا عن حقيقة نفسـه، وطبيعة دوره في هذه الحياة، حتى يوافيه الموت بغتة، فيواجه مصيـره المجهول، دون اسـتعداد له، ويجنـي ثمرة الغفلة والجهل والانحراف في عمره الطويل أو القصير ـ وعمره مهما يطل قصير ـ وحينئذ يندم حين لا ينفع الندم، ويرجو الخلاص، ولات حين مناص.

لهذا كان لزامًا على كل بشرٍ عاقل ـ كما ذكرنا ـ أن يبادر فيسأل نفسه بجد بعد سـؤال: ماذا أنا؟ وإذا عرف أنه إنسـان مخلـوق، فليُجب عن الأسئلة الأخرى، المكمِّلة لهذا السـؤال، وهي: من أين أنا؟ وإلى أين؟ ولماذا خُلِقْت؟ وما غاية خلقي؟

الأسئلة الخالدة:

وقبل أن يجيب عن هذا السـؤال، أو يجاب عنه، بل قبل أن يسأله، يلزمه أن يسـأل نفسه أسـئلة أخرى؛ لكي يتضح له الجواب، وتتبين له الحقيقة كاملة مشرقة، لا يحجبها سحاب ولا ضباب:

السـؤال الأول: من أين جئت وجاء هذا العالم من حولي؟ وبعبارة أخرى: كيف جئتُ؟ وهل لي مُوجد؟ ومن أوجدني؟

السـؤال الثاني: ما مصيري بعد أن وُجِدت؟ وإلـى أين أذهب بعد الموت؟ هل هو الفناء المحض، أم هناك وجود آخر وحياة أخرى؟

QaradawiBooks.com

ثم يأتي السؤال الثالث وهو: لماذا وُجِدْت؟ وهل لي رسالة؟ وما هي؟

ويعبر بعض المفكرين عن هذه الأسئلة بهذه الكلمات الموجزة: ماذا أنا؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

هذه هي الأسئلة التي صاحبت الإنسان منذ فكَّر وتأمَّل، وما زالت تصحبه وتُلِحُّ عليه، وتطلب الجواب الشافي لها، فبدون هذا الجواب لا تتحدد كينونة الإنسان، ولا موضعه في الكون، ولا رسالته في الوجود، وكيف يتحدد شيء من ذلك إذا كان كائنًا لا يعرف: ما هو؟ ولا لِمَ هو؟ ولا من أين هو؟ ولا إلى أين هو؟!

إنها الأسئلة الخالدة التي حاولت كل فلسفة في الشرق أو في الغرب أن تجيب عنها. بل لا تعد فلسفة إذا أغفلت الجواب عنها.

ماذا أنا؟

من أين؟

وإلى أين؟

ولماذا؟

من أين جئت أنا الإنسان؟ ومن جاء بي؟ وكذلك من أين جاء هذا العالم الكبير من حولي: الأرض وما فيها، وما تحتها، والسماوات وما فيها، وما بينها، وما فوقها؟

وإلى أين أسير وأرحل بعد أن أُوجِدْت في هذا الكون؟ وإلى أين يسير هذا الكون أيضًا؟ وماذا بعد هذه الصفحات التي أطويها من كتابي الذي يُسمَّى «العمر»؟

QaradawiBooks.com

ولماذا خُلِقْتُ في هذا العالم؟ وهل لي فيه من رسالة خاصة، ومهمة متميزة؟ وما هذه الرسالة، وتلك المهمة؟

من أين؟ وكيف؟

أما السؤال الأول، فهو عُقْدة العُقَد عند الماديين، الذين لا يؤمنون إلا بما تقع عليه الحـواسُّ، فهم لا يؤمنون إلا بما يدركـه الحس المادي! ينسبون أنفسهم إلى الفلسفة؛ وهم أبعد ما يكونون عن الفلسفة الحقيقية، يقولون: نحن لا نؤمن إلا بما نُحِسُّ به إحساسًا معروفًا يشهد به الجميع، بمعنى: أننا نبصـره بأعيننا المركبة في وجوهنا، كما نرى الشـمس في وَضَح النهار، وكما نرى القمر حين يدخل الليل.

وكما نبصره بأعيننا، يجب أن نسمع صوته بآذاننا، فإذا كان حيًّا فلا بد أن ينطق ويتكلم، ولا بد أن يسـمع كلامه. فإذا لم نسـمع له كلامًا بآذاننا فلا وجود له.

وإذا كان حيًّا فلا بد لنا أن نلمسه بأيدينا حين يقترب منا، كما نلمس كل الأشياء بحاسة اللمس.

ومثل اللمس: الشَّمّ، فهو إحدى الحواس الخمس.

وآخر الحواس المعروفة من قديم عند الناس هي: حاسة الذوق، التي تعرف الحار مـن البارد، وتعرف المُـرَّ من الحلو، وتعـرف المِلْح من العذب، وتعرف حبَّة العدس من حبة الفُلفل.

ما لا يعرف بهذه الحـواس أو بإحداها، فليس بإله، كيف يكون إلهًا يطلب من الناس ـ مـن كل الناس ـ أن يؤمنوا بـه، ويصدقوا بأنه خالق الكون، وخالق الإنسان، وواهب الحياة، وهو لا يستطيع أن يثبت وجوده

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

للناس، ليبصروه أو يسمعوه، أو يلمسوه، أو يشموه أو يذوقوه، أو يعرفوه معرفة حسية مباشرة بأي حاسة يعرفها الناس.

إنهم يخنقون صوت الفطرة في صدورهم، ويتحدَّوْن منطقَ العقل في رؤوسهم، ويصرون ـ في عمًى عجيب ـ على أن هذا الكون بما فيه ومن فيه وُجِد وحده! وكل ما فيه من إحكام وترتيب إنما هو صنعُ المُصادفة العمياء! أما الذين يستجيبون لنداء الفطرة، فيُقرُّون بأن لهم ولهذا الكون حولهم ربًّا عظيمًا، تتجه قلوبهم إليه بالتعظيم والرجاء، والخشية والتوكل والاستعانة، هذا شيء يشعرون به في أعماقهم شعورًا أصيلًا، وهذا هو الدين الذي عبَّر عنه القرآن بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]. وقد يخفُت هذا الصوتُ الفِطْري في النفس، أو يكبته صاحبه عمدًا في ساعات الرخاء والسَّعَة والدَّعَة، فإذا نزلت بالإنسان أحداثٌ مريرة، واهتزَّ عُودُه أمامَ الشدائد القاسية، وخاب أملُه في الناس من حوله، هنالك ينطلق هذا الصوت مُتَّجِهًا إلى ربِّه، ضارعًا خاشعًا، داعيًا راجيًا، منيبًا إلى الله.

سأل رجل الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه عن «الله» فقال: ألم تركب البحر؟ قال: بلى. قال: فهل حدَث لك مرةً أن هاجت بكم الريح عاصفةً؟ قال: نعم. قال: وانقطع أملك من الملَّاحين ووسائل النجاة؟ قال: نعم. قال: فهل خطر في بالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء؟ قال: نعم. قال: فذلك هو «الله»!

وعلى هذه الحقيقة تُنَبِّه آيات كثيرة في القرآن: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]، ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

QaradawiBooks.com

ويقول الفيلسوف الفرنسي الكبير ديكارت: «إني مع شعوري بنقص في ذاتي أحس في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة، وأراني مضطرًّا إلى اعتقادي بأن هذا الشعور قد غرسته في ذاتي تلك الذات الكاملة، المتحلية بجميع الصفات الكاملة، وهي الله».

ونظرًا لأن الشعور نابع من الفطرة الأصيلة، نجد الإيمان بقوة عُليا فوق الطبيعة وفوق الأسباب، أمرًا مشتركًا بين بني الإنسان في جميع البقاع، وبين شتى الأجناس والأقوام، وفي مختلف مراحل التاريخ.

يقول الفيلسوف الفرنسي برغسون: «لقد وُجِدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد قط جماعات بدون ديانة».

ويقول أرنست رينان في «تاريخ الأديان»: «إنه من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي، الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة في الحياة الأرضية»[1].

وإذا كان منطق الفطرة يهدي إلى الله ـ والفطرة ليست وجدانًا خالصًا، ولا عقلًا محضًا، وإنما هي مزيج منهما ـ فإن العقل المحضَ يرى الإيمان بالله ضرورة، لا محيص عنها، حتى يستطيع أن يفسر بها وجود الكون والحياة والإنسان. فإن العقل ـ بغير تعلم ولا اكتساب ـ يؤمن

(١) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. محمد عبد الله دراز صـ ٨٧، نشر دار القلم، الكويت، ط٢، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

بقانون «السببية» إيمانه بكل البَدَهيات والأوليَّات، فلا يقبل فعلًا من غير فاعـــل، ولا صنعة من غيـــر صانع. وقانون الســـببية هو الـــذي عبَّر عنه الأعرابي بسذاجة وبساطة حين ســـألوه عن «الله» فقال: البعرة تدل على البعير، وخط السير يدل على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على العلي الكبير؟! يقول العالم الطبيعي المعروف إسحاق نيوتن: «لا تشكُّوا في الخالق؛ فإنه ممَّا لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هي قاعدة هذا الوجود»!

وكلما ازداد اطِّلاع الإنسان على عجائب الكون، ومعرفته بما فيه من جمال وإحكام، ولم يقـــف عند القشـــور، ازداد إيمانًا بوجـــود الخالق وحكمته وعظمته وكمال صفاته.

وفي هذا ينقل لنا «سبنســـر» عن «هرشـــل» قوله: «كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهيـــن الدامغة القوية على وجـــود خالق أزلي، لا حد لقدرته ولا نهاية؛ فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم، وهو صرح عظمة الله وحده»!

ويقول سبنســـر: «إن العالِم الذي يرى قطرة الماء، فيعلم أنها تتركب من الأكســـجين والأيدروجين بنســـبة خاصة، بحيث لـــو اختلفت هذه النســـبة، لكانت شـــيئًا آخر غير المـــاء؛ لَيعتقدُ عظمة الخالـــق وقدرته، وحكمته وعلمه الواسع، بأشـــد وأعظم وأقوى من غير العالم الطبيعي، الذي لا يرى فيها إلا أنها نقطة ماء فحســـب! وكذلك العالم الذي يرى قطعة البَرَد وما فيها من جمال الهندسة، ودقة التقسيم، لا شك أنه يشعر بجمال الخالق، ودقيق حكمته، أكبر من ذلك الذي لا يعلم عنها، إلا أنها مطر تجمد من شدة البرد»!

QaradawiBooks.com

ويقول فرنسـيس بيكون: «إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد، ولكن التعمق فيها ينتهي بالعقـول إلى الإيمان؛ ذلك لأن عقل الإنسان قد يقف عندما يصادفه من أسباب ثانوية مبعثرة، فلا يتابع السير إلى ما وراءها، ولكنه إذا أمعن النظر، فشهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها، لا يجد بُدًّا من التسليم بالله».

تلك هي شهادة رجال رسخوا في علوم الكون، وغاصوا في أعماقها، وهي شهادات في جانب الإيمان، ولكن الشك والإلحاد يأتيان من جانب الذين عرفوا قشـورًا من العلم، أو درسـوا قليلًا من الفلسـفة، كما قال بيكون بحق.

إن الإيمان بالله ليس غريزة فطرية فقط، بل هو ضرورة عقلية كذلك، وبدون هذا الإيمان سـيظل هذا السـؤال الذي أثاره القـرآن في وجوه المشـركين قلقًا حائرًا بغير جواب، حيث قال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

يوجِّه هذا السؤال للمشركين: هل هم خُلِقوا من غير شيء؟ أي: هل خُلقوا وليس لهم خالق؟ لأن كل الناس يعرفون أنه لا يوجد شـيء من غير منشئ.

كل صنعة لا بد لها من صانع، وكل شـجرة لا بـد لها من غارس، وكل حبة لا بد لها مـن زارع، هذه الحقيقة المكشـوفة من الضرورات العقلية، التي تَوَافق عليها الناس في الزمن القديم والوسيط والحديث.

وإذا لـم يعترفوا بهذه الحقيقة الناصعة فلا بد أن يقولوا شـيئًا آخر، أقربه وأسرعه: أن يقولوا: هم الذين خلقوا أنفسهم!

QaradawiBooks.com

وهل معقول أن يقول إنسان عاقل: إنه خلق نفسه؟! وكيف يخلق الإنسان نفسه؟! الإنسان كان قبل أن يُخلق عدمًا مطلقًا، لم يكن شيئًا مذكورًا، فكيف ينشئ العدم الوجود؟! وإذا لم يخلقوا هم أنفسهم، فمن الذي خلق الكائنات الكبيرة من فوقهم ومن تحتهم؟ أهم خلقوها؟ كيف وهي موجودة قبل أن يُوجَدوا؟ ولم يدَّعِ أحد ممن ادعى الألوهية لنفسه أو متبوعه: أنه خلق الأرض التي سطحت، والجبال التي نُصبت، والسماء التي رفعت.

هم بداهة لم يُخلقوا من غير شيء، وطبعًا لم يَخلقوا أنفسهم، ولم يدَّعِ أحد منهم ولا ممَّن قبلهم أو بعدهم أنه خالق السماوات والأرض! فمن الخالق إذن؟! وليس لهذا السؤال إلا جواب واحد، لا يملك الإنسان ـ إذا تُرِك ونفسه ـ إلا أن يجيب به، كما فعل مشركو العرب أنفسهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

إلى أين المسير؟

أما السؤال الثاني: إلى أين؟ فقد أجبنا عنه في مطلبنا الأول، ومع هذا، لا بأس أن نزيد هنا على ما قلنا من قبل، فإن الماديِّين يجيبون عنه جوابًا يهبط بالإنسان المكرَّم إلى دَرَك الحيوانية الدنيا، إنهم يقولون ببساطة عن مصير الإنسان بعد رحلة الحياة الحافلة: إنه الفناء والعدم المطلق؛ أن تطويه الأرض في بطنها، كما طوت ملايين الحيوانات الأخرى، وأن تعيد هذا الجسد ـ الذي هو الإنسان عندهم ـ إلى عناصره الأولى، فيعود ترابًا تذروه الرياح!

هذه هي قصة الحياة والإنسان عند هؤلاء، كما عبروا عنها: أرحام تدفع، وأرض تبلع! ولا خلود ولا جزاء، يستوي في ذلك من عاش عُمَره

QaradawiBooks.com

للناس على حســاب شــهواته، ومن عاش عمره لشــهواته على حساب الناس، يستوي في ذلك من ضحَّى بحياته في سبيل الحق، ومن اعتدى على حياة الآخرين في سبيل الباطل!

فعلامَ ـ إذن ـ تميُّز الإنسان على غيره من كائنات الأرض؟ ولماذا سُخِّر له كل ما حوله؟ ولماذا مُنِح من المواهب والقُوَى الروحية والعقلية ما لم يُمنح لغيره؟ وما سر هذا التطلُّع إلى الكمال والخلود، الذي يغمر جوانب نفسه، إذا كان مصيره التلاشي والعدم بعد أيام الحياة المعدودات؟!

أما المؤمنون فهم يعرفون إلى أين يسيرون؟ يعرفون أنهم لم يُخلقوا لهذه الدنيا، وإنما خُلِقت هذه الدنيا لهم.

يعرفون أنهم خلقوا لحياة الخلود ودار البقــاء، وهم في هذه الحياة إنما يُســتصلحون ويُعَدُّون للدار الأخرى، ويتزوَّدون منها هنا ما ينفعهم هناك، ويترقَّوْن في مدارج الكمال الروحي والنفسي، حتى يكونوا أهلًا لدخول تلك الدار الطيبة التــي لا يدخلها إلا الطيِّبون، وهناك يقول لهم خزنتها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وإنه لعســير على العقل أن يؤمن بخالق عليم حكيم، أحســن هذا الكون صُنعًا، وقدَّر كلَّ شــيء فيه تقديرًا، ووضع كل شــيء فيه بميزان وحســاب، ثم يؤمن بعد ذلك أن ســوق هذه الحياة ستنفضُّ، وقد نهب فيها الناهب، وسرق الســارق، وقتل القاتل، وبطش الباطش، ولا تقتصُّ يدُ العدل الإلهي من هؤلاء المجرميــن، ولا تنتصر للضعيف المظلوم، الذي لــم يكن له نصير غيــر الله، ولا ملجــأ غير الســماء، ولا تكافئ المُحســن الذي كافأه الناس بالتنكُّر والاضطهاد!! إن هــذا لـهُوَ العبث الذي يتنـزه خالق هــذا الكون البديع عنــه، وإنه لَلباطــل الذي قامت

QaradawiBooks.com

السماوات والأرض بضده، وما أروع القرآن وهو يوضح هذه الحقيقة الكبيرة حين يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١ ـ ٢٢]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [صٓ: ٢٧ ـ ٢٨]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٤٠]!

لماذا خُلِق الإنسان؟

وأما السؤال الثالث، وهو الذي يجب أن يسأله الإنسان بعد أن يعرف أنه مخلوق لخالق، ومربوب لرب، وهو ببساطة: لماذا خُلقتُ في هذه الحياة؟ ولماذا مُيِّزت على سائر الكائنات الأخرى؟ وما مهمتي فوق الأرض؟

فالجواب عنه عند المؤمنين حاضر: إن كل صانع يعرف سرَّ صنعته: لماذا صنعها؟ ولماذا صنعها على نحو معين دون غيره؟

والله تعالى هو صانع الإنسان وخالقه ومدبِّر أمره، فلنسألْه: يا رب، لماذا خلقتَ هذا الإنسان؟ هل خلقته لمجرد الطعام والشراب؟ هل خلقته للهو واللعب؟ هل خلقته لمجرد أن يمشي على التراب، ويأكل ممَّا خرج من التراب، ثم يعود كما كان إلى التُّرَاب، وقد خُتِمَتِ القصَّةُ؟

QaradawiBooks.com

هل ليعيش تلك الفترة القصيرة المعذَّبة، ما بين صرخة الوضع وأنَّة النزع؟ إذن، فما سرُّ هذه القوى والملكات التي أودعتها الإنسان من عقل وإرادة وروح؟

وسيردُّ الله على تساؤلنا بما بيَّن لنا في كتابه، كتاب الخلود: أنه خلقه ليكون خليفة في الأرض. وهذا واضح في خلق آدم، وما كان من تمنِّي الملائكة لمنزلته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وأول شيء في هذه الخلافة: أن يعرف الإنسان ربَّه حقَّ معرفتِه، ويعبده حقَّ عبادته، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. وفي هذه الآية جعلت معرفة الله هي الغاية من خلق السماوات والأرض.

ويقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

إن المتأمل في هذا الكون الذي نعيش فيه، يرى كل شيء فيه يحيا ويعمل لغيره، فنحن نرى أن الماء للأرض، والأرض للنبات، والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان، والإنسان لمن؟ هذا هو السؤال.

والجواب الذي تنادي به الفطرة، وتنطق به مراتب الكائنات في هذا الكون: أن الإنسان لرب السماوات والأرض، الإنسان لله، لمعرفته، لعبادته، للقيام بحقِّه وحده. ولا يجوز أن يكون الإنسان لشيء آخر في الأرض، أو في الأفلاك؛ لأن كل العوالم العلوية

QaradawiBooks.com

والسفلية مسخَّرة له، وتعمل في خدمته كما هو مشاهَد، فكيف يكون هو لها أو يعمل في خدمتها؟

ومن هنا كانت عبادة الإنسان لقوى الطبيعة ومظاهرها من فوقه ومن تحته، كالشمس والقمر، والنجوم، والأنهار، والأبقار، والأشجار، ونحوها؛ قلبًا للوضع الطبيعي، وانتكاسًا بالإنسان أي انتكاس!!

والإنسان ـ إذن ـ بحكم الفطرة ومنطق الكون، إنما هو لله سبحانه لا لغيره، لعبادته وحده، لا لعبادة بشر ولا حجر، ولا بقر ولا شجر، ولا شمس ولا قمر، ولا لجِنٍّ ولا مَلَك، وكل عبادة لغير الله إنما هي من تزيين الشيطان عدو الإنسان.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٤

هل يعيش الإنسان بغير دين؟ وأي دين يرتضيه الإنسان لنفسه؟

هذا سؤال مهم، بل في غاية الأهمية، هل يمكن أن يعيش الإنسان بغير دين؟

بعض الناس قالوا: نعم. وهم يعيشون بغير دين، كتابي أو وثني، سماوي أو أرضي أو وضعي، أولئك هم «المُلْحِدون» الذين ينكرون وجود إلهٍ خلق هذا الكون، وخلقهم، وخلق الناس جميعًا قبلهم وبعدهم.

ويقول هؤلاء الملاحدة: ليس صوابًا أن الله هو الذي خلق الإنسان، بل الصواب أن الإنسان خلق اللهَ! يعنون أن فكرة «الله» أو «الألوهية» الخالقة للكون، فكرة اخترعها ذهن الإنسان، أو عدة أذهان توافقت فيما بينها على هذه الدعوى الكبيرة، التي ليس بأيدينا أيّ دليل قاطع عليها.

فإذا سألت هذا الإنسان الملحد: ما أنت؟ قال لك: أنا إنسان.

فإذا سألته: ما الذي ميَّزك أيها الإنسان عن الحيوانات الضخمة والوحوش الكاسرة والطيور الجارحة والجميلة من حولك؟ قال: ميزتي هي العقل، أنا أفكر بعقلي، وهي لا عقل لها تفكر به.

نسخة مجانية

فإذا قلتَ له: أرني عقلَك هذا، لأراه وأعرفه وأتحسَّسه. قال لك: عقلي مخبوء في رأسي، ولا يمكن أن أراه، ولا أن تراه، ولكن نلمس آثاره ومعارفه في هذا الكون، وفي هذه الحياة، وفي غيرها، مما نعلمه، وما لا نعلمه، بيِّنة ظاهرة. ألا ترى هذه الكتب الكبيرة والصغيرة؟ ألا ترى هذه المخترعات العجيبة؟ إنها من صنع العقل.

فإذا قلتُ له: إذا كان عقلك أنت أيها الفرد الصغير لا نستطيع أن نُمسِك به، أو نحجِّمه، ونعرف قدره ووزنه، فكيف بعقل هذا الكون الكبير من فوقنا، ومن تحتنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، في السماوات وفي الأرض، ما نعلمه وما لا نعمله. كيف يمكننا أن نعرف العقل الذي يدبر أمر هذه الكائنات الموجودة، الكبرى والصغرى، العليا والسفلى، الناطقة والصامتة، الظاهرة والباطنة، العاقلة والمسخرة، من الذي أبدع هذه الكائنات حق الإبداع، في الأرض والسماوات العلا؟ من علَّم الجمادات والأفلاك، والعقلاء، والحيوانات البرية، والحيوانات البحرية، والزواحف، والأسماك والحيتان، والأشجار والزروع، والحشائش والنباتات الجميلة الرائعة في البر والبحر؟ من نظَّمها ورتبها هذا الترتيب الذي يقف أمامه الإنسان العبقري متعجِّبًا مبهورًا صاغرًا، لا يستطيع أن يقول كلمة، إلا كلمة «سبحان الله»، سبحان من خلَق وصوَّر؟!

ألا تسمع قول أبي نواس الشاعر العربي الذي عُرِف بسكره ولهوه، يقول[1]:

(١) أحسن ما سمعت للثعالبي صـ ١٠، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م. واللطائف والظرائف له أيضًا صـ ٢٠٥، نشر دار المناهل، بيروت.

QaradawiBooks.com

تأمل في ربيع الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيونٌ من لُجَينٍ شاخصاتٌ بأبصار هي الذهبُ السَّبيك
على قُضُب الزبرجد شاهداتٌ بأن الله ليس له شريك!

أوْ تسمع لقول أبي العتاهية الشاعر الزاهد يودع ميتًا:

ألا إننا كلُّنا بائد وأي بني آدم خالد؟
وبدؤهم كان من ربهم وكلٌّ إلى ربهم عائد!
فيا عجبا كيف يُعصى الإلـ ـهُ أم كيف يجحدُه الجاحد؟
ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد!
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد[1]!

إلغاء الدين من حياة الإنسان وفكره ووجدانه:

هناك أناس لم يفكروا إلا فيما هو مرئيٌّ لهم، معلوم علمًا حِسِّيًّا، عرفوه بإحدى حواسهم الخمس ـ وربما كانت أكثر من خمس ـ ما عرفوه بهذه المدارك الواضحة لكل الناس فهو المعروف، وما خرج عن هذه الدائرة فهو المجهول.

فلا يقبل هؤلاء أن تناقشهم في أمر فوق ما يُبْصَر، وما يُسمَع، وما يُشمُّ، وما يُذاق، وما يُلمس.

لا تقل لهم ولا لغيرهم: إن هناك شيئًا اسمه «الدين»، يحمله الإنسان فكرة في رأسه، وعقيدة راسخة في نفسه، وسلوكًا منتظِمًا في حياته، مبنيًّا على أساس هذه الفكرة الرئيسية، وعلى أساس هذه العقيدة، ويتكيَّف

(١) ديوان أبي العتاهية صـ ١٢٢، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

الســلوك تبعًا للأوامر والنواهي، التي يجيء بها الديــن، ويصبح المرء متديِّنًا، بمقتضى التمسك بعقيدته وعبادته، وشريعته وأخلاقه.

والأديان أنواع، بعضها مســالم للأديان الأخرى، ومعظمها يحارب بعضها بعضًا، ويناقض بعضها بعضًا، ويتصارع بعضها مع بعض.

فهناك الأديان الوثنية، كالبوذية في الصين وكوريا، وكالهندوســية في الهند.

وهناك الأديان التوحيدية، التي ترفــض تعدد الإلهة، وتعلن أن الإله إله واحد، كالإسلام.

وهناك الأديان الكتابية: اليهودية والمسيحية والإسلام، التي لها كتب من عند الله، وهي التــوراة والإنجيل والقرآن، وكلها بــدأت بالتوحيد، ولكن بعضها انحرف في مسيرته.

وهناك الأديــان غير الكتابية، التــي لم ينـزل الله لهــا كتابًا مع نبي مرسل إلى الأمة أو إلى العالَم.

وهناك من يرفضون فكرة التدين أو الدين نفســها، من أساسها. إنها فكرة الملحدين، الذين ينكرون وجود الله، ولنبدأ بمناقشة هؤلاء أولًا.

مناقشة الملحدين الذين ينكرون وجود الإله:

يوجد في الدنيا أناس لا يؤمنــون بالدين، فلا عقيدة في القلب، ولا فكرة في الرأس، ولا شعورًا بأي طريقة من الطرق؛ لأنهم:

لا يؤمنون بالأسس والدعائم، التي يقوم عليها الدين، أي دين.

QaradawiBooks.com

لا يؤمنون بوجود إلــه للكون، واحد أو متعــدد، فليس لهذا الكون خالقٌ أنشــأَه من عدم، أو سوَّاه ونظَّمه، أو أجرى ســننه وقوانينه العامة، محكمة إحكامًا تامًّا، فمن رعاها رعته، ومن حفظها حفظته، ومن ضيَّعها ضيعته، مثــل قوانين الإغــراق والإحــراق، والأكل والشــرب، والنوم والتنفُّس، والقتل والجرح، وغيرها، مما يســمُّونه: سنن الله في الكون، ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

ناقشني واحد من هؤلاء مرة، فقال لي: هل تؤمن بالدين، أي دين؟ قلت له: نعم، أُومِنُ بالأديان السماوية كلها، التي أنـزلها الله على أنبيائه الكبار: موســى وعيســى ومحمد، أصحاب الكتب المعروفــة: التوراة والإنجيل والقرآن.

قال: وتؤمن بأن هذا الكون لــه إله، وهو إلهك أيضًا؟ قلت له: نعم، وأوقن بذلك يقينًا لا يعتريه شك.

قال: وهل رأيت هذا الإله بعينيــك؟ وهل يمكن أن تراه أنت، وأراه أنا، ويراه غيرنا كما نرى الموجــودات حولنا؟ قلت له: أنا لم أره بعينَيْ رأســي؛ لأنهما محدودتا الإدراك، وتحول دون رؤيتهما للأشياء حوائل، فهما لا تريان الأشــياء البعيدة، مع أنها موجــودة، وحين تركب الطائرة لا ترى المدن الكبيرة جدًّا وأنت محلق فــي الأعالي، وإذا رأيتها أحيانًا فكأنها علب الكبريت!

وكذلــك الأشــياء الصغيــرة لا تراهــا إلا بــالآلات المكبــرة «الميكروســكوب»، والأشــياء البعيدة لا تراها إلا بالتليسكوب. وعدم رؤيتك لها بعينك لا يعني أنها غير موجودة.

QaradawiBooks.com

ولذلك نحن المؤمنين بالله نقول: إننا سنرى ربَّنا في يوم القيامة، ولكن بأعين أخرى غير هذه الأعين الدنيوية، التي لم تعد تصلح لهذه الحياة الأخروية السعيدة، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

ما رأي الملحدين في هذا الكون العظيم البديع الذي هو في الحقيقة أعظم آية على وجود خالقه، ومدبِّره، ومنظِّم أمره، على أبدع نظام، وأروع إحكام؟!

ماذا يقول هؤلاء الملاحدة الجاحدون المنكرون لوجود الله في هذا الكون، الذي يقول المؤمنون: إن الله أحسن فيه خلْقَ كلِّ شيء، وأتقن فيه صنع كل شيء؟

إنهم يقولون بكل بساطة: الكون خلق نفسه! وكيف يخلق الشيء نفسه؟! العدم المطلق كيف يخلق وجودًا؟ وهو ليس مجردَ وجود، ولكنه وجود متنوع ومتفرع، ومتدرِّج ومتكامل، يأخذ بعضه من بعض، ويستمدُّ كلُّ جزء منه من الآخر أو الآخرين أو الأخريات.

هذا الوجود الكبير الهائل، الذي لا نرى إلا القليل منه، أعني من الوجود المادي، من فوقنا، ومن تحتنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، ومن بين أيدينا، ومن خلفنا. هذا الوجود في الأرض، وما في بطنها، والسماوات وما بينها، وما تحت الثَّرَى. هذه الكواكب التي نرى نورها بأعيننا، وبيننا وبينها مئات أو آلاف أو ملايين السنين الضوئية. السنة الضوئية يقيسونها بسرعة الضوء، وهي (٢٩٩,٧٩٢,٤٥٨) كم/ثانية.

قالوا: إننا لا نرى إلا ثلاثة في المائة (٣٪) مما في هذا الكون بكل ما أصبح في أيدينا من مقاييس هائلة، ومن أدوات خطيرة، ومن آلات قرَّبت البعيد جدًّا، وكبَّرت الصغير آلاف المرات.

QaradawiBooks.com

كل الناس في العالم حاولوا أن يشكِّكوا في عقلية هؤلاء الملاحدة الجاحدين. قالوا: إن هؤلاء فقدوا عقولهم التي خلقهم الله بها، وبها يهتدون إلى معايشهم، وإلى التعامل مع أصناف الناس الآخرين.

قال الملاحدة وهم قلة، للمؤمنين وهم كثرة بالغة: بأي وسيلة عرفتم أن هذا الكون لم ينشأ وحده؛ إنما أنشأه خالق، هو الذي شاء أن يخلقه، وقدَّر أن يخلقه، كيف شاء، حدد موعد خلقه، ووضع له القوانين التي سيمضي عليها، وخلقه أصنافًا شتى، منهم الظاهر، ومنهم الباطن، منهم الخيِّر، ومنهم الشرير، ومنهم الذي يصلح لكلا الأمرين؟

ثم هذا الخالق الكبير العظيم، الذي تقولون: إنه لا حد لعظمته، ولا مقدار لكِبَره، ولا يستطيع أحد وصفه؛ لأنه لا يشبه شيئًا ممَّا نعرفه نحن، ولا من قبلنا، ولا من هم مثلنا، ولا من هم أقوى منا، من خلائق أخرى، قد تكون موجودة، ولكننا لا نراها، فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، كما يقول القرآن، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

ليس هو مثل هذه المخلوقات التي نعرفها من الحيوانات والوحوش والزواحف والحيوانات البرية والمائية، والكائنات الصغيرة، التي لا تُرى إلا بأجهزة التكبير.

هذا الكائن الأعلى، الذي تقولون: إنه خالقنا، وخالق كل ما حولنا، ومن حولنا، مما نعرف، وما لا نعرف، مما نعقل، وما لا نعقل، مما ندري، وما لا ندري، هو الذي تسمونه بلغتنا، التي نقرأ بها ونكتب: «الله».

QaradawiBooks.com

دلالة الفطرة السليمة:

قال الملاحدة، وهم قوم صرحاء، مجاهرون بما يناقض عقائد الأكثرين في بلادهم، وفي العالم كله من حولهم: هاتوا لنا دليلًا واحدًا، يثبت أن لهذا العالم ربًّا خلقه، وهو يحفظه ويمده بكل ما يحتاج إليه، ويعينه على الاستمرار، ويمده بكل أسباب النمو والبقاء والتحدي، هاتوا لنا ـ أيها المؤمنون ـ دليلًا واحدًا يقنعنا، ويقنع غيرنا من الجاحدين: أن لهذا الكونِ كلِّه في برِّه وبحره وجوِّه، وفي أرضه وسمائه، وما فوقها، وفي كل جوانبها المنظور منها، وغير المنظور: ربًّا، هو الخالق البارئ المصور!

قال المؤمنون بالله من أصحاب الأديان المختلفة: عندنا بدل الدليل الواحد عدد من الأدلة؛ أول دليل نرفعه أمامكم، ونحن نشعر به في أعماقنا، ونحس به كأنما يتكلم في صدورنا، بلغة بسيطة نسمعها ونفهمها ونتذوقها، سهل علينا منطقها، إنه صوت الفطرة، الطبيعة التي خلقنا الله عليها، لم يخلقها آباؤنا ولا أمهاتنا، ولا المعلمون أو المعلمات في مدارسنا، بل هي مغروسة غرسًا في كيان كل مِنَّا ووجدانه.

قد يغالط الإنسان نفسه، فيحاول اجتثاث هذا الصوت، وإسكاته وهو جهير، سرعان ما ينطق إذا سأل سائل فجأة: من الذي خلق السماوات والأرض، وخلقك وخلق أباك وجدَّك؟ فهناك يقول بسرعة: خلقهم الله سبحانه!

ربما تنطمس فطرته إذا تراكمت عليها الشهوات الهابطة، والغفلات المُضِلَّة، والأهواء الضارية، ولكنها سرعان ما تجد معينات تنبثق من النفس ومن الحياة، فتُنطقها وتُنعشها، وتُحييها وتُنمِّيها.

QaradawiBooks.com

وقد يجترئ الإنسان على الإنكار والجحود، حين تغُرُّه نفسه الأمَّارة بالسوء، أو يغرُّه الشيطان الذي يكيد له كيدًا، أو يغرُّه أصدقاء السوء، الذين لا يضمرون له إلا الشر، ولكن سرعان ما تزول هذه النزغات السيئة من النفس وممَّا حولها، وخصوصًا حينما تنزل بالإنسان بلية من بلايا الدنيا، فإذا الدنيا حوله تترنح، وإذا الحياة كلها تتغير، وإذا الرياح تَهُبُّ، وإذا الأرض تهتزُّ، وإذا الموج يضطرب، وإذا السفينة تموج، وإذا البحر يهيج، وإذا الموت يقترب، وإذا كل ما حولك يضيق، هنا تظهر الفطرة الحقيقية، حين ذاب الطلاء الكاذب، واختفى مِنْ فوق السطح، وظهرت طبيعة الإنسان الحية الناطقة تنادي: يا رب، يا رب، نجِّنا من هذا الكرب.

وهو ما صوره القرآن في سورة يونس، حين قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢].

هذا الركن الركين في داخل الإنسان هو الذي نسمِّيه «الفطرة» أو الطبيعة، التي خلق الله عليها كل الناس، سواء أكانوا متعلمين أم أميِّين، ما لم تغيِّرْها عوامل بيئية من ناحية الآباء أو الأمهات، أو العائلات، أو المدرسة، أو البيئة التي تفسد الفطرة وتعلي عليها الأمور المتكلفة الفجَّة، التي اصطلحت عليها، واختارتها البيئات الفاسدة.

وقد حذَّرنا القرآن الذي أنزل على النبي الخاتم محمد ﷺ، من انقلاب الفطرة إلى ضدها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ

QaradawiBooks.com

﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]. وقال رسول الإسلام محمد ﷺ الذي ختم الله به النبيين في الفطرة: «**كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه**»(١).

دلالة الكون على الله:

كما أن الفطرة البشرية السليمة إذا تُركت ونفسها بدون مؤثر، اهتدت إلى وجود الله سبحانه، فإن العقل السليم بأدنى تأمل وتفكُّر مُجرَّد عن الهوى والتقليد والعصبية، ينتهي حتمًا إلى نتيجة ناصعة هي: وجود الله ﷻ.

ومجال التفكر والتأمل للعقل هو هذا الكون الكبير، بسماواته وأرضه، بإنسانه وحيوانه، ونباته وجماده، بكل ما فيه من الذَّرة إلى المجرَّة، ومن الخلية الواحدة إلى أرقى أشكال الحياة.

والمتأمل في هذا الكون ـ بما فيه الإنسان ـ يجد فيه أربعة أدلة رئيسية تهديه إلى ربه الأعلى، هذه الأدلة هي: الخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية.

إن كل شيء في هذا الكون الكبير ـ إذا تأمله الناس حق التأمل ـ يأخذ بأيديهم إلى الله، ويدلهم على وجوده، بل على وحدانيته وتفرده بالملك والتدبير، كما يدلهم على أسمائه الحُسنى وصفاته العليا.

والإنسان نفسه آية فريدة، دالة على الله، فهو وحده عالَم خاص، اجتمع له من حسن الصورة، ومن قوى الإدراك والشعور والبصيرة ما لم يحظَ به غيره.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولهذا يوجِّه العقلاءُ الإنسانَ إلى النظر والتفكُّر في نفسه، وفيما يحيط به من عوالم، موقنين بأن هذا النظر والتفكر جدير بأن يهديه إلى الحق، ويسوقه إلى الخير، بما يرى ويلمس من آيات الله في الأنفس والآفاق.

وكذلك كتب السماء التي أنزلها الله على الرسل، ويؤمن بها المؤمنون بالأديان السماوية، كلها تحض على ما دعا إليه ذوو العقل والحكمة في العالم من ضرورة النظر فيما اشتمل عليه الكون من آيات وأدلة، عرفها العلماء ودرَّسوها، وجعلوها مناراتهم الهادية في الدلالة على وجود رب كبير لهذا العالم.

الأدلة الكونية الأربعة:

والمتأمل في هذا الكون ـ بما فيه الإنسان ـ يجد فيه أربعة أدلة رئيسية تهديه إلى ربه الأعلى. هذه الأدلة هي: الخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية.

وسنكتفي هنا بالحديث عن دليلين من بين هذه الأدلة، وهما: الخلق والتسوية.

دليل الخلق:

المراد بالخلق هو الإيجاد والإحداث والاختراع، أي إبراز الشيء من العدم إلى الوجود.

وذلك مثل: خَلْق الحياة في الكائنات الحية على ظهر الأرض التي بَثَّ فيها من كل دابة، وأنبت فيها من كل زوج بهيج، ومثل خلق الإنسان العاقل الذي لم يكن شيئًا مذكورًا ثم كان. وهو ما نبَّه عليه القرآن في

QaradawiBooks.com

أول سورة أنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١، ٢]. ومثل خلق السماوات والأرض، وهو أكبر من خلق الناس، وقد دلَّنا علم الفلك الحديث على عِظم الأجرام العلوية، وسعة المسافات بينها، حتى إنها لتقاس بملايين السنين الضوئية.

تُرى، مَنْ خالق الحياة على هذه الأرض؟ ومَنْ خالق هذا الإنسان العاقل المفكِّر؟ ومَنْ خالق هذا الكون كله بأرضه وسمائه؟ هل وُجِدت الحياة، ووُجد الإنسان، ووُجِدت المخلوقات العُلوية والسفلية وحدها بلا مُوجِد، أم لا بد لها من خالق أوجدها؟ ومَنْ هو؟

ماذا يقول الملحدون في ظهور الحياة لأول مرة على هذا الكوكب؟

إن ظهور الحياة من المادة الصمَّاء وَضَع الماديين أمام مشكلة لم يجدوا لها حلًّا ولا تفسيرًا، إلا على نحو ما قال الشاعر:

وبات يقدح طولَ الليل فكرتَه وفسَّر الماء بعد الجَهْد بالماء

من ذلك ما قاله بعضهم: إن الحياة انتقلت إلى الأرض من العالم العُلوي عن طريق نيزك من النيازك الهائمة في الفضاء، ولكن السؤال يبقى: ومن خَلَق الحياة هناك في عالم الأفلاك، أو في أي كوكب من الكواكب؟

وقال بعضهم: إن المادة فيها طبيعة الحياة، بعد تركيب وتناسق خاص. ولكن السؤال يبقى أيضًا: ومَن ركَّبها ونسَّقها وهي مادة عمياء صمَّاء؟

«ولا يسع العقل في أمر ظهور الحياة إلا أن يأخذ بأحد قولين: فإما أنها خاصة من خواصِّ المادة ملازِمة لها، فلا حاجة بها إلى خالق مريد. وإما أنها من صنع خالق مريد يعلم ما أراد.

QaradawiBooks.com

فإذا كان العالَم كله مادة، ولا شـــيء غير المادة، لزم من ذلك أن المادة أزليـــة أبدية، لا أول لهـــا ولا آخر، وأنها موجـــودة منذ الأزل بكامل قواهـــا، وجملة خصائصها، وأن خصائصهـــا ملازمة لها حيث كانت، بدون تفرقة بين المادة في هذا الكون من الفضاء، والمادة في غير هذا المكان.

ولا معنى ـ إذن ـ لظهور الحياة فـــي كوكب دون كوكب، وفي زمان دون زمان، ولا معنى لأن تظل خصائص الحياة بلا عمل ملايين الملايين من الســـنين، بل فوق ملايين الملايين من حساب السنين، ثم تظهر بعد ذلك في زمان يُحســـب تاريخه بـــالآلاف، ولا يقاس إلـــى الأزل الذي لا يدخل في حساب.

فلماذا تأجَّلـــت خصائص الحياة كل هذا الزمـــان الذي لا يدخل في حصر ولا إحصاء؟ ولماذا اختلف التوزيـــع والتركيب في أجزاء الفضاء وآمـــاد الزمان؟ ولمـــاذا جاءت هـــذه الحيـــاة مصادفة، ثـــم دامت هذه المصادفة، بكل ما يلزم لها من تدبير، وليس للمادة الصمَّاء تدبير؟

على العقل أن يُبدي أسبابه لترجيح القول بهذه الفروض على القول بظهور الحيـــاة من صنع خالق مريد. ولا نعرف أســـبابًا لترجيح الفرض العسير على الفرض اليسير.

والفرض اليسير هو الفرض الآخر، وهو أن الحياة ظهرت من صنع خالق مريد»[1].

(١) الله للعقاد (٢٥٧/١، ٢٥٨) بتصرف يسير، ضمن موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

إن هذا الفرض اليسـير هو الذي يحُلُّ لغز ظهـور الحياة من المادة الصمَّـاء، أو بعبارة أخرى خروج الحي من الميـت، ويحل لغز الوجود كله، حين يستجيب المرء إلى صوت البداهة والعقل، ويرد الخلق والأمر كله إلى الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

أسماء عدة لدليل الخلق:

هذا الدليل يسمى دليل «الخلق»، أو دليل «الإبداع»، أو «الاختراع»، كما سمَّاه فيلسوفنا الكبير ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ).

وقد يوجد في صورة أخرى، فيسـمى دليل «الحركة»، سواء أكانت الحركة بمعنـى الانتقال من مكان إلى مـكان، أم الانتقال من حال إلى حال، أو الحركة بمعنى الانتقال من حيِّز الإمكان إلى حيِّز الوجود.

وفحوى الدليل: أن كل متحرك لا بد له من محرِّك، وأن هذا المحرِّك لا بد أن يستمد الحركة من غيره. وهكذا إلى أن يقف العقل عند محرِّك أزلي قائم بذاته، غير محتاج إلى غيره، وإلا لزم الدَوْر أو التسلسـل إلى ما لا نهاية، وكلاهما باطل، وذلك المحرِّك هو الله.

وقد عرضه المتكلِّمون في صورة ثالثة وسمَّوْه دليل «الحدوث».

قالوا: العالم متغيِّـر، وكل متغير حادث، وكل حـادث لا بد له من مُحدِث. ولا بد أن يقف العقل عند مُحدِث غير حادث، وإلا لزم الدَّوْر أو التسلسل المحالان. وذلك المُحْدِث هو الله.

QaradawiBooks.com

والعلم الحديث يقر بحـدوث العالم، ويرجع حدوثـه إلى ملايين يقدِّرها من السنين.

وعرضه الفلاسفة الإسـلاميون ـ كالفارابي وابن سينا ـ في أسلوب آخر وسمُّوه «دليل الإمكان».

وفحوى هذا الدليل: أن الموجودات ـ حسب القسمة العقلية ـ إما أن تكون واجبة الوجود جميعًا ـ وواجب الوجود هو الذي لا يتصور العقل عدمه، لاستلزام المحال ـ وإما أن تكون ممكنة الوجود، على معنى: أنها يمكن أن توجد وألا توجد، فليس هنـاك عِلَّة لذاتها تقتضي وجودها أو عدمها، وإما أن يكون بعضها واجبًا وبعضها ممكنًا.

ومحال أن تكون كلها واجبة الوجود؛ لأنها بين متحركة تحتاج إلى محرِّك، وبين مركَّبة تحتاج إلى علة لتركيبها، ولا بد أن تسبقها أجزاؤها.

ومحال أن تكون كلها ممكنـة الوجود؛ لأن الممكن يحتاج إلى علة تخرجه من حيِّز الإمكان إلى حيِّز الفعل.

بقي الفرض الثالث: وهو أن يكون بعضهـا ممكن الوجود، وهو هذا العالـم، وبعضها واجـب الوجود، وهو الله، وهو السـبب الأول لوجود هذا العالَم. ومن المحال أن يكون مسـبوقًا؛ لأن الذي يسـبقه يكون أولَى بالوجوب.

دليل التسوية:

وإذا كان الخَلق يدل على الله، فالتسـوية أدلُّ عليه، والتسوية أخص من الخَلق، إذ من الممكن أن يُخلق الشيء غير مسوَّى.

QaradawiBooks.com

وهذا الدليل أقرب إلى ما سـمَّاه فليسوفنا الإسلامي ابن رشد: دليل «العناية»، وهو الدليل الآخر الذي اهتم به القرآن مع الاختراع.

ومعنى تسوية الشيء: إحسـان خَلقه، وإكمال صنعته، بحيث يكون مهيَّأً لأداء وظيفته، وبلوغ كماله المقـدَّرِ لنوعه، وإمداده بما به صلاحه وبقاؤه، وجعله مستويًا معتدلًا، متناسب الأجزاء، بحيث لا يحصل بينها تفاوت يخل بالمقصود منها.

والقرآن يعبِّر عن هذه التسـوية بعبارات مختلفـة الألفاظ، متقاربة الدلالة على المقصود، مثل الإحسـان في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السـجدة: ٧]. والإتقان في قوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. وإعطاء كل شيء خلقه في قوله تعالى على لسان موسى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ومعنى إعطائه خلقه: إعطاؤه من الخَلق والتصوير ما يصلح به لما خُلِق له.

كما عبَّر القرآن عن هذه التسـوية بنفي التفاوت في خَلق الله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

وهذه التسـوية ظاهرة فـي الكائنات كلها على وجـه العموم، وفي الكائنات الحية على وجه الخصوص، وفي الإنسان على وجه أخصّ.

(أ) فالأرض ـ مثلًا ـ قد سوَّاها صانعها، بحيث تصلح مهادًا ومستقرًّا لنوع الإنسان، فلهذا مدَّها وبسـطها، وجعلها ذلولًا، وألقى فيها رواسي كالأوتاد لها، حتى لا تميـد، وباركَ فيها وقدَّر فيهـا أقواتها، فلو كانت قشرة الأرض كلها صخرية، أو كلها يابسة، أو كلها محيطات، ما صلحت للإنبات وإخراج الثمرات.

QaradawiBooks.com

ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي بمقدار بضعة أقدام لامتصَّت ثاني أكسيد الكربون والأكسجين، ولما أمكن وجود حياة للنبات.

(ب) وكل ما على الأرض من كائنات حية قد سُوِّيت خلقته، وأحكمت صنعته، بحيث يؤدي وظيفته في يسر وسهولة.

فالجمل ـ مثلًا ـ قد أُعْطِيَ الصورة الخَلْقية التي تلائم عيشته وأسفاره الطويلة في الصحراء، فلهذا خُلق برقبة طويلة، تُعلى رأسه، وتنأى بعينيه عن غبار الرمَال، كما مُنِحَ شفةً مشقوقة يستطيع أن يتناول بها أشواك البوادي دون أن تؤذيه، وأُعطي سَنامًا يختزن فيه الدهن إن أعوزه الطعام يومًا في الصحاري القاحلة، ولم تنته رجله بحافر يغوص في الرمال كحوافر الخيل والبغال والحمير، بل انتهت بخُفٍّ يقدر به على اجتياز الرمال دون أن يسوخ فيها، ولهذا سمُّوه «سفينة الصحراء». وهكذا نجد أثر التسوية في كل الأحياء.

فكل حي أُعطي الوسائل التي يحصل بها على غذائه الملائم، وأعطي من الأجهزة ما يهضم به هذا الطعام.

فالحيوانات المفترسة أُعطيت من الأنياب والمخالب ما تتمكَّن به من الافتراس، كما كُوِّن جهازها الهضمي بحيث يهضم اللَّحم النِّيء.

والأنعام التي تأكل العُشب أُعطيت كَرِشًا كبيرًا يُعد بمنزلة «مخزن» لما تلتهمه بسرعة، إلى أن تجترَّه وتُعيد مضغه مرة أخرى.

والطير أُعطيت مناقير تساعدها على التقاط غذائها، واتخذ المنقار صورة من الطول أو القِصَر أو الاستدارة أو غيرها، بما يناسب نوع الغذاء الذي يلائمه.

QaradawiBooks.com

كما زُوِّدَت الكائنات الحية جميعها بأسـلحة مناسـبة تدافع بها عن نفسـها في صراع البقاء بينها وبيـن غيرها. فالناب سـلاح، والمخْلب سلاح، والقرن سلاح، والسُّم سلاح، والمِنقار المدبَّب سلاح، والزعانف الحادَّة سلاح، وسرعة العَدْو سلاح، والقدرة على الطيران سلاح، والقدرة على الاختفاء سلاح، ولولا هذه الأسلحة التي زُوِّدَت بها تلك الأحياء، لأفنى قويُّها ضعيفَها، وأباد كبيرُها صغيرها.

(جـ) تسوية الإنسان: وحين ندع الطبيعة وندع الحيوانات وما سُوِّيت له، ونرتقي إلى الإنسـان، نجد مظاهر التسوية وأماراتها أوضح وأعظم، فقد خُلِق الإنسان في أحسن تقويم.

إن الإنسـان قد خُلِـق لمهمة جليلـة، وهي السـيادة على الأرض والخلافة فيها. ولهذا أُعْطِيَ من الخصائص والمميزات، والأجهزة المادية والروحية، ما يعينه على أداء وظيفته، وييسر له سبيل مهمته.

ولو نظرنا إلى التكوين البدني للإنسـان لرأينا العجب العجاب من عظمة التسوية، ودقة التصميم، وتناسـق الأجهزة المختلفة، التي لا يُعد شـيئًا بجانبها تصميمُ أي جهاز يخترعه إنسـان منا، فتُدهش له العقول، وتنطلق بمدحه الألسنة والأقلام.

الجهـاز العضلي، والجهـاز الهضمي، والجهاز الدمـوي، والجهاز التنفسـي، والجهاز التناسـلي، والجهاز اللَّمفـاوي، والجهاز العصبي، والجهاز البولي، وأجهزة الذَّوق والشم والسمع والبصر. كل منها آية من الآيات، تشهد بها العقول، وتخشع لها القلوب.

تقول مجلة العلوم الإنجليزية: «إنَّ يدَ الإنسان في مُقدمة العجائب الطبيعية الفذَّة، وإنَّه من الصَّعب جدًّا ـ بل من المستحيل ـ أن تُبْتكرَ آلة

QaradawiBooks.com

تضارع اليد البشرية من حيث البساطة والقُدرة وسرعة التكيُّف، فحينما تريد قراءةَ كتاب، تتناوله بيدك، ثُمَّ تثبته في الوضع الملائم للقراءة، وهذه اليد هي التي تُصَحِّح وضعَه تلقائيًّا، وحينما تُقلِّب إحدى صفحاته تضع أصابِعَك تحت الورقة، وتضغط عليها بالدرجة التي تقلِّبُها بها، ثم يزول الضغط بقلب الورقة، واليد تُمْسِك القلم وتكتب به.

وتستعمل كل الآلات التي تلزم الإنسان، من ملعقة، إلى سكين، إلى آلة الكتابة، وتفتح النوافذ وتغلقها، وتحمل كلَّ ما يريده الإنسان.

واليدان تشتملان على سبع وعشرين عظمة، وتسع عشرة مجموعة من العضلات لكل منهما»[١].

«وإنَّ جزءًا من أذن الإنسان ـ الأذن الوسطى ـ هو سلسلة من نحو أربعة آلاف حنيَّة (قوس) دقيقة معقَّدة، متدرِّجة بنظام بالغ في الحجم والشكل، ويُمكن القول بأنَّ هذه الحنِيَّات تشبه آلة موسيقية. ويبدو أنَّها مُعَدَّة بحيث تلتقط وتنقل إلى المخ بشكلٍ ما كُلَّ وَقْعِ صوتٍ أو ضجَّة، من قصف الرَّعد إلى حفيف الشجر. فضلًا عن المزيج الرائع من أنغام كل أداة موسيقية في الأوركسترا ووحدتها المنسجمة»[٢].

«ومركز حاسة الإبصار في العين التي تحتوي على مائة وثلاثين مليونًا من مستقبلات الضوء ـ وهي أطراف الأعصاب ـ ويقوم بحمايتها الجفن والأهداب، الذي يقيها ليلًا ونهارًا، والذي تعتبر حركته لا إرادية،

(١) الله والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل صـ ٦١، نشر دار الشروق، القاهرة.

(٢) العلم يدعو إلى الإيمان أ. كريسي موريسون صـ ١٢١، ترجمة أ. محمود صالح الفلكي، الفصل الثامن: غرائز الحيوانات.

QaradawiBooks.com

الذي يمنع عنها الأتربة والذرات والأجسام الغريبة، كما يكسر من حدة الشـمس بما تلقي الأهداب على العين من ظلال. وحركة الجفن علاوة على هذه الوقاية تمنع جفاف العين، أما السائل المحيط بالعين ـ والذي يُعرف باسم الدموع ـ فهو أقوى مُطهِّر»[١].

«وجهاز الذَّوْق في الإنسان هو اللسان، ويرجع عمله إلى مجموعات من الخلايا الذوقية القائمة في حلمات غشائه المخاطي. ولتلك الحلمات أشـكال مختلفة؛ فمنها الخيطية والفطرية والعدسـية، ويغذي الحلماتِ فروعٌ من العصب اللساني البلعومي، والعصب الذوقي، وتتأثر عند الأكل بالأعصاب الذوّاقة، فينتقل الأثر إلى المخ.

وهذا الجهاز موجـود في أول الفم، حتى يمكن للإنسـان أن يلفظ ما يحس أنه ضار بـه، وبه يحس المـرء المرارة والحـلاوة، والبرودة والسخونة، والحامض والمالح، واللَّاذع ونحوه.

ويحتوي اللسان على تسعة آلاف من نتوءات الذوق الدقيقة، يتصل كل نتوء منها بالمخ بأكثر من عصب. فكم عدد الأعصاب؟ وما حجمها؟ وكيف تعمل منفردة، وتتجمع بالإحساس عند المخ؟»[٢].

«ويتكون الجهاز العصبي ـ الذي يسـيطر على الجسم سيطرة تامة ـ من شعيرات دقيقة، تمر في كافة أنحاء الجسم، وتتصل بغيرها أكبر منها. وهذه تتصـل بالجهاز المركـزي العصبي؛ فإذا ما تأثر جـزء من أجزاء الجسم، ولو كان ذلك لتغيُّر بسـيط في درجة الحرارة، بالجو المحيط، نقلت الشعيرات العصبية هذا الإحساس إلى المراكز المنتشرة في الجسم.

(١) الله والعلم الحديث صـ ٥١.

(٢) الله والعلم الحديث صـ ٦٠، ٦١.

QaradawiBooks.com

وهذه توصل الإحساس إلى المخ حيث يمكنه أن يتصرف. وتبلغ سرعة سريان الإشارات والتنبيهات في الأعصاب مائة متر في الثانية»[١].

«ونحن إذا نظرنا إلى الهضم على أنه عملية في معمل كيماوي، وإلى الطعام الذي نأكله على أنه مواد غفل، فإننا ندرك توًّا أنه عملية عجيبة؛ إذ تهضم تقريبًا كل شيء يؤكل ما عدا المعدة نفسها!

فأولًا نضع في هذا المعمل أنواعًا من الطعام كمادة غُفْل، دون أي مراعاة للمعمل نفسه، أو تفكير في كيفية معالجة كيمياء الهضم له، فنحن نأكل شرائح اللحم والكرنب والحِنْطة والسمك المقلي، وندفعها بأي قدر من الماء.

ومن بين هذا الخليط تختار المعدة تلك الأشياء التي هي ذات فائدة؛ وذلك بتحطيم كل صنف من الطعام إلى أجزائه الكيماوية دون مراعاة للفضلات، وتعيد تكوين الباقي إلى بروتينات جديدة، تصبح غذاءً لمختلف الخلايا، وتختار أداة الهضم الجير والكبريت واليود والحديد وكل المواد الأخرى الضرورية، وتعنى بعدم ضياع الأجزاء الجوهرية، وبإمكان إنتاج الهرمونات، وبأن تكون جميع الحاجات الحيوية للحياة حاضرة في مقادير منتظمة، ومستعدة لمواجهة كل ضرورة، وهي تخزن الدهن والمواد الاحتياطية الأخرى، للقاء كل حالة طارئة، مثل الجوع، وتفعل ذلك كله بالرغم من تفكير الإنسان أو تعليله.

إننا نصب هذه الأنواع التي لا تحصى من المواد في هذا المعمل الكيماوي، بصرف النظر كلية تقريبًا عما نتناوله، معتمدين على ما نحسبه عملية ذاتية (أوتوماتيكية) لإبقائنا على الحياة.

---

(١) الله والعلم الحديث صـ ٥٤.

QaradawiBooks.com

وحين تتحلل هذه الأطعمة وتجهز من جديد، تقدم باستمرار إلى كل خلية من بلايين الخلايا، التي تبلغ من العدد أكثر من عدد الجنس البشري كله على وجه الأرض. ويجب أن يكون التوريد إلى كل خلية فردية مستمرًّا، وألا يورد سوى تلك المواد التي تحتاج إليها تلك الخلية المعينة لتحويلها إلى عظام وأظافر ولحم وشعر وعينين وأسنان، كما تتلقاها الخلية المختصة.

فهاهنا ـ إذن ـ معمل كيماوي ينتج من المواد أكثر مما ينتجه أي معمل ابتكره ذكاء الإنسان.

وهاهنا نظام للتوريد أعظم من أي نظام للنقل أو التوزيع عرفه العالم، ويتم كل شيء فيه بمنتهى النظام»[(١)].

«ومنذ الطفولة إلى سن الخمسين مثلًا، لا يُخطئ هذا المعمل خطأً ذا بال، مع أن المواد نفسها التي يعالجها يمكن أن تكون بالفعل أكثر من مليون نوع من الجزئيات، وكثير منها سام.

يقول الأستاذ «أ. ك. موريسون»: إن شرح العمل العجيب الذي يقوم به معمل المعدة، ومثل هذه المجموعة من المعجزات، لا يوجد، ولا يمكن أن يحدث بأي حال، في غيبة الحياة. وكل ذلك يتم في نظام كامل، والنظام مضاد إطلاقًا للمصادفة، أليس ذلك من صنع الخالق؟!»[(٢)].

(د) على أن هناك شيئًا هو أجلُّ من كل ما ذكرناه من مظاهر التسوية في خَلق الإنسان، ذلك هو العقل.

(١) العلم يدعو إلى الإيمان صـ ١٥٥، ١٥٦، فصل: أعظم معمل كيماوي في العالم.
(٢) العلم يدعو للإيمان صـ ١٥٧.

QaradawiBooks.com

إن الإنسان لم يُمنح قوة عضلية كقوة الثور، ولا سرعة في العدو كسرعة الحصان، ولا صبرًا على المشقة كصبر الجمل، ولا أجنحة يُحلِّق بها كأجنحة الطير، ولا أنيابًا ومخالب كأنياب الأسد، ولا أعينًا ميكروسكوبية (مكبِّرة) كأعين الحشرات الدقيقة، ولا بصرًا تلسكوبيًّا (مقرِّبًا مكبِّرًا) كبصر الصقور، ولا غرائز هادية كغرائز النحل والنمل والحمام الزاجل.. ونحوها.

ولكن الواقع أن الإنسان أُعْطِي ما هو أعظم ممَّا أُعطيت هذه الأمم من الحيوان والطير مجتمعة، أُعطي العقل المفكِّر، وأُعطي الروح المُبْصِر.

لقد استطاع بعقله أن يستأنس الثور والحصان والجمل، وغيرها من الدواب الضخمة في جثتها، القوية في بدنها، وأن يُسخِّرها في حاجاته ومعيشته.

واستطاع أن يصنع لها عجلة تجرها، فتضاعف قوتها وسرعتها، وبهذا أطال الإنسان في سيقانها، وقوَّى من ظهورها.

واستطاع الإنسان بما اخترعه من أجهزة ميكانيكية أن يطوي المسافات الشاسعة في الزمن القليل، وأن يضرب بين القارات حتى جعل العالم «قريته الكبرى»، وأن يجعل كل عمله اليدوي إدارة الأجهزة والسيطرة عليها.

استطاع أن يغوص في البحار كالحيتان، وأن يحَلِّق في الهواء كالطيور، بل فاق الحيتان وسبق الطيور.

لقد تحكَّم الإنسان في قوة الطبيعة، ونسف الصخور، وشق الأنهار، واستخدم البخار والغاز والكهرباء، وفَجَّر ـ أخيرًا ـ الذَّرة، وغزا الفضاء

QaradawiBooks.com

الفسيح، وحاول الصعود إلى الكواكب، وصنع هذا الشيء العجيب المدهش «الكمبيوتر».

إن الإنسان لم يُمنح عينًا ميكروسكوبية (مكبِّرة) كأعين الحشرات الدقيقة، ولا بصرًا تلسكوبيًّا (مقرِّبًا مكبرًا) كبصر الصقر ـ كما ذكرنا ـ ولكنه استطاع بعقله أن يصنع «ميكروسكوبًا» كهربائيًّا يرى به «بكتريا وفيروسات» كانت غير مرئية.

واستطاع بتلسكوبه أن يبصر «سَدِيمًا» بلغ من الدِّقة والصغر أنه يحتاج إلى مضاعفة قوة إبصاره مليوني مرة ليراه.

ولم يُمنح الإنسان حاسة فائقة للسمع، كما أعطيت الحيوانات التي تسمع أصواتًا خارج دائرة الاهتزازات الخاصة بنا. ولكنه استطاع أن يسمع بالآلات أصواتًا على بُعد أميال، كما لو كانت فوق طبلة أذنه، ويستطيع بمثل تلك الأدوات أن يُسجِّل وقع شعاع الشمس.

فهل يكون كل هذا العمل العجيب للعقل الإنساني ليس إلا نتيجة تفاعل في المادة ـ التي يتكون منها الجسم ـ وقع بالمصادفة العمياء؟!

ما موقف الماديين أمام هذه الأدلة؟!

والآن بعد هذا العرض والإيضاح، ما موقف الماديين المنكرين أمام دلالة الكون الصادقة وآياته الناطقة؟ ما موقفهم أمام البرهان الكوني بشعبه وفصائله، أمام ما ذكرنا منها وما لم نذكر؟ أيجحدون الخلق في هذا العالم؟ أم يجحدون التسوية والإحكام؟

إنهم إن جحدوا ذلك فقد أنكروا البداهة والحس والمشاهدة، وأنكروا كل آثار العلم وتجاربه وملاحظاته.

QaradawiBooks.com

أم تراهم يقرُّون بالخَلق والتسوية، ثم يقفون عند هذا الحد؟ فأي منطق إذن يحتكمون إليه، أو أي علم يستندون إليه؟ أخَلْقٌ ولا خالق، وتسوية ولا مسوٍّ؟!!

أما العقل والعلم والبصيرة والمنطق، فلا تملك إلا أن تتلو قول الله جلَّ شأنه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٣].

زعم المصادفة:

سيقول الماديُّون المنكرون لوجود الله: إن وجود الخالق الذي يؤمن به المتدينون، ليس ضرورة عقلية لتفسير ما في الكون من خَلْق وتسوية ـ مما ذكرنا ـ وتقدير وهداية لم نذكرها، إذ يمكن أن يكون كل هذا العالَم بما فيه من الحياة والعقل، وما فيه من الإحكام والتناسق والتوازن الذي تحكمه سنن مطردة، وقوانين في غاية الدِّقة، إنما وُجِد بمحض المصادفة والاتفاق والاعتباط. وضربوا لذلك مثلًا: صندوقًا من الحروف الأبجدية، يُعاد تنضيده مئات المرات، وألوف المرات، وملايين المرات، على امتداد الزمان الذي لا تحصره السنون ولا القرون، فلا مانع أن تُسفر هذه التنضيدات المتكررة في مرة من المرات عن مقالة جيدة، أو قصيدة رائعة، ولا عمل في إتقان حروفها على هذه الصورة لغير المصادفة المحض.

الرد على دعوى المصادفة:

وردُّنا على هؤلاء:

أولًا: إن القول بالصدفة والاعتباط ينافي البداهة والفطرة، التي تؤمن بالسببية إيمانًا أوليًّا لا يحتاج إلى تعلُّم أو تلقين، إن الذي أودع في ذات الإنسان ذلك الشعور القوي العميق بوجود الله، الذي نسميه «الفطرة»،

QaradawiBooks.com

أودع كذلك في عقله قانونًا مطردًا ثابتًا يهـدي إليه ﷻ، وهو ما يُعرف بقانون «السببية» أو «العِلِّية».

ومعنى هذا القانون: أن العقل البشري ـ بدون تلقين ولا تعليم ـ يوقن أن لكل شيء في الوجود سببًا، وأن لكل معلول علة، ولكل فعل فاعلًا، ولكل أَثَرٍ مؤثرًا، وأن شيئًا ما لا يصدر عن غير سبب.

حقيقة نلمسـها في أنفسنا، ونشـاهدها في أطفالنا، دون أن نُعلِّمهم إياها. ولهذا نرى الطفل كثير التساؤل عن سبب كل شيء من الجزئيات التي حوله، ومن الأطفال من يرهق والديه بكثرة الأسـئلة عن الأسباب، وأسـباب الأسـباب حتى يقف عند سـبب مقنع. كل ذلك؛ لأن العقل الفطري يؤمن بالسـببية في حدوث الأشياء، ولا يؤمن بالوجود المعتبط لها، ولا بأنها تسير بالاحتمالات والصدفة والجزاف.

فإذا أدرك عقل الناشـئ الكـون كله وحدة واحـدة، وجاوز مرحلة الوقوف عند الجزئيات، سـأل السـؤال الأكبر الذي ما خُلِق إلا ليسأله ويُجيب عليه وهو: من خَلَق هذا الكون؟

إن قانون «السـببية» المركوز في فطرته، هو الذي جعله يسأل هذا السـؤال، ولا يعتقد أن هذا الكون وُجِد وحده، بـلا مُوْجِد، فمَن هو المُوجِد الخالق؟ إنه بالطبع ليس أنا، ولا أنت، ولا غيرنا من البشـر؛ لأننا أنفسنا مخلوقون عاجزون محتاجون إلى خالق غير مخلوق، قادر غير عاجز، وذلك هو «الله».

لا يمكن أن يُقال: إن الموجودات كلهـا ناقصة، وإن الكمال يتحقق في الكون كله. لأن هـذا كالقول بأن مجموع النقـص كمال، ومجموع المتناهيات شـيء ليس له انتهـاء، ومجموع القصور قـدرة لا يعتريها

QaradawiBooks.com

القصور. فإذا كانت الموجودات غير واجبة لذاتها؛ فلا بد لها من سبب يوجبها، ولا يتوقف وجوده على وجود سبب سواه[١].

وهذه النتيجة هي التي عبَّر عنها الأعرابي قديمًا، ببساطة وسذاجة ـ كما ذكرنا من قبل ـ حين سألوه عن «الله»: كيف عرفه؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ أفلا يدل ذلك على العليِّ الكبير؟!!

ولهذا لفت القرآن الكريم أنظار العرب الذين نزل بلسانهم إلى ما حولهم من مخلوقات، ليهتدوا بها إلى الإيمان بخالقها الواحد، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

إن الإيمان بالإله ضرورة عقلية، لتفسير خلق هذا العالم، وبدون الإيمان يظل هذا السؤال الذي أثاره القرآن حائرًا قلقًا بغير جواب: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

وهم ـ بداهة ـ لم يُخْلَقوا من غير شيء، وهم أيضًا لم يَخْلِقوا أنفسهم، ولم يدَّعِ أحد منهم، ولا ممَّن قبلهم أو بعدهم، أنه خالق السماوات والأرض؟ فمن الخالق إذن؟

ليس لهذا السؤال إلا جواب واحد، لا يملك الإنسان إذا تُرِك ونفسه إلا أن يُجيب به، ذلك هو ما أجاب به المشركون أنفسهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

(١) الله (٢٣٢/١، ٢٣٣)، ضمن موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية.

QaradawiBooks.com

وهو عين ما يُجيب به أقطاب العلم الحديـث اليوم، يقول أحدهم: «تثبت العلوم بكل وضوح أن هذا الكـون لا يمكن أن يكون أبديًّا. ولا تقتصر ما قدمته العلوم على إثبات أن لهذا الكون بداية، فقد أثبتت فوق ذلك أنه بدأ دفعة واحدة منذ ملايين السنين.

واليوم لا بد لمن يؤمن بنتائج العلوم، أن يؤمن بفكرة الخلق أيضًا. وليس من المعقول أن يكون هناك خلق بدون خالق، هو الله»[1].

وثانيًا: إن العلم الحديث قـد أغلق إلى الأبد بـاب القول بأن هذا الكون أو شـيئًا فيه قد وُجِد بالمصادفة، فإن العلم الرياضي ـ الذي هو منظِّم حسابات العلم الحديث ـ قد بحث موضوع المصادفة على أساس رياضي، وبيَّن بوضوح: أن احتمال وجود الكون أو شيء فيه بالمصادفة هو «الصفر الرياضي».

إن المصادفة وإن كانت تبدو لنا شـاردة غيـر منتظمة، فهي تخضع لقوانين صارمة تقيِّدها تقييدًا وثيقًا.

ويضرب لذلك الأسـتاذ «أ. ك. موريسـون» مثلًا يقول: «خذ عشرة «بنسات»، كلًّا منها على حدة، وضع عليها أرقامها مسلسلة من (١) إلى (١٠)، ثم ضعها في جيبك، وهزها هزًّا شديدًا، ثم حاول أن تسحبها من جيبك حسب ترتيبها، من (١) إلى (١٠).

إن فرصة سحب البنس رقم (١) هي بنسبته إلى (١٠)، وفرصة سحب رقم (١) ورقـم (٢) متتابعين هي بنسـبة (١ إلى ١٠٠)، وفرصة سـحب البنسـات التي عليها أرقام (١، ٢، ٣) متتالية، هي بنسـبة (١ إلى ١٠٠٠)،

(١) الله يتجلى في عصر العلم تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين مقال للعالم الأمريكي إدوارد لوثر كسبل صـ ٣٣، ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، نشر دار القلم، بيروت.

QaradawiBooks.com

وفرصة سحب (١، ٢، ٣، ٤) متتالية هي بنسبة (١ إلى ١٠٠٠٠).. وهكذا، حتى تصبح فرصة سحب البنسات بترتيبها الأول، من (١ إلى ١٠)، هي بنسبة (١ إلى ١٠ بلايين).

والغرض من هذا المثل البسيط هو أن نبيِّن لك كيف تتكاثر الأعداد بشكل هائل ضد المصادفة.

وإذا كانت الأعداد تتكاثر بهذه الصورة ضد المصادفة في أول مرة، فإنها تتكاثر وتتكاثر بما لا يُتَصوَّر إذا أردنا تكرار التجربة مرات أخرى»[١].

يقول العالم المذكور: «لنفرض أنَّ معك كيسًا يحوي مائة قطعة رخام، تسع وتسعون منها سوداء، وواحدة بيضاء. الآن هزّ الكيس، وخذْ منه واحدة: إنّ فرصة سحب القطعة البيضاء هي بنسبة واحد إلى مائة، والآن أعد قطع الرخام إلى الكيس، وابدأ من جديد: إن فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين، هي بنسبة واحد إلى عشرة آلاف (١٠٠×١٠٠).

والآن جرّب مرة ثالثة: إن فرصة سحب تلك القطعة البيضاء ثلاث مرات متتالية هي بنسبة مائة مرَّة مضروبة في عشرة آلاف (١٠٠×١٠٠٠٠) أي بنسبة واحد في المليون. ثم جرب مرة أخرى أو مرتين، تصبح الأرقام فلكية»[٢].

وهذا المثل يدلنا بوضوح على أن ما يحدث بالمصادفة يصعب جدًّا أن يتكرر، ويستحيل أن يستمر وقوعه، فكل ما نراه من ظواهر طبيعية تتجدد باستمرار، وتتكرر بانتظام، وتمضي بلا خلل ولا اضطراب، يستحيل أن يقع هكذا بالمصادفة العمياء، وحين تكون الحقائق هكذا

(١) العلم يدعو إلى الإيمان صـ ٥١، الفصل الأول: عالمنا الفذ.

(٢) العلم يدعو إلى الإيمان صـ ١٩٥، الفصل السادس عشر: المصادفة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ناطقة، وحين تعترف بخواص عقولنا يكون من الخبل والسفه أن نرد الحياة والنظام والتقدير في هذا العالم إلى صدفة موهومة، ونغفل كل منطق وكل برهان.

وبهذا نعلم أن صندوق الحروف ـ الذي ضربه بعض الماديين مثلًا لعمل الصدفة ـ هو وهم من الأوهام، وهو ـ بمقتضى المنطق الرياضي المذكور ـ يستحيل أن يحدث، ولو فُرِض حدوثه، فيستحيل أن يتكرر، وأن يثْبُت، فضلًا عما في هذا المثل نفسه من خلل ينقض دعوى قائليه، ويستلزم فرضًا غير فروض المصادفات، كما يقول الأستاذ العقاد.

(أ) «فقد فاتهم أنهم قدَّموا الفرض بوجود الحروف المتناسبة التي ترتبط بعلاقة اللفظ، وينشأ منها الكلام المفهوم. فمن أين لهم أن أجزاء المادة المتماسكة ترتبط بينها بعلاقة التشاكل أو التشكيل على منوال العلاقة التي بين الحروف الأبجدية؟ ومن أين للمادة هذا التنويع في الأجزاء؟ ومن أين لهذا التنويع أن تكون فيه قابلية الاتحاد على وجه مفهوم؟

(ب) وفاتهم كذلك: أنهم قدَّموا الفرض بوجود القوة التي تتولى التنسيق والتنفيذ، وليس من اللازم عقلًا أن توجد هذه القوة بين الحروف.

(جـ) وفاتهم مع هذا وذاك أنهم فرضوا في هذه القوة الجامعة: أنها تُعيد تنسيق الحروف على كل احتمال، كأنها تعرف بداءة كيف تكون جميع الاحتمالات.

(د) وفاتهم ـ عدا ما تقدم ـ أن الوصول إلى تنضيدة مفهومة منظومة لا يستلزم الوقوف عندها وتماسك الأجزاء عليها»[1].

(١) الله للأستاذ العقاد (٢٣٤/١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فكر في نهايتك إن كنت ذا دين:

أمر الدين بالنسبة للإنسان ليس أمرًا هيِّنًا، بحيث يمكن السهو عنه، أو الانشغال بغيره، أو إرجاؤه إلى فرصة أخرى من العمر تأتي أو لا تأتي، كأن ينتظر الشيخوخة تحلُّ به؛ ذلك أن الإنسان لا يعرف متى ينتهي أجله في هذه الحياة، فإذا قلت: أؤجل الأمر من الشباب إلى المشيب. فمن يدريك أن الموت لن يختطفك، وأنت في ريعان الشباب؟ وكم من شاب افترسه الموت، من بين أبويه وإخوته، وهو في أوج شبابه وقوته، فكان لموته جراح ونواح!

المهم أن ينظر الإنسان في أمر الدين، قبل أن يفاجئه الموت بما لا يتوقعه، وهو في غفلة من أمره، وقد تزداد الغفلة وتتراكم على الإنسان، باتباع الشهوات، واقتناص الملذات، وانتهاز الفرص لاكتساب المصالح المادية والمطالب الشهوانية. وفي ذلك يتنافس الناس ويتهارشون، بل يتعادون ويتقاتلون؛ لأنهم شغلوا عن القضية الكبرى لكل إنسان، بقضايا صغيرة، بل صغرى.

وهذا ما ذكره القرآن حين بين للناس ما زين لهم من حب الشهوات، التي تهز كيانهم، وتزلزل وجدانهم، كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

لا بد لكل إنسان أن يكون له دين، وقد ناقشنا الملاحدة، الذين ينكرون أن للكون إلهًا، وأن مع كل جسد إنساني روحًا، وأن مع الدنيا آخرة، أن مع الحياة موتًا، ومع الموت بعثًا، ومع البعث حسابًا وجنة

QaradawiBooks.com

ونارًا. لكل فئة منهم نصيبه فيما يستحقه من ثواب الله تعالى وعقابه، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ولا بد لهذا الملحد من دين يرتضيه العقل الحر المتفتح المهتم بالبحث والنظر والتفكير، ولا يجوز لنا أن نقبل إخراج الإنسان العاقل المفكر من خرافة الإلحاد، لنضعه في خرافة «الوثنية».

لقد ضلَّت البشرية في تاريخها فوقعت في أحابيل أناس من الكهنة والسحرة وتجار الدين، فاخترعوا للناس آلهة زيَّنوها لهم، وأحاطوها بتعاويذ وتماثيل وشعارات، زوَّقوها وموَّهُوها، وربطوها بالآلهة، وبخدَّام الآلهة من النُّسَّاك والرُّهبان، الذين يلبسون الملابس الخاصة والمزخرفة، والمعطَّرة والمبهرجة، ما يجعل لها ريحًا رائعة، وصورة باهرة، وأعينًا إليها ناظرة.

هؤلاء الناس من كهنة الأديان، وعُبَّاد الأوثان، وأصحاب الشيطان، الذين يتقدمون إلى الناس اليوم في بلاد الدنيا من القارات الست في آسيا وأفريقيا، وفي أوربا وأمريكا الشمالية والجنوبية، وفي قارة أستراليا، يدعون الناس في القرن الحادي والعشرين، إلى أن يعبدوا الله بدين الوثنية!

أمعقول أن يدين الإنسان بعد ما سار في الهواء كالطير، وسار في البحر كالحوت، وسار في الجو كأنه شهاب ثاقب: أن يدين بعبادة إله من نحاس، أو من ذهب، أو من البقر والعجول، أو من الشياطين، أو من غير ذلك مما يتخيله الناس في عقولهم أو في أوهامهم إلهًا، يُسأل فلا يجيب، ويُشكَى إليه، فيعجز عن النظر في شكوى من يشكو إليه؟!

QaradawiBooks.com

هذه الوثنيات الكبرى التي اتخذ الناس لها آلهة شتى يعبدونها من دون الله، في قارة آسيا من الهندوسية، التي يتبعها الناس في الهند، ومن البوذية التي يتبعها الناس في الصين وكوريا وتايلاند وسريلانكا.. وغيرها، وكذلك الوثنية اليابانية، والوثنيات في إفريقيا، تجتمع حول عبادة آلهة اختاروها حسب أهوائهم أو أوهامهم، أو أوهام شيوخهم وزعمائهم، وغيرها من الوثنيات في العالم.

نحن ندعو الشعوب والأمم الوثنية ـ وهي في الحقيقة أكثر العالم ـ أن تنظر في الأمر نظرة تليق بالإنسان بعد ما صنع العجائب، واخترع الغرائب، وقرَّب البعيد، وأنطق الحديد، وقلب الموازين، وصعِد إلى القمر، وسافر إلى ما هو أبعد منه، وأبدع الثورات العلمية الهائلة: الفضائية والنووية والبيولوجية والتكنولوجية والمعلوماتية.. وغيرها، فلا ينبغي أن يعبد مخلوقات مسخرة له ولخدمته ومنفعته.

أمام الوثنية طريقان للتعامل مع الدين:

وهذه الوثنيات التي في العالم هنا وهناك أمامها طريقان في التعامل مع الدين: طريق يرفض الأديان جميعها، ويقول: ليس هناك دين، ولا كهنوت، ولا إله، ولا روح، ولا آخرة، ولا ملائكة، ولا شيء مما صدَّع به أهل الإيمان رؤوس الناس. وهو ما قاله الملاحدة، وناقشناهم فيه، وأبطلنا كل ما يدَّعونه، ويغالون فيه، ويضخمون منه، وهو لا طائل تحته.

كمثل الطَّبْل يُسمع من بعيد وباطنُه من الخيرات خالِ

والطريق الثاني: هو الرجوع إلى الأديان، التي يقول أهلها: إنها أديان سماوية، أو كتابية، جاء بها أنبياء من أهل الأرض، بُعثوا من السماء،

QaradawiBooks.com

وأُنزل عليهم كتب منسوبة إلى السماء، الله هو منزلها وقائلها، وهي أديان ثلاثة بدأت باليهودية، وثنَّت بالمسيحية، وثلَّثت بالإسلام، وهو خاتمها، وخاتم كل الديانات السماوية.

الأديان الكتابية:

وإذا كنا نطالب أهل الأديان الوثنية التي شرَّقت وغرَّبت في حياة الناس وفي أفكارهم، ووجَّهت عقولهم توجيهات لا يكاد يصدِّقها عقل، أو يقبلها امرؤ ناضج في العالَم السليم من أَوْضَار الوثنية وخُزعبلاتها، التي تعبد الإله من العجوة وتسجد له، وتتضرع إليه، ثم إذا جاعت أكلته.

على كل حال، فإن الأديان السماوية، أو الأديان الكتابية، التي جاء مع كل نبي منها كتاب من السماء، أوحاه الله إليه، كما بعث موسى إلى بني إسرائيل وأنزل عليه كتابه «التوراة»، وهو يشمل خمسة أسفار أساسية، وتليه أسفار أخرى ليست أصلية، وإنما هي تابعة له، وتابعة لأنبياء آخرين ليسوا في منزلة موسى عليه السلام: الذي كان أكبر نبي من بني إسحاق عليهم السلام.

وكما بُعث المسيح عيسى (يسوع) ابن مريم عليه السلام، وإن كان هذا الكتاب المنزل، لم نره بأعيننا، وإنما قرأنا ترجمة ما بقي منه، مقرونة مع قصة المسيح عليه السلام، ووعظه لقومه، ودعوته لهم إلى التوحيد.

ثم بعده بستة قرون أو تقل قليلًا، بَعث الله نبيه محمدًا، وأنزل عليه القرآن الكريم، وأعلن أنه خاتم النبيين، وبهذا تميَّز عن النبيين من قبله، بأمرين كبيرين لمن تأملهما:

QaradawiBooks.com

الأول: أن دعوته دعوة عالمية، فليست محلية أو إقليمية أو وطنية، فهي في كل البلاد، ولكل العباد. وهذا ما أعلنه محمد لكل الناس أنه مبعوث لهم جميعًا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والثاني: أن هذه الدعوة هي الخاتمة، فليس هناك نبي بعده يأتي برسالة أخرى تكمل الرسالة، أو تستدرك عليها. بل هي الرسالة الخاتمة، كما قال محمد ﷺ: «**أنا الخاتم فلا نبي بعدي**»[(١)]. وقال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله، إلا موضعَ لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وُضِعت هذه اللبنة!**». قال: «**فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

على كل هذه الأديان أن تنظر في أمرها بمنتهى العقل الذي يفكر بكل قوة، وبمنتهى الحكمة التي تنظر في الأمر بكياسة لائقة، وأن تعالج الأمر بكل ما ينبغي له من اللباقة والكياسة التي تقاس بها الأمور الكبيرة، ولا تنظر بعقل السفهاء من ضعاف العقول، وشرار الخلق، الذين عناهم الشاعر بقوله:

لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٥)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. عن ثوبان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٥)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وســتجد أنه لم يعد من المناســب للإنســان الذي كرَّمه الله أحسن تكريم، وخلقه في أحســن تقويم، وســخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نعمه كلها ظاهرة وباطنة، لم يعد يليق به في عصرنا، بعــد أن مكَّنه الله مــن ناصية العلــوم والرياضيات في البر والبحر والجو، وصنع منها القنابل النووية، ووصل بها إلى كواكب عليا، وصنع الإنســان الآلي، وأخضع كثيــرًا من الأشــياء الضخمة لقدرات الإنسان ذي العقل. أقول: لم يعد لهذا الإنسان: أن يسجد لوثن هو الذي يشــكله ويصنِّعه، ويُصغِّره ويُكَبِّره، ويصنع من الواحد آلافًا، ثم بعد أن عمله بيده يعبده ويخر له ساجدًا!!

كما قال الشاعر:

كصانــعٍ صنمًــا يومًا علــى يده وبعد ذلــك يرجوه ويخشــاه[1]

إننا ننادي الملايين ومئات الملايين، بل المليارات من البشــر، أن تراجع نفســها مرة واحدة مراجعةَ البصير، الذي وجد رُشده بعد أن فقده، ووجد هدايته بعد أن ضــلَّ عنها، هو وقومه وأقوام كثيرة. آن لهؤلاء أن يعرفــوا الحقيقة الواضحة، التــي لا تخفى على عين بصيرة، آن لهم أن يتركوا الوثنية الحمقــاء والعوجاء، ويعودوا إلى الفطرة الســليمة، ليعبدوا الله الإله الواحد، الذي أحســن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء صنعه، وإليه ترجع كل الأمور، وبأمره تسير كل الخلائق.

(١) البيت لمحمد توفيق بن علي بن محمد البكــري الصدّيقي. انظر: اللؤلؤ في الأدب لعثمان شاكر صـ ١١٢، ط١، ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م.

QaradawiBooks.com

أي دين من الأديان الكتابية نرتضيه؟

الأديان السماوية المعروضة على الخلق ثلاثة:

أولها: الديانة اليهودية:

وأول هذه الديانات الثلاث الديانة اليهودية، التي بعث بها موسى، من حوالي (٤٠٠٠) سنة، بعث بها إلى فرعون وقومه، ثم إلى بني إسرائيل، وأنزل الله عليه التوراة، فيها موعظة وتفصيل لكل شيء، فيها نور وهدى للناس، فيها تفاصيل تشريعية كتبها الله على بني إسرائيل، وفيها أحكام تتعلق بالعبادات، وأحكام تتعلق بالنكاح والطلاق، وقضايا الأسرة، وأحكام تتعلق بالجنايات، وأحكام في السياسة العامة.

وكان بنو إسرائيل هم المكلَّفِين بحفظ التوراة، ولم يتكفَّل الله بحفظها، ولكنهم للأسف لم يقوموا بما يلزم لذلك من إعداد الحُفَّاظ لهذا الكتاب، ولذلك حينما نزلت بهم الحروب، وحرقت معابدهم ومنازلهم وكتبهم ومصادرهم، ضاعت التوراة، وبحثوا عمَّن يحفظ منها أشياء، فوجدوا من حفظ شيئًا، وغابت عنه أشياء، كما هو شأن البشر، فسجَّلوا منها ما سجلوا، وكتبوا ما نقصهم مما بقي في حوافظهم، فضاع الأصل الأصيل، وحُرِّف الكلم عن مواضعه، حرَّفوه ماديًّا بالزيادة والنقصان، وحرفوه معنويًّا بالتفسير غير المشروع لبعض الألفاظ من عند أنفسهم.

وكان في تشريع التوراة ما لا يقبله العقل، بل لا يقبله الدين الصحيح.

QaradawiBooks.com

ليس من المعقول أن يكلِّف الله البشرية كلها أن تتبع رسالة صار لها أربعة آلاف سـنة، نـزلت لبيئة معينة، متمرِّدة على ربها، وعلى كتابها، فعاقبها الله ببعض الشرائع التي لا يجوز أن تستمرَّ أبدَ الدهر.

دين القبيلة الكبيرة لا يصلح أن يكون دين البشرية، بعد أن اتسعت وأوشكت أن تكمل المليار الثامن.

ثانيها: الديانة المسيحية:

وكذلك أرسل الله للناس المسيح عيسى ابن مريم، ولكنهم كفروا به وكذبوه، وكادوا له مع خصومه، من الوثنيين والظالمين.

وقد أتي المسيح عيسى ابن مريم بالديانة السـماوية الثانية، ومعها الكتاب السماوي الثاني، وهو: الإنجيل، وكان المفروض أن يؤمن اليهود بعيسـى، كما آمنوا بموسـى عليهما السلام، ولكنهم تنكَّروا له، وكانوا من أشد أعدائه، والكائدين له، والصادين عنه.

وكانوا من الذين شاركوا في محاولة صلب عيسى وقتله، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

عيسـى بن مريم أعلن أن رسـالته موصولة برسـالة موسى عليهما السلام، «ما جئت لأنقض الناموس، ما جئت لأنقض، بل لأتمم»[(١)].

ولذلك اعتبرت التوراة من «الكتاب المقدس» عند المسيحيين، فهم يؤمنون بالتوراة وتوابعها، من نبوة إشـعيا، ومزامير داود، وما كان عند سليمان، وما جاء به الأنبياء الآخرون قبل.

(١) إنجيل متَّى(٥/١٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولم يدَّع عيسى أنه بعث برسالة عامة، بل هو مبعوث إلى بني إسرائيل، كما قال: «إنما بُعِثْتُ إلى خراف بني إسرائيل الضالة»[١].

وقد جاء المسيح منذ أكثر من ألفي سنة، برسالة أساسها رسالة موسى، أو شريعة موسى، أو الناموس الذي جاء ليتمِّمه، لا لينقضه.

وقد أعلم قومه أنه جاء ليبشرهم بمن يكون بعده، بمن سماه: «الفارقليط»، وهو المُسمَّى من الحمد، اسم مشتق من الحمد، أي: محمد أو أحمد، أو حامد، أو محمود، ونحو ذلك، فكلها مشتقة من الحمد.

ثالثها: الديانة الإسلامية:

وقد مضت القرون بعد القرون، وقامت إمبراطوريات وتطوَّرت، ثم ضعفت، ثم انمحت، وقام غيرها وغيرها، وتغيَّر العالم من حولنا في مبانيه ومعانيه، وفي ضميره وفي روحه، أفلا يستحق الناس ما بشَّر به المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، هذا الذي يأتي من بعده، يعلِّم الناس الهدى ودين الحق، ويظهر دينه على الدين كله.

الحقيقة أن موسى وعيسى عليهما السلام كانا رسولين عظيمين من رسل الأديان السماوية، أنزل الله عليهما كتابين، وبعثهما رسولين، ولكنهما لم يُبعثا بالدين الخاتم، الذي يُعلن أنه هو الذي ختم الله به النبيِّين، وليس بعد كتابه كتاب، ولا بعد رسوله رسول، ولا بعد شريعته شريعة.

وهذا لم يقله نبي بعثه الله برسالته، إلا محمد ﷺ، فقد أعلن من أول ما أرسل: أنه مرسل إلى العالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ

(١) إنجيل متَّى(١٥/٢٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

كما أعلن في كتابه الذي نزله الله عليه أن الله ختم به النبيين، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال ﷺ عن نفسه: «**أنا خاتم النبيين، فلا نبي بعدي**»(١).

وأجمع المسلمون من أول بعثته إلى يوم الناس هذا إلى أن تقوم الساعة أنه خاتم النبيين.

وقد جمع الله في شريعته: الأصول اللازمة للحياة الإنسانية المتكاملة والمتوازنة، في العقائد والعبادات، والأخلاق والآداب والمعاملات، في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، والدولة والأمة، والعلاقات الدولية، في الحياة الروحية والفكرية والاجتماعية، والسياسية والدولية، في السلم والحرب، في حالات الصلح وحالات النزاع.

رسالة موسى في حينها كانت أصلح شيء لبني إسرائيل، ثم لما تطاولت القرون، احتاج الناس إلى رسول آخر، برسالة متمِّمَة، يحل فيها بعض ما حرم الله عليهم، ويخفِّف بعض التعسيرات والتطبيقات والشكليات التي أدخلوها على الدين، فأرهقوا الناس من أمرهم عسرًا، وشدَّدوا عليهم ما يسَّر الله، وكانت رسالة المسيح، التي رفضها أولئك الإسرائيليون، الذين ذمَّهم المسيح بأقسى الكلمات.

(١) سبق تخريجه صـ ٩٥.

QaradawiBooks.com

وجاء المسيح بهذه التخفيفات، ولم يجئ بدين عام يصلح للخلق كلهم إلى أن تقوم الساعة وينتقضَ هذا الكون، فكانت رسالته إلى مئات من السنين، ثم يُفسَح الطريقُ إلى الرسالة العامة الخالدة، التي بعث الله بها رسوله محمدًا، وهي الرسالة التي وصفها أحد أتباعه، وهو حسن البنا بأنها: الرسالة التي امتدت طولًا حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتى شملت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة.

وقد مضى على المسيح أكثر من ألفي سنة، ولم تظهر نبوة يمكن أن يسمعها الناس، ويجدوا فيها ما يشبع نهمهم، ويسد فراغهم، ويملأ حياتهم، ويجيب عن أسئلتهم، ويضع كل شيء في موضعه، إلا نبوة محمد ﷺ.

العقيدة الإسلامية المؤسَّسة على التوحيد الخالص للمعبود، الذي لا شريك له، ولا ند له، ولا ضد له، ولا مثل له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

وهي عقيدة تشمل الإلهيات، المتعلقة بذات الله تبارك وتعالى، المتَّصفة بكل كمال، المنزهة عن كل نقص: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وتشمل العقيدة كذلك صفاته تعالى الإيجابية: كالقدرة والإرادة، والعلم والحياة، والسمع والبصر والكلام. وكلها أثبتتها الأدلة العقلية

QaradawiBooks.com

للإنسان، والأدلة النقلية للوحي الإلهي، مما يأتي في القرآن الكريم، وما يؤيده من أحاديث الرسول.

والصفات السلبية: التي تنفى عن الله ما لا يليق بكماله في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، مثل أن يكون له ولد أو شريك، أو نحو ذلك مما قاله الوثنيون، ووقع في أمثاله بعض أهل الكتاب، كما نسبت التوراة إلى الله ما لا يجوز أن ينسب إليه، مما لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى.

وقد وصف الله تعالى نفسه بصفات لا تليق بأحد غيره؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. وفسَّر النبي ﷺ ذلك فقال: «**اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء**»(١).

كما وصف الله تعالى ذاته تعالى بالوحدانية الكاملة والمطلقة، فليس معه إله، ولا له شريك، ولا ند، ولا صاحبة، ولا ولد، كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

كما تشمل العقيدة: الدار الآخرة، وفيها يحيا الإنسان الحياة الحقيقية، التي وعد بها رسل الله الذين بعثهم إلى خلقه، ليُعَرِّفوا أقوامهم بالجنة، دار النعيم للمؤمنين بهم، السائرين في طريقهم، وبالنار دار العذاب الأبدي، لمن كذبهم، وعاداهم، وكفر بهم وبما جاؤوا به من عند الله،

(١) رواه مسلم في الذكر (٢٧١٣)، وأحمد (٥٩٦٠)، وأبو داود في الأدب (٥٠٥١)، والترمذي في الدعوات (٣٤٠٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ٥٦].

دخول الجنة أو النار، لا يكون إلا بعد حساب ومساءلة من الله تعالى، قد يكون عسيرًا على بعض الناس، ويسيرًا على آخرين، حسب أعمالهم، بعد أن يُعطى كلٌّ كتابَه بيمينه أو بشماله، ويقرأ كل واحد كتابه، وهو أشبه بما عرفناه في عصرنا بشريط سينمائي، فيه كل ما قال الإنسان، وما فعله بعد بلوغه، مما يثاب به، أو يعاقب عليه.

وتوزن أعمال كل إنسان، وتوزن حسناته على ما عمل من خير لله تعالى ولخلقه، ومن سيئات.

وكل شيء له ميزان يناسبه، فنحن نعلم أن أكياس القطن لها ميزان يناسبها وهو القَبَّان، بينما الغلال والحبوب وما يُذهب به إلى ماكينة الطحين له ميزان يناسبه.

والفواكه والخضروات لها ميزان يناسبها.

وميزان الحرارة مصنوع بحيث يُظهر تفاوتها.

وميزان الضغط الجوي، وغيرها من الموازين معروفة.

فلا إشكال في أن هناك موازين تزن الأعمال الحسنة والسيئة عند الله، وتبين مقاديرها عند الله، وقد قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والناس متفاوتون جد متفاوتين في هذا اليوم:

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب.

ومنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، وينقلب إلى أهله مسرورًا.

ومنهم من يحاسب حسابًا عسيرًا، فيدعو ثبورًا، ويصلى سعيرًا.

ومنهم من ينجح من أول الأمر، ومنهم من لا يستحق دخول الجنة من أول الأمر، ولكن يشفع له شفيع مستجاب عند الله، فيخفِّف الله عنه.

ومنهم من ليس له شفيع يطاع، فيذهب إلى ما يستحقه من نار جهنم.

وهناك في العقيدة: النبوات، فقد بعث الله أنبياءه ورسله إلى الناس في مختلف ديارهم، كما قال القرآن: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

آدم عليه السلام هو أول الأنبياء، وأبو البشر، وأول من بعثه الله إلى قوم مكذِّبين للرسل هو نوح، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

واستمر هؤلاء الرسل إلى أن ختموا بآخرهم محمد، الذي أنزل عليه القرآن، الذي أعجز البشر أن يأتوا بمثله، وأوجب الإسلام على كل مسلم أن يؤمن بكل كتاب أُنزل، وبكل نبي أُرسل.

يكمل هذا النوع: الإيمان بالملائكة، وهم من عالم الغيب، الذي نؤمن به، وإن لم نره، وهم مخلوقون من نور، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتزوجون ولا يتوالدون، وهم يعملون فيما يكلِّفهم الله به، في معونة الرسل، وفي إجراء الرزق على الخلق، وفي نصرة المؤمنين وإذلال

QaradawiBooks.com

الكافرين، كما أنـزلهم الله تعالى ليقاتلوا مع المسـلمين في غزوة بدر، وفي غزوة الأحزاب، وفي غزوة حُنَين.

وبعد العقيدة شرع الإسلام العبادة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقد شرع الإسلام للمسلمين عبادات شتى، تصلهم بالله تعالى ربهم الأعلى، من صلوات خمس في كل يوم، ومن صيام عن الطعام والشراب ومباشرة النساء في رمضان من كل عام.

ومن بذل مال مما يفيض عن حاجة المسـلم وحاجة عياله من ماله المملوك، يعطيه صدقة يطهره الله ويزكيه بها، ويكون بركة له ولماله.

ومِن حجٍّ مرةً في العمر كله، لمن استطاع إليه سبيلًا. يذهب المسلم في رحلة من بلده إلى بيت الله الحرام، ليطـوف بالبيت الحرام (الكعبة المشرفة)، ويسعى بين الصفا والمروة، ويقف بأرض عرفات، ويذكر الله عند المشعر الحرام بمزدلفة، ويبيت بمنى ليرمي الجمرات لمدة يومين أو ثلاث، وهذه هي فرائض العبادات التي أمر بها الإسـلام، وتعتبر من أركان هذا الدين.

وهناك عبادات أخرى من: الذكر والدعاء، والاستغفار وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي الكريم.

ثم تأتي مرحلة التشـريع الإسـلامي، للفرد في مطعمه ومشـربه، وملبسه ومسكنه ونومه ويقظته، وما يحل له، وما يحرم عليه.

ثم هناك التشريع للأسرة في الزواج واستمراره والحفاظ عليه، وبيان ما لكل من الزوجين من الحقوق التي له على صاحبه، وحقوق العشـرة

QaradawiBooks.com

والنفقة، وعند الخلاف، وعند تعذر الوفاق، واتباع الطلاق بالمعروف مع رجاء بقاء المودة بين الطرفين، ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وهناك أحكام الطلاق والعدة والمتعة والنفقات. كلها معروفة ومفصَّلة.

وهناك التشريعات المالية: البيع والشراء، والتجارة، والربا، والتوكيلات وما يدخلها من شروط، وما يخرج عنها من تجاوزات، وما يتضمنها من عقود، وما يباح فيها وما يحرم. فصله الفقه الإسلامي، ونزلت فيه أطول آية من كتاب الله تعالى: آية المداينة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وهناك فقه الأوقاف، وما يتصل بها، مما اتفق عليه الفقهاء وما اختلفوا فيه، وكان للمسلمين أوقافهم التي بهروا بها العالم، فلم يتركوا عملًا فيه خير لإنسان أو لطفل أو امرأة أو شيخ كبير، أو لطير أو لبهيمة أو حيوان، أو غير ذلك، إلا كان له ما خصّص له مما أوقفه المسلمون من أموالهم.

QaradawiBooks.com

وهناك التشـــريع الجنائي الذي وضع فيه القاضي الفقيه عبد القادر عودة رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه «التشـــريع الجنائي في الإسلام» من جزأين في أحكامه البليغة، التي بلغـــت في العدل مبلغًا لا يصل إليـــه مخلوق، إلا إذا كان متصلًا بفقه الشريعة النازلة من عند الله.

وهناك فقه السياسة الشرعية، الذي يبيِّن ما بَيْن الناس ورعاتهم، فلا بد للشريعة أن تعالج هذا الأمر، ولا تتركه فوضى، أو نهبًا لمن يريدون أن يأكلوا حقوق الناس بالباطل.

وهو ما وضع فيه كبار الفقهاء أفضل ما عندهم، مما تصان به الحقوق والحريات والمصالح، ولا يتلاعب بها الذين يتخذون الدين لهوًا، واللهو دينًا، والذين يقدِّمون مصالحهم على حقوق شعوبهم، وهم الذين قال الله فيهـــم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وقد فصَّل ابن تيمية ذلك في كتابه الشـــهير «السياســـة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، وقبله فصَّلـــه إمام الحرمين في كتابه «الغياثي» أو «غياث الأمم في التياث الظلم»، وقبلـــه معاصره الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية والولايات الدينية».

كما وضع الفقهاء المسلمون كتب الفقه المالي الذي ابتدأه القاضي الإمام أبو يوســـف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام الأكبر أبي حنيفة النعمان في كتابه الذي ســـماه «الخـــراج»، وأكمل ذلـــك الإمام الحجة أبو عبيد القاسم بن ســـلام في كتابه القيم «الأموال»، وهناك كتاب آخر بهذا الاسم وفي الموضوع نفسه لابن زنجويه.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

٥

الإنسان مخلوق مختار

هنا ينتهي بنا قانون العقل، الذي به صرنا إنسًا نفترق عن الأنعام التي نأكلها، والوحوش التي تأكلها، إلى أن نقول: هذه الأشياء لا يمكن إلا أن تكـــون مخلوقة، ولا يمكن أن تُخلق من غير شـــيء، بـــل لا بد لها من صانع صنعها، وســـوَّاها وزيَّنها، وأحكمها وأبدعها، وأمضاها على نظام عجيب، حتى استوت وانتظمت، على أروع نظام، وأبدع إحكام، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]. إنه الخلَّاق العليم ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

دلالة الكون على الله:

ومما يدخل في مدار العقل دلالة الكون على وجود الخالق الأعظم.

فلا شـــك أنها من أعظم الدلالات، فالله تعالى قـــد خلق هذا العالم الواسع بسماواته وأرضه، ما نبصر منه وما لا نبصر، ليدل خلقه العقلاء عليه، ويرشـــدهم إليه، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. وقد بيَّنَّـــا طَرَفًا من ذلك في الفصل السابق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإنسان مخلوق غير مستقِلٍّ:

الإنسان مخلوق، غير مستقل في حياته، فهو جزء من كل، وفرد من جماعة، وغصن من شجرة.

وإذا كان الإنسان غير مستقل في معيشته، وفي صحته ومرضه، وفي حياته وموته، فما هـو إذن؟ لا بد أنه مخلوق. ما معنـى: أنه مخلوق؟ معناه: أنه لم يكن شيئًا مذكورًا، لم يكن له وجود فوُجِد، وأصبح إنسانًا حيًّا وُلِدَ ونَمَا، هذا هو الذي يسمِّيه الناس: مخلوقًا. وهذه بَدَهية واضحة للعيان، قاطعة لكل جدال.

البشرية التي توشك أن تكمل المليارية الثامنة، من مختلف الأجناس والألوان والطبقات، وفي مختلف القارات التي يعرفها الناس، كلها تمثل هذا الإنسـان، الذي أكد بفطرته وبعقله، وبإنجازاته الهائلة: أنه مخلوق، وكل ما له من إنجازات كبيرة في العالم، الذي يحيا فيه هو وإخوانه، وما حوله من كائنات، يدل علـى أنه مخلوق؛ لأنه هو نفسـه قد خلق هذه المخلوقات الكثيرة عن يمينه وعن شـماله، ودلَّل لنا بها أنها مخلوقة، كذلك هو مُنْجَز لصانعٍ أكبـر صنعه، وصنع الكائنات الكبيرة من حوله، كالشمس والقمر، والسماء والأرض، وما فيها من نجوم وكواكب.

الإنسان ـ كل إنسـان ـ مخلوق، أنشأه منشـئ، وصنعه صانع، مَن صنعني هو مَن صنعك، وهـو مَن صنع أباك وأمـك، وأخاك وأختك، وعمَّك وعمَّتك، وخالك وخالتك، وقريبك وجارك، وصهرك وصاحبك. كل هـؤلاء، وأولادهم وذرياتهـم، ومن حولهم، ومـن يصادقهم، ومن يعاديهم، كلهم مخلوقون لهذا الخالق، يخلـق الناس بقدرته، ويُصَنِّفهم على ما يريد من ألوان وصفات، من الأبيض والأسود والملوَّن، من ألوان

QaradawiBooks.com

الشـــعور في الرأس، وألوان العيون، وأشكال الأنوف والشفاه والأسنان، والأيدي والأرجل، وغيرها، يختلف الناس بعضهم عن بعض، ولكنهم جميعًا من صنع خالق واحد.

وبهذا تعرف جواب هذا الســؤال الكبير الذي يســأله كل إنسان لنفسه: ماذا أنا؟ أنا شيء أو لا شــيء، أنا أوجدتُ نفسي أم أوجدني موجد، وخلقني خالق؟ لا بد أنني مخلــوق، فليس معقولًا أن أخلق نفســي، وقد كنت قبل وجودي معدومًا، وهل يخلق العدمُ الوجودَ؟ مستحيل هذا.

أنا مخلوق ـ إذن ـ ولا شك، ومن أدلة ذلك: أن هناك مثلي ألوفًا، بل ملايين، بل بلايين، لم يخلقوا أنفسهم، ولا أزعم أني خلقتهم، وليس لي أدنى قدرة على ذلك، فمن الــذي خلقهم؟ إنه الذي خلقني، ويخلق كل العالميــن مثلــي، بــل يخلــق كل العالمين مــن حولي، مــن الأنعام والحيوانات، والوحــوش والزواحف والحشــرات، وكل نبات في البر والبحر، وكل الأسماك والحيتان والكائنات المائية في البحار، ممَّا يأكله الناس في أنحاء العالم، من هذا اللحم الطري اللذيذ.

بل من الذي خلق هذه النباتات من الأشــجار الفارعة، والأشــجار المتوســطة، والنباتات الصغيرة، والصغيرة جدًّا، ذوات الألوان الجميلة والرائعة، والتكوينات البديعة، من شتى الأصناف والأنواع والبدائع، التي تقدر بالملايين، ولا تكاد تحصى.

وهذه الألــوان والتصنيفات موجودة في كل ما هــو في هذا الكون، بســماواته وأرضه، ما عرفنا منه وما لم نعرف، عرفنــا قليلًا منه بعد أن اتسع العِلم المادي، وتضخَّمت أدواته وأجهزته، وهذا الكون شيء كبير

QaradawiBooks.com

نعجز عن الإحاطة به بكل طاقاتنا وإمكاناتنا، بحسبنا أن نعرف ما يمكن أن تهدينا إليه عقولنا.

الذي خلق هذا الكون الكبير عُلويَّه وسُـفلِيَّه، سماواته وأرضه، هو الذي خلقنا، وخلق من قَبْلنا، وسيخلق من بعدنا، وهو الذي يشرف علينا جميعًا، ويدبِّر أمرنا، ويحيينا إذا متنا، إنه «الله».

«الله» هذه الكلمـة التي ننطقها بالعربية الفصحـى والدارجة، ويعبر عنها كل قـوم بلغتهم التي يتكلمون بها، فإذا سـئل المرء: من خلقك؟ ومن خلق هذه الأرض التي نمشي عليها، وننتج منها زرعنا، ونربِّي فيها أنعامنا ومواشـينا، التي تحرث لنا أرضنا، وتسقينا لبنها، ونأكل لحمها، ونستفيد من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين؟

من الذي خلق هذه البحار الزاخرة الواسـعة المحيطة بنا، التي نرى أولها ولا نرى آخرها، والتي عرفنا بما درسناه في مدارسنا أنها تقارب ثلاثة أرباع الكرة الأرضية التي نعيش في أرجائها، وفيها من الأحياء المائية من الأسماك والحيتان والحيوانات ما لا يعلمه إلا الله، وفيها تجري السـفن الصغيرة والمتوسـطة والكبيرة التي تسير في البحر كالأعلام؟

ومَن الذي خلق السـماوات مـن فوقنا، وقد اتَّسـع علمنا بها بعض الشيء، نعرف منها ما أذهلنا من ناحية الضخامة والسعة، والسرعة والقوة، ما عرَّفنا به «علم الفلك» الذي قرَّب إلينا هذا الكون البعيد، وبسـط لنا معرفة هذا الكون الغريب، ووسع من فكرنا ما ضاق على غيرنا؟

إن الذي خلق الأرض والسماوات العلا هو الله.

QaradawiBooks.com

الله هو ربنا ورب السماوات والأرض، ورب كل شيء.

الله هو هـذا الخالق، الـذي يرى المخلوقـات التي نراهـا، والتي لا نراها، فلسنا نرى كل ما خلقه الله. فقد علَّمنا علماء الكون أننا لا نعلم منه أكثر من ثلاثة فـي المائة (٣٪)، والباقي نعجز عـن معرفته، فليس عندنا الأدوات اللازمة، ولا القدرة اللائقـة، ولا الضرورة الملحَّة للعلم بهذا الكون الواسع كله.

بعضنا ـ نحن البشـر ـ ينازع في هذه الحقيقة الكبرى، فلا يرى أنه مخلوق. ويتلعثم فيما وراء ذلك، فما معنى أنه ليس بمخلوق؟ هل وُجِد وحده؟ هل يخلق الشيء نفسـه؟! هل هو غير مخلوق؟ إذن هو خالق! وكيف يكون خالقًـا ولا يملك أن يخلق عضوًا صغيـرًا من أعضائه، أو حاسَّة من حواسِّـه، أو عصبًا من أعصابه، ولو نظر في العين التي يبصر بها ما حوله ومن حوله، وكيف هي مركبـة، وعظمة تركيبها، وما جرى عليه أمرها.. إلى آخر ما هنالك، لوجد شيئًا تحار فيه العقول، ولا يجد الإنسان اللبيبُ، إلا أن يقول: سبحان ربي السميع البصير.

أنت أيها الإنسان، شأنك شأن الملايين، بل البلايين من البشر، الذين يولدون من حولك كل يوم، بل كل دقيقة، بل ربما كل ثانية، ويتكاثرون، ويتعلمـون، ويزدادون علمًـا، ثم يسـيحون في الأرض، ليسـعَوْا فيها ويعمِّروها وينمُّوها، ويُحيوها ويجمِّلوها، ثم يتركوها رغمًا عنهم، ليذهبوا إلى عالَم آخر.

الحقيقة الواضحة، التي لا يوجد أوضـح، ولا أفصح منها: هي أننا كلنا مخلوقون لخالق واحد، هو ربنا «الله»، الذي يطلب منا أن نتوجه إليه وحده بالعبادة، ولا نعبد إلا إياه، ولا نستعين إلا به، ولا نطلب حاجاتنا

QaradawiBooks.com

إلا من عنده، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين بأحد إلا بك.

الإنسان مخيّر أم مسيّر.. بين الخير والشر؟

هنا يبرز لنا أن الإنسان من خلال النظر العميق، والتأمل البصير، والدراسة المتأنية: أنه مخلوق ولا شك في هذا، دلَّت على ذلك كل الدلائل في نفسه، ومِن حولِه، كما دلَّ على ذلك تاريخه غير المكتوب، وتاريخُه المكتوب، وأظهر دلائله: أنه يموت.

فمن أعظم دلائل خلقه: أنه لم يكن موجودًا ثم وُجِد، ثم عاش ما قُدِّر له من سنين ـ طالت أو قصرت ـ ثم مات. وقد قال الشاعر العربي:

وإذا كان آخر العمر موتًا فسواء قصيره والطويل[١]!

ولهذا تعوَّد الناس أن يرددوا قول أبي العتاهية:

لِدُوا للموت، وابنوا للخرابِ[٢]

ومن هنا قال المؤمنون للجاحدين، أو قال كل مؤمن لكل جاحد: عشْ ما شئت فإنك ميِّت، وأحبِب من شئتَ، فإنك مُفارقه، واعمل ما شئتَ، فإنك مجزيٌّ به ومسؤول عنه.

الإنسان لا ريب مخلوق في هذه الدنيا للخالق الأكبر، الذي خلق الكون العظيم من حوله: في السماوات وفي الأرض، هو الذي خلق هذا

(١) هو السيد محمد مهدي الصيادي الشهير بالرواس، كما في ديوانه: مشكاة اليقين ومحجة المتقين صـ ٢٣٣، نشر دار الفكر.

(٢) صدر بيت له، وعجُزه: فكلكم يصير إلَى ذهَاب. انظر: الحماسة البصرية لصدر الدين البَصْري (٤٢٧/٢)، تحقيق مختار الدين أحمد، نشر عالم الكتب، بيروت.

QaradawiBooks.com

الكون بمن فيه وما فيه، وقد أقسم ﷻ بما نبصر وما لا نبصر، ليقنعنا بالحقائق العظمى التي تهدينا إليه، لننتفع بها، ونسعد بها في حياتنا الأولى والآخرة، قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٠].

الإنسان في نظر الإسلام: مخلوق فريد، من نسل آدم، الذي خلقه الله بيديه وسوَّاه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه وزوْجه الجنة، وهيَّأه ليعيش وذريته في الأرض، ويعمرها ويجمِّلها، ويحييها وينمِّيها، كما قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠]. وكما قال صالح لقومه ثمود: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

ولا عجب أن كَرَّم الله تعالى بني آدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠]. وكما قال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين: ٤ ـ ٦].

الإنسان في هذا الكون الواسع الكبير سيِّدٌ فيه على غيره، عبدٌ فيه لربه، فقد خلقه الله سبحانه وأسكنه في هذه الأرض، وسخَّر له كل ما فيها مما فوقه وما تحته، وما عن يمينه وشماله، من قريب، ومن بعيد، ليكون في خدمته: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ [لقمان: ٢٠].

والقرآن يعلم الإنسان ـ كل إنسان ـ أن الله خلق كل ما في الكون؛ ليكون في منفعته وخدمته، صغيرًا كان أو كبيرًا، صامتًا أو ناطقًا، أحجارًا أو نباتًا أو حيوانًا، برًّا أو بحرًا أو جوًّا، وقد ملك الله تعالى الإنسان من

QaradawiBooks.com

الأدوات ما يسخر به هذه الأشـياء والأحياء؛ لينعم بها، ويستفيد منها، ويشكر الله تعالى عليها: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ [سبأ: ١٥].

ولكن مما يُؤسَف له: أن الناس شغلهم اللهوُ عن الجد، وألهاهم الباطل عن الحق، وغرَّهم الشيطان عن الله تعالى ربهم الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، ولذلك لم يتركهم الله تعالى لشـياطين الشر والإفساد، تضلهم وتهديهم إلى عذاب السـعير، بل بعث فيهم رسـلًا منهم، مزوَّدين بمنحٍ وعطايا، تدل على أنهم لا يمثلون أنفسهم، بل يمثلون الخالق الأعظم، الذي أرسلهم هداة إلى البشر، مبشـرين ومنذرين ومعلِّمين، وبذلك قاموا بدور كبير في هداية الخلق، وإقامة الحق، وبسـط العـدل، وأداء الأمانة، وتوثيق الحقوق، ونشـر الأخـوة والمحبة والعدل بيـن الناس، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وبهذه النبـوات الهادية أصبح في البشـر هداةٌ صادقـون، وغواة كاذبون، ودارت المعركة بين الفريقين، ودام الصراع بين الحق والباطل دهورًا طويلة.

الرد على من يزعم أنه مخلوق للشر لا للخير:

ومن الناس من يعترف بأنه مخلوق، ولكنه يزعم أنه مخلوق للشـر لا للخير، الله هو الذي خلقه كما خلق سواه من البشر، ومن غير البشر، ولكنه جعل تركيبته تختلـف عن غيره، وجعل طبيعته تميل إلى الشـر لا إلى الخير!!

والحق أن كل الناس خُلقـوا مهيَّئِين للخير والشـر، للنفع والضر، للهداية والإضلال، للإسعاد والإشقاء، ولكن الإنسان مُطالب بفعل الخير

QaradawiBooks.com

والبعد عن الشر، التركيبة الأصلية قابلة للميل إلى أيِّ الاتجاهين، فهناك من وجَّه ميزاته ومكتسباته ـ بما وهبه الله من عقل، وما حباه من إرادة، وأحيانا ما أنزل عليه من كتاب، وما بعث له من رسول ـ إلى الصلاح والخير والهدى، فاهتدى إلى الحق، وسلك سبيل الخير، ونهَج نهْج الرشد، ومن إخوانه من سار عكس هذا السبيل، فعطَّل ما عنده من مواريث الحق، ومن منارات الهدى، فمال عن الحق، وحاد عن الخير، وأعرض عن الرشد، وسار في الطريق الذي يؤدي إلى الردى والبوار.

الحقيقة التي نقرؤها في كتاب الكون، كما نقرؤها في كتب الله المنزلة، وآخرها القرآن العظيم، الذي حفظه الله كما أُنزل، لم يتغير فيه سطر ولا كلمة ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]: أن الإنسان خَلْق من خلق الله تعالى، خُلِق قابلًا للأمرين معًا، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، أي: طريقي الخير والشر، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. وعليه أن يجتهد ويعمل لتغليب جانب الهدى والحق على غيره، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

من يزعم أنه مجبور من القدر الأعلى:

ومن الناس مَن يقول: إنه ليس حُرًّا حرية مطلقة، ولكنه محكوم بقيود تُفرض عليه، لا يستطيع أن يرفضها، ولا أن يضادَّها، ولكنها تقهره قهرًا، وتجبره جبرًا، فهو أمامها كالريشة في الهواء، أو كالماء في الزجاجة، هذا الذي يسميه الناس «القدر» الذي يحكم الإنسان، ويحكم غير الإنسان، ولكن حكمه للإنسان أكثر من غيره.

QaradawiBooks.com

هؤلاء الذين يسمونهم «الجَبْرِيِّين» أي: الذين يعتبرون الإنسان مجبورًا بحكم القدر الأعلى، وكل إنسان قد كُتِب عليه مصيره النهائي، من قبل أن يُخلق: أفي الجنة أم في النار؟ وهذه النتيجة معلومة، ولا يمكنه الفكاك منها، سواء أكانت حسنة أم سيئة، وسواء أكانت عاقبتها النعيم المقيم، أم العذاب الأبدي.

ولكن كل هذه تعلَّات هابطة متفككة مريضة، هناك قدَرٌ أعلى، ولكن هذا القدر يضبط الكون بقوانين، ويضبط السلوك بقواعد، ويضبط الحياة بأديان وشرائع وأخلاق، ولا يسلب القدر الأعلى الإنسان ما أعطاه له خالقه من عقل وإرادة وقدرة، يمارس بها كلها حياته باتجاهاتها المتنوعة، وخياراتها المتناقضة.

وكتابة الله لمقادير الناس، إنما يكتبها لنفسه، لا تَفْرض على الناس شيئًا، حتى ما يفعله الله بخلقه مكتوب عليه، فهل هو سبحانه مجبور على شيء من هذا؟ كيف وهو الفاعل المختار، والواحد القهار؟

القدر لا يفرض سلوكًا معينًا على الإنسان:

إننا نرى الأخوين في الأسرة الواحدة، يميل أحدهما إلى الخير ويحبُّه، ويسلك طريقه، فيحبُّه كل من حوله، ويدعو له، ويهتف باسمه. ونرى أخاه بجانبه، ابن أمه وأبيه، الأب واحد، والأم واحدة، والتربية واحدة، والبيئة واحدة، ولكنه يسلك طريقًا خلاف طريق أخيه، بل هو يعاديه، بلا سبب منه، لم يؤذِه أخوه في شيء من مِلْكه، ولم يتطاول عليه في شأن من شؤونه، ولكنه حسده لأمر ليس له فيه مدخل، ولا سبب مباشر.

QaradawiBooks.com

إنها القصة المعروفة في تاريخ البشرية منذ فجرها؛ قصة ابنَيْ آدم الخيِّر والشرير، أو هابيل وقابيل، الابن الطيب والابن الخبيث، قصة الجريمة العدوانية في الأسرة الأولى للبشر، التي قصَّها علينا القرآن لتكون عبرة للناس، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣١].

الإنسان هو الذي يصنع مصيره بيده:

انظر إلى هذه القصة العجيبة حقًّا، قصة الأخوين ابني آدم أبي البشر من صلبه، حين قرَّب كل واحد منهما إلى الله الذي يؤمن به قربانًا، كل واحد قدَّم إليه مما عنده، أحدهما زارع، والآخر راعٍ، فقدَّما قربانين إلى الله، وكان عادة القوم أن القربان إذا تقبله الله نزلت نار من ناحية السماء فتأكله، وهذا دليل القبول.

فيبدو أن قربان الأخ الطيب الراعي، ولنفرض أنه كبش من الغنم، سرعان ما نزلت من السماء نار فأكلته، فدل ذلك على قبول الله لهذا القربان، والله تعالى يعلم أن هذا الأخ الطيب قد تخيَّر أفضل ما عنده، وقدَّمه إلى الله، وهو غير آسف على ذلك، بل هو فرِح به، مطمئن إليه، فلا غرو أن قبله الله تعالى منه.

QaradawiBooks.com

أما قربان أخيه، الابن الخبيث من ولدي آدم، فلم تقترب منه النار، وكان عليه أن يسأل نفسـه: لماذا لم يُتَقبَّل قرباني؟ لعله لم يقدم أحسن ما عنده من أنواع الزرع! لعله قدَّم شـيئًا قليلًا لا يكاد يصلح! لعله كان عنده أشياء أفضل مما قدمه، ولكنه آثَرَ إبقاءها، ولم يؤثر تقديمها، لا بد أنه أغفل كذا، وأنه نسي كذا..

ولكن الأخ الشـرير لم ينظر في نفسه وقربانه وعمله، وماذا ينقصه؟ وكيف يكمله؟ وهل إذا رُفِض قُربانه في هذه المرة سـيرفض كل مرة أم يمكن أن يقبل مرة أخرى؟

كان يجب أن يهنِّئ أخاه بقبول قربانه، ويقول له: علِّمني ماذا فعلتَ حتى قُبل قربانك. أما أن يكون العلاج هو استعمال القوة الباطشة، ضد الطرف الذي لا ذنب له، والتعدِّي عليه بالبطش والقتل، فهذا لا شك من العدوان الأثيم.

القتل هنا جريمة نتجت من هذا الفرد الغاشم الآثم، لا يقال هنا: إن المجتمع هو الذي دفع هذا الرجل. فلـم يوجد المجتمع بعدُ، نحن في الأسـرة الأولى، وما زال الأبوان باقيَيْن وحَيَّيْن، وإنما هو الشـر الذي يجري في دم الإنسـان، كما يجري الخير في دمائـه، والنفس هي التي تُزيِّن للإنسان الإسـاءة إلى أخيه الطيب، فاسـتجاب لها: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

ولكن هـذا الأخ الذي ارتكب هـذه الجريمة الشـريرة في الأرض ـ جريمة القتل بغير قصاص، وبغير فسـاد في الأرض ـ ظل حاملًا أخاه على كتفه، لا يعرف ماذا يفعل به؛ لم يرَ إنسـانًا قُتِل أو مات قبل ذلك، هذا أول ميِّت من بني آدم، وقد حار فيه فاعل الجريمة.

QaradawiBooks.com

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١].

هكذا يُعلِّم الله البشـــرية، فيعلِّمها بعضها من بعض، ويعلمها مما هو أدنى منها وأقل في القيمـــة الخِلقية، فلهذا بعث الله هذا الطائر المعروف عند الناس، الذي يســـمُّونه: الغراب. كان مع الغراب غرابٌ آخرُ ميِّت، فلقَّن الغـــراب الذي ليس له عقل الإنســـان «ابن آدم القاتل» درسًـــا في التعامل مع هـــذا الموقف؛ إذ بحث الغراب بمنقـــاره في الأرض، ليريه كيف يواري ســـوءة أخيه، الأرض هي المأوى للإنسان حين يفقد روحه لأي ســـبب، ويصبح جثة هامدة، فعليك أن تحفر فـــي الأرض بأي أداة معك، وتضع فيها فقيدك الميت، ولذلك تأسف القاتل على نفسه، وقال: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

٦

أعذار غير مقبولة

والناس يحاولون التنصل من أعمالهم ومسؤولياتهم بأعذار وتعِلَّات شتى، منها:

الأصدقاء هم الذين ضلَّلوني:

من الناس من يحاول أن ينجِّي نفسه من هول المصيبة، ويقول: لست أنا الـذي وقعت في هذا الضلال، أنا إنسـان بريء، الـذي أوقعني في الخطيئة هو فلان، صديق عمري، وزميل دراستي، ورفيق دربي. هو الذي سُلِّط عليَّ، وكأنه شيطان يوسوس لي، ويغريني بالابتعاد عن أهل الخير، ويوصيني بالالتحاق بأهل الشـر، لقد ظل ينفث في صدري، ويردِّد في أذني كلامًا لا يسـمعه غيري. فيقول: ليس لك إلا عمر واحد، وهو أيام معدودة، وأنفاس محدودة، وهو مهما طال قصير، فلماذا تضيِّعه في غير الشهوات التي تجنيها، والمكاسب التي ترتجيها؟ فلا بد لك من الطعام الهنيء، والشـراب المريء، والملبس الرقيق، والمرأة الجميلة، والقصر المشيد، والبنيان الممتد، والخيل المسومة، والأنعام والحرث، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، إلـى غير ذلك مما يتحدث عنه المولعون بالدنيا وما فيها. وما زال صديقه، أو أصدقاؤه الموالون له، والمحيطون به، يكيدون له كيدًا، ويفتنونه رويدًا رويدًا، حتى لان لهم، وسـقط في

QaradawiBooks.com

أيديهم، يصنع ما يصنعون، ويقول ما يقولون، ويروِّج ما يروجون، وهذا هو الذي تحدث عنه القرآن.

القرآن يذكر لنا في سورة الفرقان، تلاوُم الناس في يوم القيامة، وأن منهم من يُحَمِّل بعض أصدقائه: أنهم أضلُّوه عن السبيل، وحجبوه عن النور، وساروا في طرق العماية والغواية، وهي طرق لا تنتهي بأصحابها إلا إلى شر جسيم، يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

كما يذكر لنا القرآن أن في هذا اليوم العظيم، ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦]، يبقى أناس على أصفى ما يكونون أنفُسًا، وأطهر ما يكونون قلوبًا، لا تتأثر أُخوتهم القائمة على المحبة الحقيقية، ولا ينال منها غِشٌّ أو التواء، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]. فنجد في هذا اليوم الأصدقاء والأخلاء والأصحاب الذين يزعمون في الدنيا أنهم في غاية النقاء، يعادي بعضهم بعضها، ويخوِّن بعضُهم بعضًا، إلا فئة قليلة منهم، وهم الذين سمَّاهم القرآن ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾، أي: أصحاب التقوى. والتقوى: أن تتقي الله سبحانه وتخشاه، تخشى لقاءه، وتخشى محاسبته، وتعمل أقصى ما في وسعك لترضيه، بأداء ما يطلبه منك، والحذر مما ينهاك عنه.

فالمتقون يظهرون يوم القيامة في غاية الإخاء والمودة والمحبة والإيثار.

لهذا يحذِّر الأنبياء والحكماء والأدباء والشعراء من قديم من الأصدقاء، لا بد للإنسان من صديق، ولكن العاقل هو الذي يحسن اختيار صديقه، فصديقه إما أن يهديه إلى الجنة التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ

QaradawiBooks.com

الأعين، وهو فيها خالد لا يفني، حي لا يموت، وإما يرديه في حفرة من حُفَر جهنم، التي من وقع فيها، فإنه لا يخرج منها، إلا بتوبة نصوح، يغسل فيها نفسه، ويطهر فيها كيانه، ويبدل فيها سيئاته حسنات.

وفي الحديث: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[١].

ويقول الشاعر:

اختر صديقك واصطفيه تفاخرًا ... إن القَرين إلى المقارنِ يُنسَبُ
واحذر مصاحبة اللئام فإنها ... تعدي كما يُعدِي الصحيحَ الأجربُ
إن القلوبَ إذا تنافر وُدُّها ... مثل الزجاجة كسرها لا يُشعب[٢]!

سبب شقاء الإنسان هو المرأة:

ومن الناس من يحاول أن يتصور شقاءه أو يصوره على أنه يتمثَّل في المرأة، فهي التي كانت شيطانه الذي وقف في طريق هدايته، أو هي التي مكَّنت الشيطان من السيطرة على الإنسان، فأسقط في طريقه الطرفين: المرأة والرجل معًا.

وكثير من الناس يحاولون أن يستدلوا بقصة آدم وحواء، أبوي البشر، كما ذُكِرَت في التوراة، ويتَّخِذُون من هذه القصة أداة لتفسير وقوع الإنسان في الخطيئة، والأكل من الشجرة التي نُهِيَ عنها، حين استجاب لدعوة المرأة، التي استجابت لوسوسة الشيطان.

---

(١) رواه أحمد (٨٤١٧)، وقال مخرجوه: إسناده جيد. وأبو داود في الأدب (٤٨٣٣)، والترمذي في الزهد (٢٣٧٨) وقال: حسن غريب. والحاكم في البر والصلة (١٧١/٤) وقال: صحيح إن شاء الله. ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

(٢) الأبيات لصالح بن عبد القدوس، من بائيته الزينبية.

QaradawiBooks.com

وهذا ما توحي به ألفاظ القصة المروية في الكتاب المقدس، أو قل: في العهد القديم، أو في سفر التكوين من أسفار التوراة الخمسة[١].

والواقع: أن هذا المذكور في التوراة ليس هو الحقيقة الصافية من كل غبش، النقية من كل خلل، بل المعروف أن التوراة التي أنزلها الله على سيدنا موسى، لم تبقَ على ما تركها الله عليه، بل أصابها من الضياع والتحريف والنسيان والإحراق ما أصابها على اختلاف العصور، ومرِّ الدهور، وهدم القصور، وعمى القلوب التي في الصدور، وانطماس السطور، ونسيان المذكور.

ومن المؤكد أن الله لم يتكفل بحفظ التوراة ولا الإنجيل، بل استحفظهما أهلهما، ووكل إليهم حمايتهما وصيانتهما وحفظهما، ومع هذا ضاعا منهم، ثم كتبوهما من حفظ بعضهم، وأضاعوا منهما، وأضافوا إليهما، وبدَّلوا فيهما، وغيَّروا كثيرًا من الكلم عن مواضعه.

أما قصة آدم كما عرضها القرآن ـ آخر الكتب السماوية التي أنزلت من السماء، والذي تولى الله تعالى حفظه وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وأكد حفظ القرآن بتأكيد هذه الآية: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ بصيغة الجملة الاسمية، وتأكيدها بكلمة «إن»، ووجود اللام في قوله: ﴿لَحَافِظُونَ﴾ ـ فتُبين أن آدم هو الذي أغواه الشيطان، فنسي وأكل، وهو الذي عصى فغوى، وهو الذي اجتباه ربه إليه فتاب عليه وهدى، وهذا واضح تمامًا في سورة طه، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۞ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ

(١) سفر التكوين (٣).

QaradawiBooks.com

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١١٥ ـ ١٢٢].

فالقصة هنا بيِّنة تمام البيان: أن آدم هو المسؤول الأول، هو الذي أكل، وهو الذي عصى وغوى، وهو الذي اجتباه ربه فتاب عليه وهدى.

وإذن، فكل ما أفادته الآيات الأخرى أن زوجه حواء إنما أكلت تبعًا له، فلم يكن لائقًا بها أن تترك زوجها يأكل وحده، أو هكذا تصورت، فهو الذي أكل أولًا، وهي أكلت بعده، ولم توسوس له أو تُغْرِه.

سبب شقاء الإنسان هو الطوائف الأخرى المخالفة:

ومن الناس من يرى أن السبب في إضلاله عن الطريق، وإخفاء الحقيقة عليه، إنما هو: الطوائف الأخرى المخالفة للطائفة التي ينتمي إليها في المجتمع، أو في غيره، فكل طائفة منها ترى أنها ضاعت على يد الطائفة التي استغلتها، وسحبتها من طريق الحق، وسلكتها في طريق الباطل، فلم ترَ «البينات»، من الأدلة النيرة، والتي لم يعد فيها أي نجم يُرى منه النور، وهو يملأ الآفاق، لأن الآخرين ـ للأسف الشديد ـ حجبوه عنهم، فرغم ظهوره وإشراقه، لم يلتفتوا إليه، ولم يعطوا له أي اهتمام يليق به.

هكذا يرى كل فريق أن الفريق الآخر هو الذي أضلَّه عن الطريق، عن الصراط المستقيم، سواء أكانوا هم السادة والكبراء، أم كانوا هم التابعين المستضعفين، الذين يسيرون عادة في ركاب المُجرمين الطغاة، من الكبراء والسادة المُضلِّين.

QaradawiBooks.com

انظر إلى هؤلاء المتعارضين يوم القيامة، وكل قسم منهم يُحمِّل وزرَه على القسم الآخر، والأقسام الأخرى، قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

ومن يقرأ القرآن الكريم، ويرى أصناف الناس في الآخرة، الذين استحقُّوا العذاب الأليم في النار، وكيف يُلقي كلٌّ منهم وزرَ تخلُّفِه عن ركب المؤمنين، ومتابعة ممشى الإيمان، على الطوائف الأخرى من الطغاة والمستبدين، الذين كانوا يتعاملون مع الفقراء والضعفاء، ومن لا حظَّ لهم من الناس في الحياة، كأنما يتعاملون مع الأنعام والمواشي، وهؤلاء المستضعفون يحمِّلونهم المسؤولية في إضلالهم وإغوائهم، وإبعادهم عن صراط الله المستقيم، الذي دعا إليه عباده المرسلون، الذين بعثهم تعالى بكتبه وبرسالاته، ولكن هؤلاء السادة المستكبرين عن عبادة الله تعالى، يقولون لهؤلاء: نحن لم نجبركم على اتباع طريقنا، أنتم الذين اتبعتمونا مختارين بكل إرادتكم.

اقرأ ذلك في عدد من سور القرآن، ففي سورة سبأ المكية يقول القرآن: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ

QaradawiBooks.com

تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١، ٣٣].

وفي سورة البقرة المدنية تلخيص ذلك، حين يتبرأ بعضهم من بعض، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧].

ويتسع ويكثر هذا التلاوم والتطارح والتلاعن يومَ القيامة بين الأفواج والأقوام والناس بعضهم مع بعض، تحاول الفئات التي عاشت مظلومة ومسلوبة الحقوق في المجتمعات أن تُلقي تبعة ضلالها عن الحق على الفئات المستكبرة بالمال وبالجند والأتباع، كما جاء في سورة الأحزاب: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

من الناس من يرمي وزره كلَّه فوق ظهر إبليس:

ومن الناس من رمى حِمْل ضلاله كله على ظهر إبليس؛ الشيطان الأكبر للإضلال والشر، وحمَّله كل المسؤولية عن تبعة إضلاله وإفساده، وأنه الذي أعمى بصره، وأصمَّ سمعه، وأغلق فؤاده، فلم يرَ أنوار الحق وهي مشرقة كشَّافة، ولم يسمع نداء الهدى مع أن صوته جهير، ولم يفقه كلمة الحق؛ لِمَا ألقى الشيطان اللعين على قلبه من الغشاوة.

وهذا الشيطان هو الذي أقسم أمام الله حين تمرد عليه، وسار في الطريق الأعوج، ليُضلنَّ الناس ويبعدنَّهم عن الله: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

QaradawiBooks.com

وظل الشـيطان منذ أن خرج آدمُ من الجنة، واستُخلف في الأرض؛ يعمل فيها بنفسـه، وبذريته ورجالـه، ليلَ نهارَ، لـزرع الكفر، وغرس الإضلال، وإشاعة الفتن والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، فأضل الناس وأفسـدهم، كما قـال تعالـى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]. وفي هذا يقول القرآن: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٧

ماذا يقدم الدين الصحيح للإنسان؟

هل ينتفع الإنسان من الدين بشيء يفيده في حياته التي يعيش فيها؟ هل يقدم له حلًّا لمشكلة، ولو كانت مشكلةً عقلية أو نفسية أو اجتماعية؟ هل يساعده في أن يطعم من جوع، أو يأمن من خوف، أو يعِزَّ من ذُلٍّ، أو ينجو من ظلم، أو يقوم مع غيره في محاربة الطغيان والفساد؟!

هل يؤدي الدين دورًا من المساعدة الإيجابية للتغلُّب على مشكلات الحياة؟ أم يظل الدين يحدثنا ويطيل الحديث ويكرِّره عن الآخرة، وما فيها من نعيم وسعادة للمؤمنين والصالحين، وما فيها من عذاب وشقوة للكافرين والعاصين، دون أن يهتمَّ بأمر الدنيا؟!

الواقع أني هنا أقول ما أعرفه بموجب تخصُّصي في دراسة دينٍ معيَّن، حفظت في طفولتي كتابه المقدس «القرآن الكريم»، وهو كتاب كبير، حفظته وجوَّدته عن ظهر قلب، والحمد لله.

ثم ظلِلْت أدرِس هذا الدين بمفرداته وكلياته، في معاهده وكلياته، في الابتدائية والثانوية والجامعية والتخصصية. ثم دَرَسْته دراسةً عليا لعدة سنين، حتى حصلت على الأستاذية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر، وأصبحتُ فيه معلِّمًا وأستاذًا، ومفتيًا ومؤلِّفًا، وأكاديميًّا وخطيبًا، وصاحب برامج في الإذاعة والتليفزيون، وصار لي نحو مائتي كتاب «٢٠٠ كتاب»،

QaradawiBooks.com

ما بين صغير ومتوسط وكبير، في مختلف نواحي العلم الإسلامي، والثقافة الإسلامية.

ولهذا أستطيع أن أقول: إن الدين الصحيح يستطيع أن يقدِّم للإنسان الذي يطلب منه: الهداية من الضلال، والرشد من الغي، والأمن من الخوف، والسكينة من الاضطراب والقلق، والحلول الناجعة النافعة من المشكلات المعقَّدة، التي عذبت الناس في حياتهم أفرادًا وأسرًا وجماعات ودولًا، ولم يجدوا منها مخرجًا، ولا من ضيقها فرجًا، ولا من عسرها يسرًا.

أقول لكم: يا أولي الألباب، ويا أصحاب البصائر، ستجدون في الإسلام ـ والله ـ كل ما تبحثون عنه، ولم تجدوه في أديان، أو فلسفات، أو حضارات أخر؛ لأنها كلها مبنية على حق مختلِط بباطل، أو على باطل خالص، وما بني على الباطل لا يثمر إلا باطلًا، فالحق لا ينبثق عن باطل، والخير لا يصدر عن شرٍّ أبدًا.

الدين يحقق الأمن النفسي للإنسان:

ولقد ألَّفتُ من نحو ستين سنة كتابي «الإيمان والحياة»، ليقدِّم للبشرية أول ما تحتاج إليه من اليقين بالله والدار الآخرة، وهو الذي يعطي لكل إنسان ما هو في أشد الافتقار إليه من الأمان النفسي، الذي هو مشتق من الإيمان الروحي، الإيمان بإله قوي لا يضعُف، قدير لا يعجِز، غنيٌّ لا يفتقر، جبَّار لا يخاف، من استنصر به نُصِر، ومن توكل عليه عَزَّ، ومن استعان به غَلَب، ومن تقوَّى به لم يضعف أبدًا، كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

QaradawiBooks.com

ولذلك قال سيدنا إبراهيم الخليل للمشركين الذين يهددونه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

وقد فسَّر الرسول هنا «الظلم» بمعنى «الشرك»، كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. واستدل بالآية على أن الظلم هو الشرك[1].

الغاية الأولى للإنسان: الربانية: أن يعيش لله وحده:

يصحِّح الدين للإنسان غايته، بدل أن يخبط في الحياة خبط عشواء، لا يعرف له غاية ولا هدفًا، وبدل أن يعيش لشهواته وملذاته يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام، يأخذ الدين بيده إلى ربانية الغاية والوجهة، بالتعبُّد لله تعالى، وهذه الربانية تعني: أن يجعل الإنسان غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية الإسلام، ومن ثَمَّ، فهي غاية الإنسان، ووجهة الإنسان، ومنتهى أمله وسعيه، وكدحه في الحياة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

ولا جدال في أن للإسلام غاياتٍ وأهدافًا أخرى إنسانية، واجتماعية، وثقافية واقتصادية، وسياسية، ولكن عند التأمل نجد هذه

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «**ليس كما تقولون،** ﴿**وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام: ٨٢]، **بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]». رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٢٤)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الأهداف في الحقيقة خادمة للهدف الأكبر، وهو مرضاة الله تعالى، وحسن مثوبته. فهذا هو هدف الأهداف، أو غاية الغايات. هو الغاية الأولى، والغاية القصوى.

في الإسلام تشريع ومعاملات، ولكن المقصود منها هو تنظيم حياة الناس حتى يستريحوا، ويبرؤوا من الصراع على المتاع الأدنى، ويفرغوا لمعرفة الله تعالى، وعبادته، والسعي في مراضيه.

وفي الإسلام جهاد وقتال للأعداء، ولكن الغاية هي: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وفي الإسلام حث على المشي في مناكب الأرض، والأكل من طيباتها، ولكن الغاية هي شكر نعمة الله وأداء حقه: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ: ١٥].

وكل ما في الإسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد، إنما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبدًا خالصًا لله، لا لأحد سواه. ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد.

ومعنى التوحيد: أن يعلم الإنسان أنه لا إله إلا الله، وأن يفرده تعالى بالعبادة والاستعانة، فلا يشرك به أحدًا، ولا يشرك معه شيئًا. وهذا معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، التي يرددها المسلم في صلواته كل يوم، ما لا يقل عن سبع عشرة مرة، كلما قرأ فاتحة الكتاب في ركعة من ركعات الصلاة.

ولقد خاطب الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ بهذه الحقيقة، وأمره أن يعلنها ويبلغها للناس، فقال: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٤].

إن الإنسان لم يخلق لمجرد أن يأكل ويشرب، ويلهو ويلعب، ثم بعد ذلك يموت أو يَنفَق كما تنفق الدابة، كالذين حكى القرآن عنهم أنهم ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ [محمد: ١٢]. إنما خُلِقَ الإنسان لغاية أسمى.

يقولون: إن الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش.

ولكن يبقى هنا سؤال تتحتَّم الإجابة عنه، هو: ولماذا يعيش العاقل؟ إن العيش ليس غاية في نفسه، تقصد لذاتها، بل لا بد من هدف يعيش له الإنسان، فما هو؟

أما الماديون، فلا يجدون لهذا السؤال في فلسفتهم جوابًا يشفي، وأما المؤمنون فيقولون: إن الإنسان يعيش ليعرف خالقه ﷻ، ويعبده، ويقوم بخلافته في الأرض.

فإذا كان الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش، فإن المؤمن يعيش ليعبد الله وحده.

يقرِّر القرآن هذه الحقيقة بوضوح وجلاء، حين يذكر الغاية من خلق الجن والإنس، فيقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

الإنسان ـ إذن ـ لم يخلق لنفسه، فكل شيء في هذا الكون قد خُلق ليؤدي خدمة لغيره، وهو كذلك لم يُخلق لخدمة شيء آخر من مخلوقات هذا الكون، فكل ما في الكون سُخِّر لخدمته، كما قال الله

QaradawiBooks.com

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

كل ما في الكون قد خلق للإنسان. أما الإنسان نفسه فقد خُلِق لله ﷻ، لمعرفته وعبادته، وأداء أمانته في الأرض. وكفى بهذا شرفًا وفخرًا، فهو سيد في الكون، عبد لخالقه وحده.

من ثمرات هذه الربانية في النفس والحياة:

ومما لا ريب فيه أن لهذه الربانية فوائدَ وآثارًا جمة في النفس والحياة، يجني الإنسان ثمارها في هذه الدنيا، فضلًا عن ثمراتها في الآخرة، وهي ثمار في غاية الأهمية، فمن آثار هذه الربانية وثمراتها.

أولًا: معرفة غاية الوجود الإنساني:

أن يعرف الإنسان لوجوده غاية، ويعرف لمسيرته وجهة، ويعرف لحياته رسالة، وبهذا يُحِسُّ أن لحياته قيمة ومعنى، ولعيشه طعمًا ومذاقًا، وأنه ليس ذرة تافهة تائهة في الفضاء، ولا مخلوقًا سائبًا يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء، كالذين جحدوا الله، أو شكُّوا فيه، فلم يعرفوا: لماذا وُجِدوا؟ ولماذا يعيشون؟ ولماذا يموتون؟ كلا، إنه لا يعيش في عماية، ولا يمشي إلى غير غاية، بل يسير على هدى من ربه، وبيِّنة من أمره، واستبانة لمصيره، بعد أن عرف الله، وأقر له بالوحدانية.

إنه لا يقول ما قال الشاعر الحائر المرتاب:

لبستُ ثوب العَيْش لم أُستشرْ ... وحِرت فيه بين شتَّى الفِكَر!
وسوف أنضو الثوب عني ولم ... أدرك لماذا جئت؟ أين المفر[1]؟!

(١) من رباعيات عمر الخيام صـ ٣٥، ترجمة الشاعر أحمد رامي، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠م

QaradawiBooks.com

أو ما قاله الآخر:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت[1]!

كلا، فقد اتضحت وجهته الربانية، وعرف من أين جاء، ولِمَ جاء، وإلى مَنْ فرارُه؟ وأين قراره؟ إن حسبه أن يقرأ من كتاب ربه ما رد به إبراهيم خليل الرحمن على عبدة الأوثان، فقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٧ ـ ٨٢].

ثانيًا: الاهتداء إلى الفطرة:

ومن ثمرات هذه الربانية وفوائدها أن يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها، والتي تطلب الإيمان بالله تعالى، ولا يعوضها شيء غيره، يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

واهتداء الإنسان إلى فطرته ليس كسبًا رخيصًا، بل هو كسب كبير، وغِنًى عظيم، فيه يعيش المرء في سلام ووئام مع نفسه، ومع فطرة الوجود الكبير من حوله، فالكون كله رباني الوجهة، يسبح بحمد الله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

والحقيقة أن في فطرة الإنسان فراغًا لا يملؤه علم، ولا ثقافة ولا فلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله جلَّ وعلا.

---

(١) قصيدة الطلاسم لإيليا أبو ماضي.

QaradawiBooks.com

وستظل الفطرة الإنسانية تُحِسُّ بالتوتر، والجوع والظمأ، حتى تجد الله، وتؤمن به، وتتوجه إليه.

هناك تستريح من تعب، وترتوي من ظمأ، وتأمن من خوف. هناك تحس بالهداية بعد الحيرة، والاستقرار بعد التخبط، والاطمئنان بعد القلق، ووجدان المنزل والأهل بعد طول الغربة، والضرب في أرض التيه.

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوَى كما قرَّ عينًا بالإياب المسافر[1]

فإذا لم يجد الإنسان ربه ـ وهو أقرب إليه من حبل الوريد ـ فما أشقى حياته! وما أتعس حظَّه! وما أخيب سعيه!

إنه لن يجد السعادة، ولن يجد السكينة، ولن يجد الحقيقة. لن يجد نفسه ذاتها، ﴿كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الحشر: ١٩].

فتصوَّر إنسانًا يعيش دون أن يجد نفسه، وهو في رأي نفسه، وفي نظر الناس بشر عاقل، سميع بصير، بل لعلَّه جامعي مثقف، ولعله ـ فوق ذلك ـ «دكتور» كبير في العلوم أو الآداب أو الفنون!

وكيف يجد نفسه من لم يعرفها؟ وكيف يعرفها من حُجِب عنها بالغرور والكبر، أو شُغل عنها باتباع الشهوات، والإخلاد إلى الأرض، والغرق في لذائذ الحس، ومطالب الجسد والطين؟

إن الإنسان خَلْق عجيب، جمع بين قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله. فمن عرف جانب الطين، ونسي نفخة الروح، لم يعرف حقيقة الإنسان.

---

(١) البيت لمعقِّر بن حمار البارقي. انظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء للآمدي صـ ١١٦، تحقيق أ. د. ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

ومن أعطى الجزء الطيني فيه غذاءه وريَّه مما أنبتت الأرض، ولم يعط الجانب الروحي غذاءَه من الإيمان ومعرفة الله، فقد بخس الفطرة الإنسانية حقها، وجهل قدرها، وحرمها ما به حياتها وقوامها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «مدارج السالكين»:

«في القلب شعث، لا يلُمُّه إلا الإقبال على الله. وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس بالله. وفيه حُزن، لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته. وفيه قلق، لا يُسكِنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه. وفيه نيران حسرات، لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه. وفيه فاقة، لا يسُدَّها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أُعْطِي الدنيا وما فيها، لم تُسَدَّ تلك الفاقة أبدًا»[1].

وهذا ليس كلام عالم فحسب، بل كلام ذائق مجرِّب، يقول ما خبره وأحسَّ به في نفسه، وما رآه ولاحظه في الناس من حوله.

إنها الفطرة البشرية الأصيلة التي لا تجد سكينتها إلا في الاهتداء إلى الله والإيمان به، والالتجاء إليه.

إنها الفطرة التي لم يملك مشركو العرب في جاهليتهم أن ينكروها مكابرةً وعنادًا، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقد يتراكم على هذه الفطرة صدأ الشبهات أو غبار الشهوات، وقد تنحرف وتتدنس باتباع الظن أو اتباع الهوى، أو التقليد الجاهل للأجداد

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١٥٦/٣)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

والآباء، أو الطاعة العمياء للسـادة والكبراء. وقد يصاب الإنسـان بداء الغرور والعُجب فيظن نفسه شيئًا يقوم وحده، ويستغني عن الله!!

بَيْدَ أن هذه الفطرة الأصيلة تذبل ولا تموت، وتكمن ولا تزول. فإذا أصاب الإنسان من شدائد الحياة وكوارثها، ما لا قِبَل له به، ولا يد له ولا للناس في دفعه ولا رفعه، فسـرعان ما تزول القشرة السطحية المضلِّلة، وتبرز الفطرة العميقة الكامنة، وينطلق الصوت المخنوق المحبوس، داعيًا ربه، منيبًا إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

هذه الفطرة حقيقة أجمع عليها الباحثون فـي تاريخ الأمم والأديان والحضارات، فقد وجدوا الإنسان منذ أقدم العصور يتديَّن ويتعبَّد ويؤمن بإله، حتى قال أحد كبار المؤرخين[(١)]: «لقد وُجِدَتْ في التاريخ مدنٌ بلا قصور ولا مصانع ولا حصون، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد».

والانحراف الكبير الذي أصاب البشرية في تاريخها الطويل لم يكن بإنكار وجود الله والعبودية له، إنما كان بتوجيه العبادة لغيره، أو إشـراك آلهة أخرى معه من مخلوقات الأرض أو السماء.

ولهذا كانت مهمة رسل الله كافَّة في جميع الأعمار، هي تحويل الناس من عبادة المخلوقات إلى عبادة الخالق، وكان نداؤهم الأول إلى قومهم: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ ذكر القرآن هذا القول على لسان نوح وهود وصالح وشعيب في سورة [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، وقد تكرر معناه في عدة سور[(٢)].

(١) هو المؤرخ اليوناني المشهور بلوتارك.

(٢) انظر كتابنا: الإيمان والحياة صـ ٨٣ ـ ٨٥، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٨، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

أما وجود الله فكان أمرًا مسلَّمًا به، مفروغًا منه، لدى كافة الأمم في كل الأزمنة والعصور، ولم يجادل فيه إلا قلة مسحوقة، لا يقام لها وزن، ولهذا لم يشغل رسل الله أنفسهم بإثبات وجود الله، وإقامة الأدلة عليه، بل بإثبات وحدانيته في ربوبيته وألوهيته، واستحقاقه أن يفرد بالعبادة دون غيره، وفي هذا يقول القرآن: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثالثًا: سلامة النفس من التمزُّق والصراع:

ومن ثمرات هذه الربانية: سلامة النفس البشرية من التمزق والصراع الداخلي، والتوزُّع والانقسام بين مختلف الغايات، وشتى الاتجاهات.

لقد اختصر الإسلام غايات الإنسان في غاية واحدة هي إرضاء الله تعالى، وركَّز همومه في هم واحد، هو العمل على ما يرضيه سبحانه.

ولا يريح النفس الإنسانية شيء كما يريحها وحدة غايتها ووجهتها في الحياة، فتعرف من أين تبدأ، وإلى أين تسير، ومع من تسير.

ولا يُشقي الإنسانَ شيءٌ مثل تناقض غاياته، وتباين اتجاهاته، وتضارب نزعاته، فهو حينًا يُشَرِّق، وحينا يغرِّب، وتارة يتجه إلى اليمين، وطورًا يتجه إلى اليسار، ومرة يُرضي زيدًا فيَغضبُ عمرٌو، وأخرى يُرضي عَمْرًا فيَغضب زيدٌ، وهو في كلا الحالين حائر بين رِضَا هذا وغضب ذاك.

ومَن في الناس يُرضي كلَّ نفس وبَيْن هوى النفوس مدى بعيد[1]؟!

إن عقيدة التوحيد قد منحت المسلم يقينًا بأن لا رب إلا الله يُخاف ويرجى، ولا إله إلا الله يُجتنب سخطه، ويُلتمس رضاه.

(١) البيت لناصيف اليازجي.

QaradawiBooks.com

وبهذا أخرج المسلم كل الأرباب الزائفة من حياته، وحطم كل الأصنام المادية والمعنوية من قلبه، ورضي بالله وحده ربًّا، عليه يتوكل، وإليه ينيب، وفي فضله يطمع، ومن قوته يستمدُّ، وله يتودد، وإليه يحتكم، وبه يعتصم، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

فأين هذا من المشرك الذي تعدَّدت أربابُه وتضاربت وجهاته، وقد مثَّله القرآنُ الكريم بخادم له أكثر من سيد، وهم شركاء متشاكسون، غير متوافقين، كلٌّ يأمره بضد ما أمره به الآخر، ويريد منه غير ما يريد الآخر، فَهَمُّه متفرق، وقلبه مشتَّت.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩]. ومعنى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾، أي: خالص لرجل واحد، لا شركة فيه ولا مشاكسة، فهو يعرف سيده، ويعرف ما يطلبه وما يرضيه. وهذا مثل المؤمن الموحد.

وقال يوسف عليه السلام لرفيقيه في سجن مصر، وكانا يعبدان مع الله آلهة أخرى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

رابعًا: التحرر من العبودية للأنانية والشهوات:

ومن ثمرات هذه الربانية: أنها ـ حين تستقر في أعماق النفس ـ تحرر الإنسان من العبودية لأنانيته، وشهوات نفسه، ولذات حسه، ومن الخضوع والاستسلام لمطالبه المادية، ورغباته الشخصية.

QaradawiBooks.com

وذلك أن الإنسان «الرباني» يقفه إيمانه بالله وباليوم الآخر موقف الموازنة: بين رغبات نفسه ومتطلبات دينه، بين ما تدفعه إليه شهواته وما يأمره به ربه، بين ما يدفعه إليه الهوى وما يمليه عليه الواجب، بين متعة اليوم وحساب الغد، أو بين لذة عاجلة في دنياه وحساب عسير ينتظره في أخراه.

وهذه الموازنة والمساءلة جديرة أن تخلع عنه نِيرَ العبودية للهوى والشهوات، وأن ترتفع به إلى أفق أعلى من الأنانية والبهيمية، أفقِ الإنسانية المتحررة التي تتصرف بوعيها وإرادتها، لا بوحي بطنها وفرجها وغريزتها الحيوانية.

فإذا لم يرتقِ إلى هذا الأفق الوضيء، فإنه يظل رانيًا إليه، حريصًا عليه، متشبِّثًا به، وإذا انحدر عنه يومًا فسرعان ما يعود إليه تائبًا من ذنبه مستغفرًا لربه.

فليس الإنسان الرباني هو الإنسان الملاك، الذي لا يقع في خطيئة ولا خطأ، فهذا لا وجود له إلا في عالم الخيال أو المثال، إنما الإنسان الرباني هو الإنسان الأوَّاب الذي يشعر بالتقصير كلما زلَّ، ويرجع إلى الله كلما أذنب: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

ولهذا عدَّد الله أوصاف المتقين، الذين أعدَّ لهم جنة عرضها السماوات والأرض، وكان منها: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ليس عجيبًا ـ إذن ـ أن يتورط الإنسان في معصية الله، وتغلبه شهوته وهواه، فقديمًا عصى آدم أبو البشرية ربَّه، وغرَّه الشيطانُ حتى ارتكب

QaradawiBooks.com

ما نهاه الله عنه من الأكل من الشجرة، ولكنه ما أسرع ما تاب وأناب، وقرع باب ربه بالاعتراف والاستغفار: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

ولقد عصى آدم، وعصى إبليس، فغُفِر لآدم، ولم يُغفر لإبليس؛ لأن معصية آدم كان سببها الضعف والنسيان: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ثم أعقبتها توبة نصوح، تمحو أثر الذنب، كما تمحو إشراقة الصبح ظلمة الليل، ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

أما معصية إبليس فكان سببها الكبر والتمرد على أمر الله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢، صٓ: ٧٦]. ولم يعقبها إلا الإصرار والضلال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

إن الإنسان الرباني قد تتاح له الشهوة الحرام، تعرض عليه بلا رقيب ولا حسيب من البشر، فيعرض عنها حياءً وحرصًا على أن يُظلَّه الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، فيقول ما قاله سيدنا يوسف عليه السلام حين راودته امرأة العزيز عن نفسه: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣].

إن الإنسان الرباني قد يتاح له المال الحرام، عن طريق الرشوة السافرة أو المُقنَّعة، أو استغلال المنصب والنفوذ، أو غير ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، فيرفضه راضيًا بالقليل، قانعًا بالحلال، موقِنًا أن كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، وهو لا يحب أن يشتري جهنم بشيء، ولو كان ملك المشرق والمغرب، حسبه أن يتلو قول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

QaradawiBooks.com

وإن الإنسان الرباني قد يتاح له الجاه والمنصب الحرام، عن طريق موالاة المعتدين، أو معاونة الظالمين، أو السير في ركاب الطاغين، فيأبى عليه دينه، وينهاه إيمانه، متذكِّرًا قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

وإن الإنسان الرباني قد يتاح له أن يتمكن من خَصمه، ويستطيع أن يَشفي منه نفسَه، وأن يرد له الصاع صاعَيْن، فينقع غُلَّته بالانتقام منه، ويستمتع بقهره وإذلاله، لكن ربانيته السمحة تأبى عليه، إلا أن يقف موقف العفو والصفح والسماح، فيقول ما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

تفاوت الغايات والأهداف لدى الأفراد:

والناس تتفاوت غاياتهم وأهدافهم ـ أفرادًا وجماعات ـ تفاوتًا بعيدًا، ويختلفون فيها اختلافًا شاسعًا، يكاد يرتفع فيها بعضهم إلى أفق الملائكة، وينزل بها بعضهم إلى حضيض الشياطين.

وهذا في الواقع هو الاختلاف الأكبر والأعمق بين الناس، أعني الاختلاف على الأهداف.

أما الاختلاف على الوسائل والطرائق، فهو أخفُّ وأهون، بعد الاتفاق على الغاية والوجهة.

وقد قال أحد الشعراء:

كلُّ من في الوجودِ يطلبُ صيدًا غيْرَ أنَّ الشّباكَ مختلفاتُ!

وكان أولى به أن يقول: غير أن الصُّيود «جمع صيد» مختلفات. لأن الخلاف الأكبر بين البشر ليس على نوعية الشِّبَاك، التي بها يحصلون

QaradawiBooks.com

على صيدهم، بل على الصيد ذاته: ماذا يكون؟ وأين يكون؟ وكم يكون؟ وكيف يكون؟!

إذا نظرنا إلى الأفراد وغاياتهم وجدناهم أصنافًا عديدة ومتنوعة.

(أ) **بعض الناس غايته عبادة نفسه وشهواته ومصالحه:**

فمنهم من يعيش حياتـــه غارقًا في لذاته، دائرًا حول مطامح نفســـه، يدور حول عبادة «ذاته»، يطـــوف بها كالوثني بصنمه، لا يخترق حجاب الحس إلى ما وراء المادة، ولا يرنو ببصره إلى شيء وراء دنياه العاجلة، وشهواته البهيمية، ومطالبه المادية الأنانية الآنية.

وفي سبيل هذه الغاية، لا يبالي أن يضحي بكل ما يعوقه، ويقف في سبيله، من القيم والمثل والمعتقدات، وبكل من يعوقه ويقف في طريق شهواته من البشر.

يفعل ذلك جهرة إن ملك القدرة عليه، وكان ذا جاه وســـلطان، وقد يرتكبه سرًّا وخُفْية؛ فرارًا من طائلة العقاب والقانون.

في ســـبيل شـــهواته وأهوائه، ومطامعه ومصالحه، لا يهمه أن يبذل العرض، أو يهدر الشـــرف، أو يضيِّع الأهل والولد، أو يبيع الصديق، أو يخون الوطن، أو يتمرد على العقيدة.

لا يحجزه عن ذلك ضمير، فقد مـــات الضمير، وأُهيل عليه التراب، ولا إيمان، فلا إيمان لمَن كان إلهه هواه، وشهوته معبوده، ولا عقل، فإن شهواته عطلت عقله، وأهواءه أغلقت منافذ تفكيره، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

QaradawiBooks.com

وقد عرفنا هذا الصنف «الأناني» وجربناه، وعانينا منه الأمرَّيْن، ولاقت الأمم قديمًا وحديثًا على يديه الويلات بعد الويلات.

وعليه نبَّه القرآن في كثير من آياته؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وفي سورة أخرى يقول: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤].

هذا الصنف البهيمي الأناني، عابد هواه، قد خرَّب أجهزة المعرفة التي منحه الله إياها، من الأسماع والأبصار والقلوب، وعاش حياة أدنى مرتبة من الأنعام، وأضل سبيلًا. وإنما كانت كذلك لأمرين:

أولهما: أن الأنعام تؤدي مهمتها المنوطة بها في الوجود، فلم تُرَ بقرةٌ تمردت على أن تُحلب، ولا جملٌ تمرد على أن يُركب، وإنما تؤدي رسالتها في خدمة الإنسان، تحرث الأرض، وتسقي الحرث، وتحمل الأثقال، وتدر اللبن، وتعطي من أشعارها وأصوافها وأوبارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين.

والثاني: أن هذه الأنعام لم تؤتَ ما أوتي الإنسان من المواهب الفكرية والروحية، ولم يُسخَّر لها ما في السماوات وما في الأرض، ولم يبعث لها رسول، ولم ينزل عليها كتاب.

وإنما الذي أوتي هذا كله هو الإنسان، فإذا أهمل هذه النعم، ولم يشكرها، ونسي رسالته، وعاش لبطنه وفرجه وشهوته، كما تعيش الدواب، كان بلا ريب أضل منها سبيلًا.

QaradawiBooks.com

(ب) مِن الناس مَن غايته الإذلال والإضرار والإفساد:

ومن الناس من لا هدف لـه في الحيـاة إلا إذلال الناس والإضرار بهم، والكيد لهم، كأن رسـالته التـي خلق لها الإفسـاد في أرض الله، والعدوان على خلق الله.

اسـتحالت نعم الله في يديه إلى سـياط للإيذاء، وأسلحة للفتك، وآلات للتدمير.

هذا الصنف كالذي قبلـه، يعيش لدنياه العاجلة، ولأنانيته البشـعة، ولكن يفترقان في المِزاج فقط.

فإذا كان اتجاه الصنـف الأول أنانيًّا شـهوانيًّا، فهذا ترى اتجاهه أنانيًّا عُدوانيًّا.

الصنف الأول فقد خصيصة الإنسان، واسـتحال إلى حيوان، وهذا الصنف فقد كذلك خصيصة الإنسان، ولكنه استحال إلى وحش مفترس، لا يكتفي بأن يتمتع، ولكن يريد العدوان على غيره.

ونحـن نقول: إن الإنسـان السـادي الـذي يحب الإيذاء شـر من الوحوش، فالوحـش لا يريد من غيره إلا أن يُشـبع جوعه، والإنسـان المفسـد لا يكفيه ما يكفي الوحش، بل يعمل على الإضرار بالآخرين، فهو يتحول من إنسان إلى شيطان، فالشيطان لا هم له إلا الإفساد والكيد والتضليل والإغواء.

وهذا الصنف هو الذي لعنه الله وذمَّه في كتابه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

QaradawiBooks.com

هذا الصنف إذا تمكن من رقاب البشر يومًا ما بولاية أو رياسة أو نفوذ، وجدته نمروذًا كنمروذ إبراهيم، يقول: أنا أحيي وأميت!

أو فرعونًا كفرعون موسى، يذبح الأبناء، ويستذل النساء!

أو طاغية كنيرون الذي أحرق روما، أو غيره من جبابرة التاريخ.

فإذا لم يكن له سلطان نمروذ ولا فرعون ولا نيرون، كان طاغية صغيرًا: ذيلًا لطاغية كبير.

والقرآن قد حكم بالإثم والهلاك على فرعون ووزيره وجنوده جميعًا؛ لأن الذي يخلق فرعون الكبير إنما هم أعوانه من الفراعنة الصغار، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]، وقال سبحانه: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۞ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٠ ـ ٤٢].

وقد يغطي هذا الصنف الذي خبث باطنه بظاهر مزخرف، ولسان يخدع الناس بمعسول القول، وحلو الكلام، فإذا سبرت غوره لم تجد وراء هذا الظاهر إلا باطنًا خرابًا، وضميرًا ميِّتًا، ونفسًا متطاولة على الخلق، مستكبرة عن الحق، مقبلة على الشر، معرضة عن الخير.

كهذا الذي وصفه القرآن فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

QaradawiBooks.com

(جـ) مِن الناس مَن لا يعبد إلا الله وحده:

وثَمَّة صنف آخر غير هذا وذاك، صنف لا يعبد نفسه، ولا يدور حول ذاته دوران الحمار في الرحى، أو الثور في الساقية!

إنه يعبد الله وحده لا شريك له، فهدفه مرضاته، وغايته محبته والقرب منه وحسن الاتصال به، لا يريد إلا وجهه، ولا يبتغي إلا مثوبته، لا يحب ولا يبغض إلا فيه، ولا يعطي ولا يمنع إلا له.

أما الدنيا، فهي عنده أداة لا هدف، ووسيلة لا غاية، فهو يملكها ولا تملكه، ويسخِّرها ولا تسخِّره، ويجعلها في يده، ولكن لا يملأ بها قلبه.

إنما يدعو ربه بما دعا به محمد ﷺ: «**اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا**»[(١)].

وهذا الصنف «الربَّاني» الذي عاش لله وبالله.

صَلاته ونُسكه لله، ومحياه وممماته لله، ونيته وعمله لله، وجهده وجهاده لله.

إنه يفعل الخير للناس، ويُسدي المعروف للضعفاء والمساكين، ولكنه لا يطلب منهم ثمنًا لمعروفه؛ لأن غايته أن يحمده الله، لا أن يحمدوه، وأن يرضى عنه الله لا أن يرضوا عنه، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

إنه يكفُّ يده عن الشر، ولسانه عن الأذى، ولا يقابل السيئة بالسيئة، بل يدفع بالتي هي أحسن، لا خشية من أحد، بل خشية من الله ﷻ.

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢) وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى، في عمل اليوم والليلة (١٠١٦١)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٨٣)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

إنه يدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويصلح بين الناس، ويميط الأذى عن الطريق.

إنه يُعلِّم الجاهل، ويهدي الحائر، ويرشد الضالَّ، ولا يطلب جزاءه إلا من الله، وشعاره في ذلك ما ذكره الله تعالى على ألسنة رسله حين قال كل رسول لقومه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

إنه يضع رأسه على كفه، ويُقدِّم روحه فداء للحق، ويبذل النفس والمال ذِيَادًا عن القيم والحرمات، ولكنه لا يفعل هذا ليُذكر اسمه في قائمة الأبطال، ولا ليرى مكانه وتتحدث عنه أجهزة الإعلام، ولا ليحوز غنيمة دنيوية، ولكن لتكون كلمة الله هي العليا، وليُوَفَّى بالصفقة التي عقدها الله معه حين اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.

والعجيب أن هذا الصنف الذي فَنِي عن حظِّ نفسه من أجل حقِّ ربه، والذي نَسِيَ ذاته وذكر الله وحدَه، هذا الصنف هو الوحيد الذي يعمل في الحقيقة من أجل نفسه: من أجل نجاتها وسعادتها.

إنه ـ عند التأمل ـ أوعى الأصناف وأحرصها على سعادة نفسه، ولكنه ـ بنور بصيرته، وعمق تفكيره ـ لم يبعْ آجلًا بعاجل، ولا باقيًا بفانٍ. وقد قال أحد حكماء الصالحين: لو كانت الدنيا ذهبًا يفنى، والآخرة خَزَفًا يبقى، لوجب على العاقل أن يختار الخزف الباقي على الذهب الفاني! فكيف إذا كانت الدنيا هي الخزف الفاني، والآخرة هذ الذهب الباقي؟!

QaradawiBooks.com

والحقيقة التي لا ريب فيها، أن النسـبة بين هذه الحياة الدنيا وبين الآخرة أكبر وأبعد وأعمق مما بين الخزف والذهب بكثير وكثير، ولكن الأمثال تُضرب للتقريب والتوضيح.

ولا شك أن أخسـر الناس، وأظلمهم لنفسه، من حَرَمَها سعادة الأبد، ونعيم الأبد، من أجل متعة عارضة، وشهوة زائلة، وأن أربح الناس بضاعةً، من بـاع لذةً فانية، أو شـهوة عاجلة، واشـترى جنة عرضها السـماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

والواقع أن هذا الصنف لم يخسـر دنياه حين آثـر آخرته، فوجَّه لها إرادته، وسعى لها سعيها وهو مؤمن.

لقد كسب الحَيَاتين، وجمع الحَسَنتين: حسنة الدنيا، وحسنة الآخرة، اللتين يحرص عليهما المؤمنون، ويسألونهما الله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة: ٢٠١].

إن الربانية قد تحرم الإنسـان مـن بعض اللذائـذ العاجلة، وبعض المنافع القريبة، ولكنها تحميه بهذا الحرمان، من شـرور ومخاطر كانت سـتعود بالضرر المؤكد عليه، أو على مجتمعه، أو على الإنسانية. كما سنشير إلى ذلك بعد.

وهي مع هذا تمنحه ـ في مقابل هذا الحرمـان الجزئي الموقوت ـ سـكينةً نفسـية، وطمأنينة روحية، لا تُقدَّر قيمتها بمال؛ لأنها هي سـر السعادة التي يَنشُدها كافة البشر، فلا يجدها إلا القليل.

وهي السعادة التي قال فيها بعض المؤمنين الذين ذاقوا حلاوتها: لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف!

QaradawiBooks.com

لقد كان الصنف الأول هو الإنسان الحيواني.

وكان الصنف الثاني هو الإنسان الشيطاني.

أما الصنف الثالث فهو الإنسان الرباني.

وتسمية الصنفين الأولين بالإنسان تسمية مجازية، فإن الصنف الثالث وحده هو الإنسان.

الدين يرد الإنسان إلى فطرته، فيلتقي بعباد الله في التاريخ كله:

ومما يقدمه الدين للإنسان: أن يرده إلى الفطرة السليمة، التي لا تعرف إلهًا غير الله، وهو الذي عبده الناس من قديم قبل أن تضلهم الشياطين بعبادة الطواغيت، واتخاذ الشياطين أولياء من دون الله، حتى أقنعهم رسل الله باجتناب هؤلاء والبعد عنهم، وبذلك انتصرت البشرية المهتدية على البشرية التي أضلتها الوثنية، وصرفتها بعيدًا عن التوحيد، وأخذتها بعيدًا عن عبادة الله الحق، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

النداء الأول في كل رسالة: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾:

هذه العبادة لله وحده، هي العهد القديم الذي أخذه الله على بني الإنسان، وسجَّله بقلم القدرة في فِطَرهم البشرية، وغرسه في طبائعهم الأصيلة، منذ وضع في رؤوسهم عقولًا تعي، وفي صدورهم قلوبًا تخفِق، وفي الكون حولهم آيات تهدي: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

هذا العهد بين الله وعباده هو الذي صوَّره القرآن في روعة وبلاغة حين قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

QaradawiBooks.com

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

فلا عجب أن يكون المقصد الأعظم من بعثة النبيين، وإرسال المرسلين، وإنزال الكتب المقدسة، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم، وإزالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة، أو الوثنية أو التقليد، ولا عجب أن يكون نداء الرسل الأول لأقوامهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. بهذا دعا قومه نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب، وكل رسول بعث إلى قوم مكذِّبين. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى بعد أن ذكر قصص طائفة كبيرة من الأنبياء: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١، ٥٢].

الجميع مأمورون بالعبادة:

وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، أي: الموت. كما قال تعالى على لسان المجرمين أهل سقر: ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٧]، وهو الموت. فالتكليف بالعبادة لازم له حتى يلحق بربه، لم تسقط عنه بسمو الروح، ولا بالاتصال القوي بالله، وهكذا ظل حتى في مرض موته عابدًا لله.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى في شأن المسيح عيسى ابن مريم، الذي رفعه قومه إلى مرتبة الألوهية: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٣].

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

٨

هل للدين مكان في عصر العلم؟

ينفر بعض الناس من اتِّباع النهج الإسلامي، لا لشيء، إلا لأنه نهج يعتمد على الدين، ويستند إلى الوحي، وهذا وحده كافٍ عندهم للإعراض عن هذا النهج، فنحن في عصر العلم، لا في عصر الدين، فقد أدَّى الدين ـ في رأيهم ـ دوره، ولم يعد له في الحياة الحديثة مكان!

حجة من يرفض الدين:

وحُجَّة هؤلاء:

أولًا: أن الحضارة لا قيام لها إلا بالعلم، والدين يعادي العلم، والغرب الحديث لم يبلغ ما بلغ من الرقي، إلا حينما رفض منطق الدين، وآمن بمنطق العلم.

فإذا أردنا أن نجاري الغرب في مدنيته وحضارته، فعلينا أن نسير سيرَه، ونخلع رِبْقة الدين من أعناقنا، وإلا بقينا في نطاق التخلُّف والانحطاط.

ثانيًا: التسليم بما ذهب إليه فيلسوف المدرسة الوضعية الفرنسية «أوجست كونت» من القول بقانون الأدوار الثلاثة، التي بدأت بالدين، وثنَّت بالفلسفة، وانتهت بالعلم، وهو غاية المطاف.

QaradawiBooks.com

ثالثًا: ترديد ما قاله «ماركس»: إن الدين أفيون الشعوب. فيتعيَّن منعه ومقاومته، حتى يتخلص الشعب من الخنوع والتسليم والإذعان، وينهض للمطالبة بحقوقه، ويثور على الأوضاع الظالمة الفاسدة.

الحضارة والعلم:

أما أن الحضارة لا قيام لها إلا بالعلم، فهذا صحيح. وأما الربط بين قبول منطق العلم ورفض منطق الدين، واعتقاد أن الدين يعادي العلم، فهذا غير صحيح.

الدين الذي عادى العلم ووقف في وجهه، وحكم على رجاله بالموت، أو بالحرمان من ملكوت السماء؛ هو دين الكنيسة الغربية، التي حجرت في بعض تاريخها على الفكر، وعارضت العلم، وتبنَّت نظريات علمية قديمة، أضفت عليها القداسة والعصمة، وحاربت كل مَن انتهى بحثه إلى مخالفتها، ورمته بالزندقة والإلحاد.

هذا موقف دين الكنيسة، ولا أقول دين المسيح.

موقف الإسلام من العلم:

أما الإسلام، فهو دين قام منذ بزغ فجره على احترام العقل، والدعوة إلى النظر والتفكر في الأنفس والآفاق، في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، وخصوصًا أن الله سخَّر للإنسان ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، كما قام على رفض كل دعوى بغير برهان، والإنكار على التبعية والتقليد، وعلى اتباع الظنون والأهواء، وتجريم السحر والكهانة والعرافة، وما يلحق بها من الأباطيل.

QaradawiBooks.com

وإلى جوار ذلك أشاد بالعلم والعلماء، وفضل درجة العلم على درجة العبادة، ورحب بكل علم نافع دينيًّا كان أو دنيويًّا، بل فرضه فرض كفاية على الأمة بقدر ما يحتاج إليه المسلمون والناس، وأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت، وبهذه المبادئ والتوجيهات الرائدة، صنع الإسلام «المناخ» النفسي والعقلي والاجتماعي لازدهار العلم، وقيام حياة علمية مضيئة الجنبات.

و«العقلانية» في الإسلام أمر اعترف به كل منصف، ولو كان من خصوم الإسلام أنفسهم.

فهذا الكاتب اليهودي الفرنسي الماركسي «مكسيم رودنسون» يقول في حديثه عن «العقيدة القرآنية»: «القرآن كتاب مقدَّس تحتل فيه العقلانية مكانًا جد كبير، فالله لا ينفكُّ فيه يناقش ويقيم البراهين، بل إن أكثر ما يلفت النظر هو: أن الوحي نفسه ـ هذه الظاهرة الأقل اتسامًا بالعقلانية في أي دين، الوحي الذي أنزله الله على مختلف الرسل عبر العصور، وعلى خاتمهم محمد ـ يعتبره القرآن هو نفسه أداة للبرهان، فهو في مناسبات عديدة، يكرر لنا أن الرسل قد جاءوا بـ «البيِّنات»، وهو لا يألو يتحدَّى معارضيه أن يأتوا بوحي مثله.

والقرآن ما ينفك يقدِّم البراهين العقلانية على القدرة الإلهية: فإن في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتوالد الحيوان، ودوران الكواكب والأفلاك، وتنوع خيرات الحياة الحيوانية والنباتية، تنوعًا رائع التطابق مع حاجات البَشر: ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] [آل عمران: ١٩٠].

(١) كان الأولى الاستشهاد بآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن =

QaradawiBooks.com

وفعل «عقل» ـ بمعنى: «رَبَط الأفكار بعضها ببعض، حاكَم، فَهِم البرهان العقلي» ـ يتكرر في القرآن حوالي خمسين مرة، ويتكرر ثلاث عشرة مرة هذا السؤال الاستنكاري، وكأنه لازمة: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟! والكفار أولئك الذين يرفضون الاستماع إلى دعوة محمد، يوصفون بأنهم: ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾؛ لأنهم قاصرون عن أي جهد عقلي يهز تقاليدهم الموروثة، وهم بهذا كالعجماوات والأنعام، بل أكثر عجمة.. ولذلك يكره الله هؤلاء الناس الذين لا يريدون أن يعيدوا النظر في أُسس تفكيرهم.

ولئن كان ـ أي الله سبحانه ـ يرسل الآيات «الدالة» على وجوده وإرادته، وأهمها الآيات المنزلة على نبيه محمد، فلِكَي يفهمها الناس، ويجعلوا منها أساسًا لتفكيرهم، ونرى الله يقدِّم البيِّنة الفاصلة، ثم يختتم البرهان بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]»[(١)].

ويستمر الكاتب في بيان عقلانية الإسلام مقارنة بما جاء في العهدين القديم والجديد لليهود والمسيحيين، إلى أن يقول: «في مقابلة هذا تبدو «العقلانية القرآنية» صُلبة كأنها الصَّخر»[(٢)].

ومثل هذا المناخ العقلي الذي صنعته آيات القرآن ـ كما اعترف به المفكر الماركسي وغيره ـ يشكل أخصب بيئة لإنتاج علمي مثمر، قائم على استخدام أقصى الطاقات والمواهب البشرية.

= ﴿كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. فهي المطابقة لكلام المؤلف هنا، ويبدو من كلام المؤلف أنه تتبع مادة (عقل) فقط في القرآن، ولو تتبع كلمات أخرى في الموضوع مثل: نظر، وتفكر، وفقه، وعلم، وحكمة، وبرهان، ولُب، وحِجْر، ونحوها لخرج بشيء كثير وكثير جدًّا.

(١) الإسلام والرأسمالية لمكسيم رودنسون صـ ١٣٤ وما بعدها، ترجمة نزيه الحكيم، نشر دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٢) الإسلام والرأسمالية صـ ١٣٤، فصل: العقيدة القرآنية.

QaradawiBooks.com

إضافات إسلامية مهمة لاستخدام العلم:

ولكنَّا نضيف إلى ما ذَكَر أُمورًا مهمة في موقف الإسلام من العلم، منها:

١ ـ إشارة القرآن إلى استخدام «التخطيط» في السياسة الاقتصادية والتموينية للدولة، كما هو واضح في «الخطة الخمس عشرية» من قصة يوسف الصِّدِّيق عليه السلام في القرآن الكريم، وكيف كانت هذه الخطة الحكيمة سببًا في إنقاذ مصر وما حولها من الأقطار من مجاعة مهلكة. فليس التخطيط ـ إذن ـ منافيًا لعقيدة الإيمان بالقَدَر، كما يفهم بعض السطحيِّين[(١)].

٢ ـ استخدام النبي ﷺ لأسلوب «الإحصاء» منذ عهد مبكر من حياة المسلمين في المدينة، فقد روى البخاري، أنه ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة، أمر بعض أصحابه أن يُحصوا له عدد الذين يلفظون بالإسلام، فأحصوهم، فكان عددهم خمسمائة وألفًا[(٢)].

وبهذا نعلم أن «الإحصاء» أسلوب إسلامي أصيل، وليس سلعة مستوردة من الغرب. ومن الأصيل في الثقافة الدينية الإسلامية: أن من أسماء الله تعالى «المحصي» الذي أحصى كل شيء عددًا.

٣ ـ إقراره صلوات الله وسلامه عليه لمبدأ التجربة في الأمور الدنيوية، والأخذ بنتائجها، وإن كانت مخالفة لرأيه ﷺ، كما وقع ذلك في حادثة تأبير النخل، وقوله لهم في ذلك: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[(٣)].

(١) انظر: الإسلام والمنهج العلمي د. عبد العزيز كامل صـ ١٧ ـ ٢٢، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.
(٢) رواه البخاري في الجهاد (٣٠٦٠)، عن أبي حذيفة.
(٣) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

٤ ـ تشجيع الاقتباس، وأخذ النافع من الغير، في الأمور «التقنية» والدنيوية، التي لا تتعلق بالعقائد والقِيَم والآداب والشرائع ونحوها، مما تتمايز به المجتمعات «الأيديولوجية» بعضها عن بعض، ولهذا أخذ الرسول ﷺ برأي سلمان في حفر الخندق حول المدينة، مع أنه من أساليب الفُرس. وصنع له نجار رومي منبرًا يخطب عليه، وقد رُوي عنه ﷺ قوله: «**الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق بها**»(١).

٥ ـ إشادة القرآن الكريم بقيمة الصناعة ودورها في الحياة، حتى إن رُسُل الله والمصطفَيْن الأخيار من عباده؛ كانوا أصحاب حِرَف وصناعات، أتقنوها وتفوقوا فيها؛ فنوح شيخ المرسلين يصنع السفن، وإبراهيم أبو الأنبياء وابنه إسماعيل بَنَّاءان يرفعان القواعد من البيت (الكعبة)، وداود يصنع الدُّروع، ويلين له الحديد، وسليمان يُسيل اللهُ له عَيْنَ القِطْر، ويُسخِّر له الجن، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، وذو القرنين يقيم السدَّ العظيم من الحديد والنحاس المُذاب.

وهذا كله يبيِّن لنا طبيعة «المناخ» الذي هيَّأه الإسلام لظهور «المنهج العلمي» السليم، الذي لم يملك باحثو الغرب أن ينكروه، بل اقتبسوه واستفادوا منه.

يقول العلَّامة «رينيه ميليه»: «لقد جاء المسلمون بمبدأ في البحث جديد؛ مبدأ يتفرَّع من الدين نفسه، هو مبدأ التأمل والبحث، وقد مالوا

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، عن أبي هريرة، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦). ولكن معناه صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

إلى العلوم وبرعوا فيها، وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء، وقد وُجِد فيهم كبار الأطباء»[١].

ويقول الدكتور «فرنتو رونثال»: «إن أعظم نشاط فكري قام به العرب، يبدو لنا جليًّا في حقل المعرفة التجريبية، ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم، فإنهم كانوا يبدون نشاطًا واجتهادًا عجيبَيْن، حين يلاحظون ويمحصون، وحين يجمعون ويرتبون ما تعلَّموه من التجربة».

ويقول المؤرخ الفيلسوف الاجتماعي الشهير «غوستاف لوبون»: «إن العرب هم الذين عَلَّموا العالَم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين»[٢].

أثر العلم الإسلامي في الحضارة:

ولا عجب أن قامت في هذا المناخ حضارة سامقة الذُّرَا، جمعت بين العلم والإيمان، ومزجت بين الدين والدنيا، حتى إن أوربا لم تُقِم نهضتها العلمية إلا حين مسَّها قبس من نور هذه الحضارة، أخرجها من سجن التقليد، والدوران حول القديم، من القياس الأرسطي، والمنطق الصوري، إلى باحة الكشف والاستقراء والملاحظة والتجربة، وكل ذلك من أثر المنهج العلمي الإسلامي الذي اكتشفه المسلمون، متأثرين بالإسلام قبل أي شيء آخر.

---

(١) من خطبة لموسيو رينيه ميليه ألقاها في مؤتمر إفريقيا الشمالية بباريس، نقلًا عن مجلة المنار للعلامة محمد رشيد رضا (٨١٨/١١).

(٢) انظر: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للأستاذ الإمام محمد عبده صـ ٨٦، نشر دار المنار، ط ٨، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يقول المؤرخ والفيلسوف الفرنسي الدكتور «غوستاف لوبون» في فصل له عن «مناهج العرب العلمية» من كتابه «حضارة العرب»: «ليست المكتبات والمختبرات والآلات غير وسائل للدرس والبحث، وتكون قيمتها في معرفة الاستفادة منها، وقد يستطيع المرء أن يكون مطَّلِعًا على علوم الآخرين، وقد يبقى عاجزًا عن التفكير وابتداع أي شيء مع ذلك، فيظل تلميذًا غير قادر على الارتقاء إلى درجة أستاذ، وسيبدو من الاكتشافات التي نذكرها في الفصول الآتية مقدار ما اكتشفه العرب بما لديهم من وسائل الدرس. والآن أقتصر على ذكر المبادئ الأربعة التي وجَّهت أبحاثهم:

لم يلبث العرب بعد أن كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان: أن أدركوا أن التجربة والترصد خير من أفضل الكتب، وعلى ما يبدو من ابتذال هذه الحقيقة، جَدَّ علماء القرون الوسطى في أوربا ألف سنة قبل أن يعلموها.

ويُعْزَى إلى «پيكون» ـ على العموم ـ أنه أول مَن أقام التجربة والترصد اللَّذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ، ولكن يجب أن نعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم.

وقد أبدى هذا الرأي جميع العلماء الذين درسوا مؤلَّفات العرب، ولا سيما «هَنبولْد»، فبعد أن ذكر هذا العالم الشهير أن ما قام على التجربة والترصد هو أرفع درجة في العلوم، قال: «إن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريبًا».

وقال «مسيو سيديُّو»: «إن أهم ما اتصفت به مدرسة بغداد في البداءة هو روحها العلمية الصحيحة التي كانت سائدة لأعمالها، وكان استخراج

QaradawiBooks.com

المجهول من المعلوم، والتدقيق في الحوادث تدقيقًا مؤدِّيًا إلى استنباط العلل من المعلولات، وعدم التسليم بما لا يثبت بغير تجربة؛ مبادئ قال بها أساتذة من العرب، وكان العرب في القرن التاسع من الميلاد حائزين لهذا المنهاج المُجدِي، الذي استعان به علماء القرون الحديثة بعد زمن طويل للوصول إلى أروع الاكتشافات».

قام منهاج العرب على التجربة والرصد، وسارت أوربا في القرون الوسطى على درس الكتب، والاقتصار على تكرار رأي المعلم، والفرق بين المنهجين أساسي، ولا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية، إلا بتحقيق هذا الفرق.

واختبر العرب الأُمور وجرَّبوها، وكانوا أول مَن أدرك أهمية هذا المنهاج في العالَم، وظلوا عاملين به وحدهم زمنًا طويلًا، قال: «دولَنْبِر» في كتاب «تاريخ علم الفلك»: «تَعُدُّ راصِدَين أو ثلاثة بين الأغارقة، وتَعُدُّ عددًا كبيرًا من الرُصَّاد بين العرب، وأما في الكيمياء فلا تجد مجرِّبًا يونانيًّا مع أن المجرِّبين من العرب فيها يُعَدُّون بالمئات».

ومنح اعتماد العرب على التجربة مؤلَّفاتهم دقة وإبداعًا، لا يُنتظر مثلهما من رجل تعوَّد درس الحوادث في الكتب، ولم يبتعد العرب عن الإبداع، إلا في الفلسفة التي كان يتعذَّر قيامها على التجربة.

ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصولهم إلى اكتشافات مهمة، وسنرى من مباحثنا في أعمال العرب العلمية: أنهم أنجزوا في ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات ما يزيد على ما حقَّقه الأغارقة في زمن أطول من ذلك كثيرًا، وكان تراث اليونان العلمي قد انتقل إلى البيزنطيين، الذين عادوا لا يستفيدون منه منذ زمن طويل، ولمَّا

QaradawiBooks.com

آل إلى العرب حوَّلوه إلى غير ما كان عليه، فتلقَّاه ورثتهم مخلوقًا خلقًا آخر.

ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها كذلك بما أقاموا من الجامعات، وما ألَّفوا من الكتب، فكان لهم الأثر البالغ في أوربا من هذه الناحية، وسترى في الفصل الذي ندرس فيه هذا التأثير: أن العرب وحدهم كانوا أساتذة الأُمم النصرانية مدة قرون، وأننا لم نطلِّع على علوم قدماء اليونان والرومان إلا بفضل العرب، وأن التعليم في جامعاتنا لم يستغن عما نُقل إلى لغاتنا من مؤلَّفات العرب، إلا في الأزمنة الحاضرة»[(١)].

ومما لا يُنازِع فيه أحد: أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم اهتمام كبير بالجانب العلمي، لغلبة الجانب الأدبي والاهتمام بفنون القول عليهم.

فهذا الاتجاه العلمي الذي نوَّه به مؤرخو الحضارة الإسلامية العربية إنما هو من صنع الإسلام، الذي حثَّهم على البحث والتأمل في آيات الله في الأنفس والآفاق، والنظر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، وهيأ ـ قبل ذلك ـ المناخ النفسي والعقلي الذي ازدهر فيه العلم هذا الازدهار[(٢)].

فإذا كان مؤرخو العلم الأوربيون قد أنكروا فضل العرب الفلسفي، فإنهم لم يستطيعوا إنكار فضلهم العلمي، وإن كان الكثيرون منهم يعترفون به على أساس أنه نتيجة لعلوم اليونان، وليس هنا مجال مناقشة هؤلاء.

---

(١) حضارة العرب صـ٤٢٣ ـ ٤٣٧، ترجمة عادل زعيتر، ط١.

(٢) انظر كتابينا: الرسول والعلم صـ ٤٢ ـ ٦٤، فصل: الرسول والعلم التجريبي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، والعقل والعلم في القرآن، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت.

QaradawiBooks.com

ونحن نعلم أن أفكار «الحسن بن الهيثم» في علم «البصريات» عاشت في أوربا إلى زمان ليس ببعيد عنَّا، كما نعلم أن أبحاث «الطوسي» في «الرياضيات»، وتناوله لهندسة «إقليدس» ومعادلاته، بقيت زمنًا طويلًا يتناولها علماء أوربا، وكذلك كتاب «ابن سينا» الطبي «القانون»، بقي المرجع الأساسي لكليات الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر.

وما زالت عناية الباحثين بالعلم العربي الإسلامي قائمة على أشدها، مهتمين ببيان مكانته في التراث العلمي العالمي، وممن وجَّه الأنظار إلى قيمة هذا العلم مؤرخ تاريخ العلم الإنساني، الأستاذ «چورچ سارتون».

وقد لفت الأستاذ الدكتور علي سامي النشار الأنظار إلى أعمال هذا الباحث الكبير، وعلى الأخص في كتابه الممتاز «تاريخ العلم».

فقد عرض في مواضع متعددة من هذا الكتاب لأهمية العلم العربي «الإسلامي» في العصور الوسطى.. وقرر: أن أعظم النتائج العلمية مدة أربعة قرون إنما كانت صادرة عن العبقرية الإسلامية.

كما بيَّن أيضًا: أن معظم الأبحاث العلمية الممتازة ـ خلال هذه القرون الأربعة ـ إنما تمت في لغة العلم الكبرى حينئذ وهي اللُّغة العربية[1].

ويذكر الدكتور النشار في كتابه القيم «مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي» نتيجتين هامتين لبحثه كله:

(١) انظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي للدكتور علي سامي النشار صـ ٣٥٣ ـ ٣٥٨، نشر دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م، كما نبَّه د. النشار إلى كتاب العلم القديم والمدنية الحديثة لسارتون صـ ٧٨، ٧٩، ١٢٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ومواضع أخرى متعددة، ترجمة د. عبد الحميد صبرة.

QaradawiBooks.com

الأولى: أن المفكرين المسلمين الحقيقيين، الممثلين لروح الإسلام، لم يقبلوا المنطق الأرسطي الصوري؛ لأنه يقوم على المنهج القياسي، ولا يعترف بالمنهج الاستقرائي أو التجريبي.

والنتيجة الثانية: أن المسلمين قد وضعوا هذا المنهج العلمي بجميع عناصره، وكانت إسبانيا هي المعبر الذي انتقل خلاله من العالَم الإسلامي إلى أوربا[1].

وينقل مفكر الهند الكبير الدكتور محمد إقبال رَحِمَهُ اللَّهُ عن «دوهرنج» قوله: «إن آراء «روجر بيكون» عن العلم أصدق وأوضح من أراء سَلَفه. ومن أين استمد «روجر بيكون» دراسته العلمية؟ من الجامعات الإسلامية في الأندلس».

ويقرر الأستاذ «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية»: أن «روجر بيكون» درس العلم العربي دراسة عميقة، وأنه لا يُنسب له ولا لسميه الآخر «فرنسيس بيكون» أي فضل في اكتشاف المنهج التجريبي في أوربا. ولم يكن «روجر بيكون» في الحقيقة إلا واحدًا من رُسُل العلم، والمنهج الإسلامي إلى أوربا المسيحية.

ولم يكفَّ «روجر بيكون» عن القول بأن معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحقَّة لمعاصريه.

ثم يذكر أنه ليست هناك وجهة نظر من وجهات العلم الأوربي لم يكن للثقافة الإسلامية تأثير أساسي عليها، ولكن أهم أثر للثقافة الإسلامية في العلم الأوربي هو تأثيرها في «العلم الطبيعي» و«الروح

(١) مناهج البحث عند مفكري الإسلام صـ ٣٨٢.

QaradawiBooks.com

العلميــة»؛ وهما القوتــان المميزتــان للعلم الحديــث، والمصدران الساميان لازدهاره.

ويقرر «بريفولت» في حســم وإصرار: «إن ما يدين بــه عِلْمنا لعِلم العرب ليس هو ما قدَّموه لنا من اكتشافهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة، إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا؛ إنه يدين لها بوجوده..

إن ما ندعوه بالعلم ظهر في أوربا نتيجــة لروح جديدة في البحث، ولطــرق جديدة في الاســتقصاء.. طرق التجربــة والملاحظة والقياس، ولتطور الرياضيات في صورة لم يعرفها اليونان.

وهذه الروح وتلك المناهج إنما أدخلها العرب إلى العالَم الأوربي»[1].

الإسلام يوحِّد بين الدين والعلم:

وبهذا يتضح لنا أن لا مجال في الإسلام لدعوى التعارض أو العداوة بين الدين والعلم، فالدين في الإســلام علم، والعلم فيه دين، كما تشهد بذلك أصول الإسلام وتاريخه جميعًا.

فالدين في الإسلام علم؛ لأنه لا يعتمد على الوجدان وحده، بل يقوم على النظر والتفكير ورفــض التقليد الأعمى، والاعتمــاد على البرهان اليقيني لا على الظن واتباع الهوى.

والعلم في الإســلام دين؛ لأن طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة، وهو فريضــة عينية أو كفائيــة، تبعًا لحاجــة الفرد أو حاجــة المجتمع. والاشتغال بالعلم النافع ـ دينيًا كان أم دنيويًا ـ عبادة وجهاد في سبيل الله. وهذه حقيقة شهدها وشهد بها كثير من الباحثين والمؤرِّخين الغربيِّين.

(١) مناهج البحث عند مفكري الإسلام صـ ٣٨٢.

QaradawiBooks.com

ولا بأس أن نذكر هنا بعض هذه الشهادات تأكيدًا وتثبيتًا لمن تهمهم أقوال الغربيين.

يقول العلامة «هورتن»: «في الإسلام وحده تجد اتحاد الدين والعلم، فهو الدين الوحيد الذي يوحِّـد بينهما، فتجد فيه الدين ماثلًا متمكنًا في دائرة العلم، وترى وجهة الفلسـفة ووجهة العلم متعانقتَيْن، فهما واحدة لا اثنتان»[١].

ويقول «إتيان دينيه»: «إن العقيدة الإسـلامية لا تقف عقبة في سبيل الفكر، فقد يكون المرء صحيح الإسـلام، وفي الوقت نفسه حر الفكر، ولا تقتضي حرية الفكر أن يكون المرء منكرًا لله. لقد رفع «محمد» قَدْر العلم إلى أعظـم الدرجات، وجعله من أول واجبات المسـلم. ويقول: «يوزن يوم القيامة مِداد العلماء بدماء الشهداء»[٢]. ورفع فضل العلم على فضل العبادة»[٣].

أين نشأت مشكلة التعارض بين الدين والعلم؟

وإذا كان هذا موقف الإسـلام من العلم، فمن أين نشـأت مشـكلة التعارض بين العلم والدين؟

(١) انظر: استعداد الإسلام لقبول الثقافة الروحية للمستشرق الألماني هورتن صـ ٩، نقلًا عن مجلة المنار (١٤٠/٣٠)، مقال شهادات علماء الغرب المنصفين للسيد محمد رشيد رضا.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥٣)، وضعف إسناده العراقي في تخريج إحياء علوم الدين صـ ١٣، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) كحديث: «فضل العالِم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي». رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٥) وقال: حسـن صحيـح. وصححه الألباني في صحيـح الجامع (٤٢١٣)، عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

الحقيقة كما يقول الإمام الأكبر الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود: «إن مشكلة التعارض بين الدين والعلم إنما نشأت في أوربا، بعيدة عن الجو الإسلامي. إنها تصوِّر نزاعًا في بيئة بعيدة كل البُعد عن الروح الإسلامية، التي حثَّت الإنسانية على التعليم والتعلم، والتي نشأ المنهج العلمي ـ الذي يعتبرونه حديثًا ـ بين ربوعها، قديمًا بقدمها، والتي أنشأت على أساس من هذا المنهج حضارة ضخمة، لا يزال يُكشف كل يوم الكثير من أنحائها العميقة.

وما من شك في أن الحضارة الإسلامية هي ـ كما يقول الأستاذ «بريفولت» ـ التي قدَّمت إلى الحضارة الغربية الحديثة المنهج العلمي وأُصول العلم نفسه، أي الحقائق المكتشفة في المجالات المختلفة.

والأمر العام الذي نريد أن ننبه عليه، هو: أن مسألة التعارض بين الدين والعلم إنما هي مسألة وهمية إذا نظرنا إلى حقيقة الأمر.

ذلك أن العلم وممثِّليه الحقيقيِّين يعترفون في صراحة لا لَبْس فيها، وفي وضوح لا خفاء فيه بأن دائرة أبحاثهم، إنما هي المادة، وإنما هي الْمُحَسُّ، وأنهم يعتمدون في ذلك على التجربة وعلى الملاحظة، إنهم يعتمدون على الاستقراء على وجه العموم»[1].

* * *

(١) منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع صـ ٩١، ٩٢، نشر دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

٩

الطب النفسي في موكب الإيمان

كل العلوم قد أسهمت بقدر ما في إقامة الأدلة على وجود الله تعالى، فمنهم من أطال، ومنهم من قصر، خصوصًا علم النفس.

على أن كثيرًا من الأطباء النفسيين قد ثبت لديهم بالتجارب المتكررة أن الإيمان بالله والآخرة من أعظم الأدوية الفعَّالة في القضاء على الأمراض النفسية، وكثير منهم استعان بالدين في علاج مرضاهم، فنجحوا أعظم نجاح، وسجَّلوا ذلك في بحوث ومقالات وكتب نشروها على الناس.

ولعل أبرز مَثَل يحضرني الآن هو الطبيب النفسي الأمريكي الشهير الدكتور «هنري لنك» الذي كفر يومًا بالدين الذي ورثه، وخلع معتقداته القديمة كما يخلع المرء نعله، وعاش عدة سنوات ملحدًا، لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فعل ذلك باسم العلم، الذي رآه في ذلك الوقت يتعارض مع الدين، أو على الأقل: لا يثبته ولا يؤيده. فالعلم ـ حسب قوله ـ لا يستطيع أن يثبت وجود الله، كما لا يستطيع أن يثبت عدم وجوده، وبناء على ذلك لا يسع اللبيب إلا أن يقول: «أنا لا أعرف». أي: يكون شاكًّا أو ملحدًا.

غير مرخصة للطباعة

هذا الرجل، الذي جرفه العلم بعيدًا عن الدين، عاد عن طريق العلم مرة أخرى إلى الدين، وسجَّل ذلك في كتاب نشره على الناس، وطبع إلى ما قبل سـنوات في أمريكا (٤٧) مرة[١]، وقد سمى كتابه «العودة إلى الإيمان».

ولنسـتمع إليه نفسـه يحدثنا عن أسـباب عودته وظروفها وكيفيتها فيقـول: «وهأنذا أُسـجِّل أن عودتي إلى حظيرة الإيمـان لم تكن وليدة الضائقة المالية التي اكتسـحت العالم وقتًا ما، ولو أني أعترف مع ذلك بأن تلك الفترة قد سـاعدت على نضوج بعض الحقائق النافعة لي، وما كان تقدم سني أو اقترابي من الشـيخوخة ـ هذان الشبحان اللذان غالبًا ما يؤثران على تفكير المرء ـ هما السبب في عودتي إلى حظيرة الإيمان، فإني ما زلت في مستهلِّ الخامسة والأربعين، وهي سن تعتبر مبكرة نوعًا ما، وما زلت بحمد الله موفور الصحة، قـوي البنية، قادرًا على الانحناء عشـر مرات متواليات، وسـباحة ميل كامل، والتهام كل ما أشتهي من طعام، دون خشية أية عواقب.

فعودتي إلى الإيمان لا ترجع إلى تدهور صحتي، ولا إلى ما عساه أن أكون قاسيته من الآلام التي تؤثر على عقلية المريض، فتجرفه في تيار التمنِّي للتخلص مـن هذه الحياة، والإخلاد لحيـاة أخرى، كلها راحة واطمئنان.

كما أني أقرِّر أنهـا لم تأت في أعقاب مصيبـة أو كارثة من كوارث الحياة ومشاكلها، بل بالعكس، جاءت بعد أن قضيت ستة عشر عامًا في حياة زوجية هانئـة، فأنا رجل محظـوظ، لي ثلاثة أطفـال هم مصدر

(١) كان ذلك أوائل الخمسينيات من القرن العشرين.

QaradawiBooks.com

سعادتي وغِبطتي، وأحرزت من النجاح أكثر مما كنت أصبو إليه، أما إيرادي، فيربو على حاجتي ومطالب أسرتي.

ومن هذا ترى أن هداي لم تصطحبه أية حبكة روائية، أو إثارة ما لعواطفي، فلم أمر بتجربة قاسية، ولم يحرك إحساسي كارثة، كما لم يُبهر بصري اكتشاف جديد قد يُحدث هذا التبدُّل الذي أسجله الآن.

لقد أتاني الهُدَى وئيدًا، حتى إنني لم أتبينه في نفسي خلال مراحله الأولى، وما كان مرجع هذا التبدل، إلا تلك التجارب المتواصلة التي صادفتني في أثناء ممارستي لمهنتي كطبيب نفساني»[1].

فهذا الرجل الطبيب العالم يعلن في ثقة ووضوح: أنه لم يعد إلى حظيرة المؤمنين نتيجة لتأثر وقتي، أو انفعال عارض، ولم يعد إلى الإيمان، بناء على نظريات نفسية اعتنقها، أو آراء فلسفية تبناها، فإن النظريات والآراء قابلة للصدق والكذب، ومحتملة للصواب والخطأ، إنما عاد الرجل إلى الإيمان، بناء على تجارب مارسها بنفسه، وعلى ملاحظات متكررة شاهدها بعيني رأسه، وهذه التجارب والملاحظات هي أساس علم النفس التجريبي، الذي يدرس الظواهر النفسية دراسة تقوم على القياس والاختبار والإحصاء والأرقام، والتي بها أصبحت الدراسات النفسية «علمًا» ولم تعد «فلسفة».

وها هو يوضح هذا المعنى ويؤكده، فيقول: «إن علم النفس الحديث القائم على أساس الرياضيات والأرقام، والذي يطبق على البشر لا على

(١) العودة إلى الإيمان د. هنري لنك صـ ١٤ ـ ١٥، ترجمة ثروت عكاشة، نشر دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

الورق، هو الذي قلب آرائي ومبادئي رأسًا على عقب، دون أن أشعر بالتطور الذي حلَّ بي من مدة طويلة.

وهنا لا يجوز الخلط بين هذا العلم وبين التحليل النفسي، الذي أدَّى إلى ظهور نظريات تأملية، لا يمكن تمامًا الجزم بصحتها كلها، كالتعبير عن الذات والقمع، والأحلام والعقل الباطن، واللبيدو[1] وعقدة النقص، والتربية التقدمية.. إلخ.

وما أقل ما يعرفه الناس عن علم النفس العلمي الذي بلغت دقته الدرجة التي وصلت إليها الكيمياء والطبيعة منذ قرن من الزمان، وبرغم أنهم سمعوا عن اختبار الذكاء أو مقياس الذكاء، إلا أن القليلين منهم هم الذين يدركون أن هناك أكثر من (١٠٠٠٠) اختبار نفسي أجراها رجال علم النفس، وأن معظم هذه الاختبارات تستخدم الآن في الحياة العامة، والقليلون أيضًا يعلمون أن «مؤسسة روكفلر» قد وهبت جماعة من علماء النفس نصف مليون دولار، لاكتشاف اختبارات التعاون المستخدمة الآن بمعظم المدارس.

وقد أمضى أساتذة علم النفس في جامعة «مينيسوتا» خمس سنوات في بحث متواصل، حتى اهتدوا إلى استنباط ثلاثة اختبارات لقياس مدى كفاية المرء الآلية، واستعداده الطبيعي لاستخدام الأجهزة الآلية، أنفقت فيها مائة ألف دولار، تبرع بها مجمع الأبحاث الوطني وغيره من المؤسسات.

(١) اللبيدو: هي الطاقة الحيوية في الإنسان، قصد بها (فرويد) الحرمان الجنسي، أو الجانب العقلي للغريزة الجنسية، ولكن (يونج) توسَّع في معنى التعبير، وأطلقه بصفة عامة على الحيوية بأسرها (المترجم).

QaradawiBooks.com

ويكاد الجمهور الذي ينفق ملايين الدولارات على دراسة الموسيقا لا يعرف شيئًا كذلك عن دقة اختبار «سيشور» لاكتشاف المواهب الموسيقية الفطرية في الإنسان، وقد وضعه بعد بحث مجهد دام خمسة وعشرين عامًا، بمعاونة عدد من رجال علم النفس المساعدين.

وقليلون أيضًا هم الذين سمعوا عن الجهاد العنيف الذي بذله أمثال: رودرث وثيرستون، وألبروت وولز وروث، وبرنرويتر، وغيرهم في مجال الشخصية وحدها.

وهكذا ظهر تحسن ملحوظ في القدرة على تفهم الشخصية، وترقيتها والتقدم بها، بواسطة الاختبارات المتقدمة الذكر، واستخدامها في علاج المرضى بالعيادات الطبية، فقد أجرى اختبار قياس الشخصية وحده على حوالي نصف مليون نفس عام ١٩٣٥م في عيادات الولايات المتحدة ومدارسها.

هذا الفرع من علم النفس هو الذي أدَّت مكتشفاته إلى تبديل معتقداتي الدينية، وهي تختلف عن تلك النظريات الجذابة الشائعة بين الناس، كما أني قد قدَّمت إلى هذا النوع من علم النفس العلمي الكثير من المعونة، فحازت القبول، وأما مكتشفاتي التي سيرد ذكرها فيما بعد، فلم تكن ممكنة التحقيق بدون تلك التجارب العلمية التي قام بها غيري من العلماء النفسيين، وأما كون النتائج المستخلصة من هذه الدراسات تؤيد ـ بل تطابق ـ بعض المعتقدات الدينية الأساسية، فهذا ما سيلمسه الجميع حتمًا بمرور الزمن.

وقد طبقت مكتشفات علم النفس تطبيقًا واسع النطاق على معظم المشكلات الإنسانية، فقد أجرت مصلحة تشغيل المتعطِّلين بمدينة

QaradawiBooks.com

نيويورك اختبارًا نفسيًّا على (١٥٣٢١) نفسًا من الرجال والنساء المتعطلين، في فترة لا تتجاوز ستة عشر شهرًا. وفي ضوء هذه الاختبارات أمكن توجيه كل منهم إلى المهنة المناسبة والتدريب المطلوب له حتى يصير لائقًا لهذه المهنة.

وفي كثير من الأحيان كانت النصيحة تقدَّم استنادًا على المشكلات والعقد المكتشفة في شخصية كل منهم، والتي تكون عادة السبب الأساسي في تعطُّلِهم، وقد تكلَّفت هذه العملية أكثر من مائتي ألف دولار، تبرَّعت بمعظمها «مؤسسة كارنيجي»، وجمعية مساعدة العمال العاطلين بمدينة نيويورك، ولما كنتُ قد عُيِّنت مستشارًا خاصًّا في هذه العملية، ونيط بي وضعُ الخطط ومراقبة الدراسات الإحصائية المستخلصة لعشرة آلاف نفس، ممن جرى عليهم الاختبار، وقد أجريت عليهم ما قدره (٧٣٢٢٦) اختبارًا نفسيًّا، وسجلت تقريرًا شخصيًّا شاملًا لكل فرد منهم. وفي هذا الوقت بالذات بدأت إدراكي لأهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الإنسان، ووجدت من نفسي استعدادًا لمضاهاة تجاربي السابقة على مَرضاي، بالنتائج الباهرة التي أتت بها تلك الاختبارات العظيمة، التي توليت الإشراف عليها، وقد استخلصنا من هذه الاختبارات نتيجة هامة، ولو أنها لم تنشر في التقرير النهائي، وهذه النتيجة هي: أن كل من يعتنق دينًا أو يتردد على دار العبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له أو لا يزاول أية عبادة.

وعلى ذلك لم تكن رجعتي إلى الدين رجعةَ الضالِّ الذي اهتدى إلى دين صائب، أعني أن هذه الرجعة لم تصاحب شعورًا متوقِّدًا، أو نعرة عاطفية، لكنها كانت رجعة عن طريق العقل فحسب لسوء الحظ! ولا

QaradawiBooks.com

أظن أن كافة المتديِّنين يقرُّون هذه الحقيقة، حتى أنا نفسي لا أعتقد أنها الطريقة المثلى، ففكرتي عن الدين تتضمن بضع معتقدات، لا تؤيدها مذاهب دينية معينة، وتنبذ بعض الآراء التي تراها مذاهب معينة جوهرية. إذن، فما هو الدين؟

الدين: هو الإيمان بوجود قوة ما كمصدر للحياة. هذه القوة هي قوة الله، مدبِّر الكون، خالق السماوات، وهو الاقتناع بالدستور الخُلُقي الإلهي الذي سنَّه الله في كتبه المتعاقبة، واعتبار التعاليم السماوية أثمن كنز تغترف منه الحقائق الدينية، وهي أسمى في مرماها من العلوم كلها مجتمعة»[1].

والحق أن هذا الرجل ـ ككثيرين غيره ـ حين كفر وألحد، لم يكفر بدين الله الحق، وإنما كفر بالتحريفات التي شوَّهَتِ الدين ومسخته، إنما كفر بدين الكنيسة، بما أضيف إليه، وما ابتُدع فيه، وحين آمن وعاد إلى الدين، لم يعد إلى الدين الذي أنكره من قبلُ، بل عاد إلى دينٍ ترضى عنه فطرته وعقله، وإن لم ترضَ عنه مذاهبُ كنسية معينة، وهو ينبذ معتقدات تراها بعض المذاهب جوهرية. ولو أتيح للرجل أن يعرف الإسلام على بصيرة؛ لأيقن أن الدين الذي اهتدى إليه، وأعلن عودته إلى حظيرته، إنما هو في الواقع دين الإسلام، دين الفطرة والعقل، دين الحياة والقوة، فهذا الدين هو سلاح الأقوياء، وليس ملجأ الضعفاء، كما يقول الدكتور في فقرة من كتابه:

«لقد أدَّت دراستي العميقة للأفراد إلى مشاهدتي ذلك القبس المضيء من نور الهداية، وسواء أكان أمل الإنسان هو الحصول على

(١) العودة إلى الإيمان صـ ٢٣ ـ ٢٦.

QaradawiBooks.com

الوظيفة اللائقة، أو الأمن الاقتصادي، أو الاطمئنان الاجتماعي، أو السعادة الزوجية، فلن يعُمَّ الرخاء، إلا إذا حارب الناس أسلوب الحياة الراهنة والمجتمع الحالي حربًا لا هوادة فيها، توقد جذوتها عدة من المثل العليا العملية الصادقة.

فالدين الذي أتكلم عنه ليس ملجأ الضعفاء، ولكنه سلاح الأقوياء، فهو وسيلة الحياة الباسلة التي تنهض بالإنسان ليصير سيد بيئته، المسيطر عليها، لا فريستها وعبدها الخانع»[1].

وليس الدكتور هنري لنك وحده الذي عاد إلى الإيمان عن طريق التجربة والعلم، فهناك غيره كثيرون.

لقد حدثنا الكاتب الأمريكي المشهور «ديل كارنيجي» ـ مؤلف «دع القلق وابدأ الحياة» وغيره من الكتب ـ أن موجة الشك والقلق انتابت إيمانه فترة من حياته، وأوشك أن يكون جاحدًا ملحدًا، يرى أن الحياة تسير بلا غاية، وإلى غير مقصد، ويحسب أن البشر مجردون من الأهداف السامية مثل: حيوانات «الديناصور» العملاقة التي كانت تجوب الأرض منذ مائتي مليون سنة، وأن النوع الإنساني مصيره إلى انقراض يشبه انقراض حيوان الديناصور.

ثم هبَّت على الرجل نفحة إيمان جعلته يشعر أن الحياة متاهة مُضِلَّة وصحراء قاحلة مهلِكة بغير واحة الإيمان.

ومما قاله في هذا الصدد: «إنني يهمني الآن ما يسديه إليَّ الدين من النعم، تمامًا كما تهمني النِّعم التي تسديها إلينا الكهرباء والغذاء الجيد والماء النقي، فهذه تعيننا على أن نحيا حياة رغدة، ولكن الدين يسدي

(١) العودة إلى الإيمان صـ ٢٨، ٢٩.

QaradawiBooks.com

إليَّ أكثر من هذا، إنه يمدنـــي بالمتعة الروحية، أو هو يمدني ـ على حد قول «وليم جيمـــس» ـ بدافع قـــوي لمواصلة الحياة.. الحيـــاة الحافلة، الرحبة، السعيدة، الراضية.

إنـــه يمدني بالإيمـــان والأمل والشـــجاعة، ويقصي عنـــا المخاوف والاكتئاب والقلق، ويزودني بأهداف وغايات في الحياة، ويفسح أمامي آفاق السعادة، ويعينني على خلق واحة خصبة وسط صحراء حياتنا».

لقد كان الفيلسوف «فرانســيس بيكون» على حق حين قال: إن قليلًا من الفلسفة يجنح بالعقل إلى الإلحاد، ولكن التعمق في الفلسفة خليق أن يعود بالمرء إلى الدين.

إن السطحيين وأنصاف المتفلسفين، والمغرورين بقشور العلم والفلسفة هم الذين يتهورون، فيتورطون في اقتـــراف الخطيئة الكبرى: خطيئة الثورة على الدين، والتمرُّد على الله، بل الجحود لوجوده سبحانه. ومنهم من يفعل ذلك تظاهرًا بالتحـــرر وطلبًا للشـــهرة، ومنهم من يفعله تبريـــرًا لغرقه في الشهوات، وجريه وراء المتع والملذَّات، فهو يريد أن يهدم الدين من أساسه، ليســـوغ لنفســـه الســـقوط والانحلال، بلا تحرُّج ولا حياء من الناس، ولا حساب من ضمير. فإلحاد هؤلاء إلحاد بطن وفرج، لا إلحاد عقل وفكر!

أما الراســـخون في العلم، المتعمِّقون في الفكـــر، فهم أعقل من أن يقطعوا أنفســـهم عن هذا النور الذي لا يخبو، والزاد الذي لا ينفد، نور الإيمان، وزاد اليقين.

ولا غرو إن رأينا أعلام المشتغلين بالحياة النفسية، فلسفة ونظرًا، أو علاجًا وطبًّا، يعلنون اعتصامهم بالعـــروة الوثقى، عروة الدين، ويدعون الناس إلى ذلك بصوت جهير.

QaradawiBooks.com

قال «وليم جيمس» العالم النفسي الشهير بمذهبه في المنفعة العملية: «إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم، فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه ﷻ: تحققت كل أمنياتنا وآمالنا».

وقال: «الإيمان من القوى التي لا بد من توفُّرها، لمعاونة المرء على العيش، وفقدها نذير بالعجز عن معاناة الحياة».

وقال حين كان أستاذًا للفلسفة بجامعة هارفارد: «إن أعظم علاج للقلق ـ ولا شك ـ هو الإيمان».

من الفلاسفة من يؤمن بأثر الإيمان وإن لم يؤمن بالله:

ولقد رأينا من المفكرين والفلاسفة من لا يؤمنون بالله، ولكنهم يؤمنون بالإيمان بالله! أي يعتقدون بنفع هذا الإيمان، باعتباره قوة هادية موجِّهة، وقوة مؤثِّرة دافعة، وقوة مُنشِئة خلَّاقة.

لم يستطع هؤلاء أن يجحدوا ما للإيمان بالله من طيِّب الأثر في نفس الفرد وفي حياة المجتمع، فقال بعضهم: لو لم يكن الله موجودًا لوجب علينا أن نخلقه!! أي نخترع للناس إلهًا يؤمنون به! ويلتمسون رضاه، ويخافون حسابه، حتى ترتدع الأنفس الشريرة، وتستقيم أخلاق الجماهير.

وقال آخر: لم تشككون في الله، ولولاه لخانتني زوجتي، وسرقني خادمي؟!

ونحن لا نوافق على منطق هؤلاء في عمومه، فإن الحق أحق أن يتبع، مهما تكن نتيجته، والأباطيل يجب أن تطارد كيفما كانت العاقبة، ولكن الذي يعنينا من قول هؤلاء ـ وهم خصوم الدين وأعداء الإيمان ـ

QaradawiBooks.com

أن أثر الدين والإيمان في النفس والحياة، لا يمكن أن يكابر فيه إنسان منصف، ولو كان من خصوم الإيمان.

إن الحقيقة يجب أن تُحتَرم لذاتها، وإن لم تجلب نفعًا، أو تدفع ضررًا، فكيف إذا كان من ورائها أعظم المنافع، وأطيب الثمرات؟!

ووجود الله تعالى وتفرُّده بالسلطان والتدبير واستحقاق العبادة، وبعثة النبيِّين وصِدْق ما أخبروا به عن الحياة الآخرة، كل هذا حق قامت الأدلة على صدق ثبوته، والإيمان به واجب؛ لأنه حق، ومع أنه حق، فقد نيط به صلاح الظاهر والباطن، ورُقِيُّ الفرد والمجتمع، وسعادة الدنيا والآخرة.

الإيمان الذي نعنيه هو الإيمان القوي الدافق:

ونحن حين نتحدث عن ثمرات الإيمان وآثاره في النفس والحياة إنما نعني الإيمان القوي الدافق، الإيمان حين يبلغ مداه، ويشرق على القلوب سناه، ويخطُّ في أعماق النفوس مجراه، لا نتحدث عن الإيمان الضعيف المزعزع، الإيمان المخدَّر النائم، إنما نتحدث عن الإيمان الحيِّ اليقظ، ولا يضيرنا أن أصحاب هذا الإيمان قليلون، فإننا نناقش هنا الماديين الذين يشكِّكون في قيمة الإيمان، ليتعلَّموا أن الإيمان الذي يحاربونه كلما زاد عمقه في القلوب، وسلطانه على النفوس، ازداد أثره المبارك في حياة الأفراد والجماعات.

وإذا كان هذا أثر الإيمان عمومًا، فإن الإيمان الإسلامي خصوصًا أكثر نفعًا وأطيب ثمرًا، فإن الإيمان في الأديان الأخرى قد علق به ما شابه وكدَّر صفاءه، وربما أمكن أن يؤخذ من تعاليم بعض الأديان، أو من سلوك رجالها، بأنها عدو للحياة، أو أفيون للشعوب كما زعم «كارل

QaradawiBooks.com

ماركس» اليهودي، وتلقفها البَبَّغاوات هنا، فردَّدُوها ترديد الحاكي، دون بصر ولا تمييز، فإن الدين هنا غير الدين هناك، والمجتمع هنا غير المجتمع هناك.

إن عقيدة الإسلام عقيدة تتسع للروح والمادة، والحق والقوة، والدين والعلم، والدنيا والآخرة، إنها عقيدة التوحيد التي تغرس في النفس الكرامة والحرية، وتجعل الخضوع لغير الله كفرًا وفِسقًا وظُلْمًا، وتأبى على الناس أن يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله.

أثر الإيمان والدين في بلادنا الإسلامية:

وإذا كان للدين وللإيمان هذا الأثر في كل بلاد الدنيا، فإن أثره أعمق، وضرورته أعظم، في بلادنا الإسلامية والعربية خاصة.

إن لكل قُفْل مُحْكَم أصيل مِفتاحًا معينًا، مهما حاولت فتحه بغيره كانت محاولاتك عبثًا لا فائدة منها، ولا طائل تحتها، إلا إضاعة الوقت والجهد في تجارب فاشلة.

ومفتاح الشخصية الإسلامية والعربية على وجه خاص هو الدين، هو الإيمان، هو عقيدة الإسلام.

ومهما نحاول أن نُذْكِي هذه الشخصية، وأن نُفجِّر طاقاتها المكنونة بغير مفتاحها الأصيل ـ وهو الدين والإيمان ـ فإننا نحاول عبثًا، كمن يبني على الماء أو يكتب في الهواء.

بعقيدة الإسلام انطلق العرب من جزيرتهم، يُخرجون العالم من الظلمات إلى النور، ويؤدِّبُون بسيوفهم الأكاسرة والقياصرة، وكل من صعَّر خده من الجبابرة، وينقلون الناس من عبادة الخلق إلى عبادة

QaradawiBooks.com

الخالق، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان والظُّلَّام إلى عدل الإسلام.

وبعقيدة الإسلام انتصرت أمتنا العربية على أوربا، وقد جاءت بقَضِّها وقضيضها في تسع حملات صليبية، تريد أن تلتهم الأخضر واليابس في هذا الشرق المسلم.

وبعقيدة الإسلام انتصرت على غزو التتار الذين زحفوا على هذا الشرق كالريح العقيم، ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢]. وكادوا يدمِّرون الحضارة الإنسانية كلها، لولا أن قيَّض الله لهم من مسلمي مصر والشام من ردهم على أعقابهم، وهزموهم بإذن الله في «عين جالوت»، وكان مفتاح النصر صيحة أطلقها القائد المملوكي «قطز»، فهزَّت المشاعر، واستثارت العزائم، وأيقظت الهمم، وهبَّت بها على المقاتلين نسمات الجنة، تلك هي الصيحة التاريخية: واإسلاماه.

وأمتنا العربية اليوم تحارب عدوًّا شريرًا يجثم على صدرها، ويحتل قلب ديارها، ويهدد وجودها وكيانها بالتفتيت والتمزيق، ذلك هو «إسرائيل» التي تمدها وتعاونها كل قوى الكفر في العالم، شرقية وغربية.

ولن نجد في حربنا مع هذا العدو سلاحًا أمضى ولا أبقى من الإيمان. لا بد من العتاد الحربي والقوة المادية التي أمرنا الله بإعدادها، لنرعب بها عدو الله وعدونا، لكن السلاح لا يعمل إلا في يَدَي بطل، والبطل لا يصنعه إلا الإيمان.

ولقد فُتِن أقوام منا بالمذاهب المادية الحديثة، التي قذفنا بها الغرب، والتي لا تجعل لله ولا للآخرة مكانًا في الحياة، ولا تعترف بالدين إلا

QaradawiBooks.com

باعتباره خادمًا وأداة يمكن استخدامها ـ عند الضرورة ـ لاسترضاء الجماهير المتديِّنة، أو إلهائها، أو استثارتها لغرض موقوت.

ومن أجل ذلك نُحِّيَ الدين والإيمان عن مكانه في قيادة الأمة وتربيتها، وعُزل عن التعليم والثقافة والتوجيه والإعلام، وعن سائر ميادين حياتنا الفكرية والعملية الاجتماعية والسياسية، إلا بعض رسوم ومظاهر وقشور أُبْقِيَت للدين، لا تُسمِن من شبع، ولا تغني من جوع.

فلما قامت المعركة في (١٩٦٧/٦/٥م)، بيننا وبين عدونا، كان معنا سلاح كثير وإيمان قليل، فلم يغنِ عنا السلاح شيئًا، لم تُغنِ الدبابات والطائرات والأساطيل وقواعد الصواريخ؛ لأن هذه الأسلحة ـ على حداثتها وضخامتها ـ لم يقم عليها رجال مؤمنون، ورحم الله المتنبي حين قال:

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوقَ الكرامِ كرامُ[1]

وهذه حقيقة ـ على مرارتها وقسوتها ـ يجب أن تكون لدينا الشجاعة لنعترف بها، ونتخذ من هذه التجربة درسًا وعبرة، ونبني حياتنا على أساس من الإيمان ومقتضياته، ونغير ما بأنفسنا، ليُغَيِّر الله ما بنا، وإلا فسنظل كالثور في الساقية، يدور فيها ويدور، المكان الذي انتهى إليه هو الذي ابتدأ منه.

إن عدونا يجند أبناءه على أساس ديني، ويقذف بهم في قلب المعارك بأحلام دينية، تدور حول مجد إسرائيل، وملك سليمان، ونبوءات التوراة، فكيف ننكر نحن دور الإيمان، وننحِّي المؤمنين، بل

(١) ديوان المتنبي صـ ٣٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

نضطهدهم ونعذبهم؟! ونلقي بشعارات «النصر للثوار» و«الغلبة للجماهير» وأمتنا لا تعرف إلا أن «النصر للمؤمنين، والعاقبة للمتقين»[١]!

ألا إن كل عمل يوجَّه ضد الدين والإيمان في بلادنا إنما هو عمل عدائي موجَّه إلى صميم كياننا ومقومات حياتنا، وجذور نهضتنا.

«نحن قوم مؤمنون»، وهذا الإيمان هو أساس شخصيتنا، وسر قوتنا، ورافع رايتنا، هو سر مجدنا في الماضي، وباعث انتفاضتنا في الحاضر، ومناط آمالنا في المستقبل.

«نحن قوم مؤمنون»، وهذه قضية بديهية، يجب أن يلتقي على حمايتها وتثبيتها وإشاعتها: قلم الكاتب، ولسان الخطيب، وفكر الفيلسوف، ووجدان الشاعر، وريشة المصور، وتقنين المشرِّع، وسلطان الحاكم، وقوة الجيش، ورقابة الشعب.

يجب أن يرعاها الأب في البيت، والمعلم في المدرسة، والأستاذ في المحاضرة، والأديب في القصة، والصحفي في الخبر، والمؤلف في الكتاب، وكل ذي فن في فنه.

إن كل ثغرة تفتح في أي جانب من جوانب حياتنا الثقافية والفنية والعملية لتصوب منها سهام الشك أو الجحود إلى صدر الإيمان، تعد خيانة عظمى لأمتنا وخروجًا سافرًا على مبادئها، ومروقًا من صفوفها، وانضمامًا إلى ألد أعدائها، وتعويقًا لما تقوم به الجوانب الأخرى من جهاد إيجابي بنَّاء.

(١) راجع في هذا كتابنا: درس النكبة الثانية: لماذا انهزمنا؟ وكيف ننتصر؟

QaradawiBooks.com

وإني لعلـى يقين أن كلمة الإيمان سـتعلو وتنتصـر، وأن كلمة الكفر والشك ستكون هي السفلى، وصدق الله العظيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٦].

أثر الإيمان في حياة الفرد:

هل نستطيع أن نحدد أهم ما يريده الإنسان لنفسه، وما ينشده في حياته؟

إنّ الإنسان يريد أن يشعر بإنسانيته، ويريد أن يحس بكرامته وذاتيته، وينشد شيئًا يلهث الناس جميعًا في البحث عنه: إنَّه ينشد السعادة، ينشدها في هذه الحياة لا في الحياة الأخرى فحسـب.. لا يريـد أن يقضي أيامه المقدَّرة له في الدنيا شقيًّا وتعيسًـا.. يريد أن يعيش حياته ناعمًا بسكينة النفس، وطمأنينة القلب. يريد أن يتمتـع بالأمن الداخلي يعمر جوانحه، وبالرضا الذاتي يملأ أقطار روحه، وبالأمل المشـرق يضيء آفاق حياته، وبالحب الكبير يغمر بالنور والضياء كل حناياه، وكل جوانب دنياه.

هذه هي أهم وأعظم ما ينشده «الإنسـان» السويُّ لنفسه، ولكل من يحبه من أهله ومن الناس.

فهل للإيمان أثر في تحقيق هذه المعاني الكبيرة، والأهداف العميقة، في حياة الفرد؟

الإيمان وكرامة الإنسان:

الإنسـان في ظل الإيمان يشـعر بكرامته، ويحس بذاتيته، فهو عند المؤمنيـن مخلوق كريم علـى الله تعالى، خلقه ربه في أحسـن تقويم،

QaradawiBooks.com

وصوره فأحسن صورته، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وميَّزه بالعلم والإرادة، وجعله خليفة في الأرض، ومحور النشاط في الكون، وسخرَ له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فكل ما في الكون له ولخدمته، أمَّا هو فجعله الله لنفسه.

وقد جاء في بعض الآثار الإلهية: يقول تعالى: ابن آدم خلقتك لنفسي، وخلقت كل شيء لك، فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عمَّا خلقتك له، ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتُّكَ فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.

هذه هي معاني الكرامة والعزة التي تغرسها العقيدة في قلب المؤمن باعتباره «إنسانًا»، ولكنه بوصفه «مؤمنًا» يشعر بمعانٍ أعمق، وعزة أشمخ، ويسمو به إيمانه إلى سماء عالية لا يسعى إليها على قدم، ولا يطار على جناح، وهو بوصفه عضوًا في أمة الإيمان يشعر بكرامة أكبر وعزة أعمق: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

يشعر المؤمن بالعزة التي سجَّلها الله في كتابه للمؤمنين مقرونة بالعزة لنفسه ولرسوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

ويشعر بأنه كتب له الكرامة والحرية التي بها يعلو ولا يعلى، ويسود ولا يساد: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

QaradawiBooks.com

إن هذه المعاني الكبيرة، والمشاعر الرفيعة، إذا سرت في كيان فرد، جعلت منه إنسانًا عزيزًا كريمًا، كبير النفس، كبير الآمال، إنسانًا لا يحني رأسه لمخلوق، ولا يطأطئ رقبته لجبروت، أو طغيان أو مال أو جاه. إن شعاره هذه الكلمة: سيد في الكون، عبد لله وحده.

لا عجب بعد هذا، إذا رأينا عبدًا أسود كبلال بن رباح، حين يشرب قلبه الإيمان، يتيه على «السادة» المتكبرين فخرًا، ويرفع رأسه عاليًا، فقد صار بالإيمان أرفع عند الله ذكرًا، وأسمى مقامًا، ينظر إلى أمية بن خلف وأبي جهل بن هشـام وغيرهما من زعماء قريـش وصناديد مكة، نظرة البصير للأعمى، نظرة السـائر في النور إلى المتخبط في الدُّجى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

الإيمان والسعادة:

السعادة هي جنة الأحلام التي ينشـدها كل بشر، من الفيلسوف في قمة تفكيره وتجريده، إلى العامي في قاع سذاجته وبساطته. ومن الملك في قصره المشـيد، إلى الصعلوك في كوخه الصغير. ولا نحسـب أحدًا يبحث عن الشقاء لنفسه، أو يرضى بتعاستها.

لكن: أين السعادة؟

هل السعادة في النعيم المادي؟ هل السعادة في الأولاد؟ هل السعادة في العلم التجريبي؟

لقد جرب الناس في شـتى العصور ألوان المتـع المادية، وصنوف

QaradawiBooks.com

الشهوات الحسية، فما وجدوها ـ وحدها ـ تحقق السعادة أبدًا، وربما زادتهم ـ مع كل جديد منها ـ همًّا جديدًا.

السعادة في داخل الإنسان:

السعادة شيء معنوي لا يُرى بالعين، ولا يقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يُشترى بالدينار، أو بالجنيه أو الروبل أو الدولار.

السعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه.. صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير.

السعادة شيء ينبع من داخل الإنسان ولا يستورد من خارجه.

حدَّثوا أن زوجًا غاضَب زوجتَه، فقال لها متوعدًا: لأُشقينَّكِ. فقالت الزوجة في هدوء: لا تستطيع أن تشقيَني، كما لا تملك أن تسعدني.

فقال الزوج في حنق: وكيف لا أستطيع؟

قالت الزوجة في ثقة: لو كانت السعادة في راتب لقطعتَه عني، أو زينةٍ من الحلي والحلل لحرمتني منها، ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون!

فقال الزوج في دهشة: وما هو؟

فقالت الزوجة في يقين: إني أجد سعادة في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي!

هذه هي السعادة الحقة، السعادة التي لا يملك بشر أن يعطيها، ولا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها، السعادة التي شعر بنشوتها أحد المؤمنين

QaradawiBooks.com

الصالحين، فقال: إننا نعيش في سـعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف!

وقال آخر وهو ثَمِل بتلك اللذة الروحية التي تغمر جوانبه: إنه لتمر عليَّ ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذن في عيش طيِّب!

والذين رُزِقوا هذه النعمة يسخرون من الأحداث وإن برقت ورعدت، ويبتسمون للحياة وإن هي كشـرت عن نابها، ويفلسفون الألم، فإذا هو يسـتحيل عندهم إلى نعمة تستحق الشـكر، على حين هو عند غيرهم مصيبة تستوجب الصراخ والشـكوى، كأنما عندهم غدد روحية خاصة، مهمتها أن تفرز مادة معينة تتحول بها كوارث الحياة إلى نِعَم.

وإذا كانت السعادة شـجرة منبتها النفس البشرية، والقلب الإنساني، فإن الإيمان بالله وبالدار الآخرة هو ماؤها وغذاؤها، وهواؤها وضياؤها.

سكينة النفس:

ومن آثار الإيمان فـي حياة الفرد أن يمنحه سـكينة النفس، قال الله تعالـى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤]. وهذه السكينة ينـزلها الله تعالى في قلوب المؤمنين ليزدادوا بها إيمانًا مع إيمانهم، هي الينبوع الأول للسعادة، وليس لها إلَّا مصدر واحد لا شـريك له، هو الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمـان الصادق العميق، الذي لا يكدره شك، ولا يفسده نفاق.

هذا ما يشهد به الواقع الماثل، وما أيَّده التاريخ الحافل، وما يلمسه كل إنسان بصير منصِف، في نفسه وفيمن حوله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

قد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقًا وضيقًا واضطرابًا، وشعورًا بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين.

إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللذائذ والمرفهات؛ لأنَّهم لا يدركون لها معنى، ولا يعرفون لها هدفًا، ولا يفقهون لها سرًّا، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس، أو انشراح صدر؟

أمَّا المؤمن فيشعر بسكينة النفس وطمأنينة القلب تعمر كيان حياته، فيثبت إذا اضطرب الناس، ويرضى إذا سخط الناس، ويُوقن إذا شك الناس، ويصبر إذا جزع الناس، ويحلم إذا طاش الناس.

هذه السكينة هي التي عمرت قلب رسول الله يوم الهجرة، فلم يعتره همٌّ ولا حزن، ولم يستبدَّ به خوف ولا وَجَل، ولم يخالج صدره شكٌّ ولا قلق: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

استجابة المؤمن لنداء الفطرة:

ذلك أنَّ المؤمن قد هُدِي إلى فطرته التي فطره الله عليها، وهي فطرة متسقة كل الاتساق مع فطرة الوجود الكبير كله. فعاش المؤمن مع فطرته في سلام ووئام، لا في حرب وخصام.

إنَّ في فطرة الإنسان فراغًا لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة، وإنما يملؤه الإيمان بالله جل وعلا.

وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ، حتى تجد الله، وتؤمن به، وتتوجه إليه.

QaradawiBooks.com

هناك تســتريح من تعب، وترتوي من ظمــأ، وتأمن من خوف. هناك تحس بالهداية بعد الحيرة، والاستقرار بعد التخبط، والاطمئنان بعد القلق، ووجدان المنـزل والأهل بعد طول الغربة، والضرب في أرض التيه.

اهتداء المؤمن إلى سر وجوده نجاة من عذاب الحيرة والشك:

والمؤمن تعمر حياته السكينة النفســية والطمأنينة القلبية؛ لأنه سلم من الشك والاضطراب، واستراح من البلبلة والحيرة، الذهنية والنفسية، التي يتجرع غصصها الجاحدون المرتابون.

بهذا الإيمان الواضــح المريح حل المؤمن ألغــاز الوجود الكبرى، حين عرف مبدأه ومصيره، وغايته ومهمته، بل عــرف مبدأ الوجود كله ومنتهاه وغايته وهدفه. فانحلت عقد الشــك من نفسه، وزالت علامات الاستفهام الكبيرة من حياته.

والمؤمن تعمر قلبه السكينة النفسية والطمأنينة القلبية عندما حصر الغايات كلها في غاية واحــدة، عليها يحرص، وإليها يســعى، وهي رضــوان الله تعالى، لا يبالي معه برضا الناس أو ســخطهم، شــعاره ما قال الشاعر:

فليتــك تحلــو والحيــاة مريرة ... وليتــك ترضى والأنــام غضاب
وليــت الذي بينــي وبينك عامر ... وبيني وبيــن العالميــن خراب
إذا صح منك الــود فالكل هين ... وكل الذي فــوق التراب تراب[1]

(١) من شــعر أبي فراس الحمداني، كما في ديوانه صـ ٤٨، شــرح د. خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

كما جعل المؤمن همومه همًّا واحدًا، هو سلوك الطريق الموصل إلى مرضاته تعالى، والذي يسأل الله في كل صلاة عدة مرات أن يهديه إليه، ويوفقه لسلوكه: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]. وهو طريق واحد لا عوج فيه ولا التواء: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وما أعظم الفرق بين رجلين، أحدهما عرف الغاية، وعرف الطريق إليها، فاطمأن واستراح، وآخر ضالٌّ، يخبط في عماية، ويمشي إلى غير غاية، لا يدرى إلامَ المسير، ولا أين المصير: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الملك: ٢٢].

أنس المؤمن بالوجود كله:

والمؤمن تعمر حياته السكينة النفسية والطمأنينة القلبية؛ لأنَّه يعيش موصولًا بالوجود كله، ويحيا في أنس به، وشعور عميق بالتناسق معه، والارتباط به، فليس هذا الكون عدوًّا له، ولا غريبًا عنه، إنه مجال تفكره واعتباره، ومسرح نظره وتأملاته، ومظهر نعم الله وآثار رحمته.

هذا الكون الكبير كله يخضع لنواميس الله كما يخضع المؤمن، ويسبِّح بحمد الله كما يسبِّح المؤمن.

والمؤمن ينظر إليه نظرته إلى دليل يهديه إلى ربه، وإلى صديق يؤنسه في وحشته.

وبهذه النظرة الودود الرحبة للوجود، تتسع نفس المؤمن، وتتسع حياته، وتتسع دائرة الوجود الذي يعيش فيه.

QaradawiBooks.com

ليس هناك أوسـع من صدر المؤمـن وقلبه الذي وسـع العالَمَيْن، المنظور وغير المنظور، عالم الشـهادة وعالم الغيب، ووسع الحياتَيْن: الدنيا والآخرة، حياة الفناء، وحياة الخلود، ووسـع الوجودَيْن: الوجود المحـدَث الفاني، والوجـود الواجب الباقي، الوجـود الأزلي الأبدي، وجود الله ﷻ.

وليس هناك أضيق من صدر الملحد والشـاك فـي الله والآخرة، إن حياته أضيق من سجن، بل من «زنـزانة» في سجن، إنه يعيش معزولًا عن الأزل والأبد، عن الأمس والغد. لا يعرف إلا يومه، ولا يعرف من يومه إلا لذاته المُحَسَّة، وهو يعيش معزولًا عن الوجود العريض، لا يرى منه إلا شخصه وشـخوصًا محدودة أخرى، ولا يرى من شخصه، إلا جسمه المادي، ودوافعه الحيوانية.

هذه حقيقة ثابتة، وسنة ماضية، منذ أهبط الله آدم وزوجه إلى الأرض، ثم قال لهما: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

المؤمن يعيش في معية الله:

والمؤمن تعمر حياته السكينة النفسـية والطمأنينة القلبية؛ لا يعتريه ذلك المرض النفسي الوبيل، الذي يفتك بالمحرومين من الإيمان، ذلك هو مرض الشعور بالوحدة المقلقة، فيحس صاحبه أن الدنيا مقفلة عليه، وأنه يعيش فريدًا منعزلًا؛ كأنه بقية غرقى سـفينة ابتلعها اليم، ورمت به الأمواج في جزيرة صغيرة موحشة يسكنها وحده، لا يرى إلا زرقة البحر وزرقة السماء، ولا يسمع إلا صفير الرياح، وهدير الأمواج.

QaradawiBooks.com

والمختصون متفقون على أن هذا المرض من أخطر أمراض النفس، لما يجلبه على صاحبه من عزلة وفقدان للثقة بمن يتعاملون معه؛ إذ يعتقد أن كل من حوله دونه، وأنهم يخالفونه في كل مقومات الحياة، وأينما التفت لا يجد غير نفسه.

فهل يستطيع مثل هذا الإنسان أن يعمل أو ينتج، أو أن يظل محتفظًا بوعيه وقدرته على الفهم والتركيز؟ وهل يمكن لمثله أن يظفر بالسكينة والاطمئنان؟ الجواب طبعًا: لا.

وقد انتهى رأي المنصفين من الأطباء وعلماء النفس أخيرًا إلى أن العلاج الأمثل لهذا المرض هو اللجوء إلى الدين، والاعتصام بعروة الإيمان الوثقى، وإشعار المريض بمعية الله والأنس به.

فهذا الإيمان القوي هو خير دواء لعلاج هذا المرض الخطير، كما أنه خير وقاية من شرِّه.

إنَّ شعور المؤمن بأن يد الله في يده، وأن عنايته تسير بجانبه، وأنه ملحوظ بعينه التي لا تنام، وأنه معه حيث كان، يطرد عنه شبح الوحدة المخيف، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج.

كيف يشعر بالوحدة من يقرأ في كتاب ربه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]؟

إنَّه لا يشعر إلا بما شعر به موسى حين قال لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. وما شعر به محمد في الغار حين قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

QaradawiBooks.com

المؤمن لا يعيش بين «لو» و«ليت»:

وإن من أهم عوامل القلق الذي يفقد الإنسان سكينة النفس وأمنها ورضاها هو: تحسُّره على الماضي، وسخطه على الحاضر، وخوفه من المستقبل.

إنَّ بعض الناس تنزل به النازلة من مصائب الدهر، فيظل فيها شهورًا وأعوامًا، يجترُّ آلامها، ويستعيد ذكرياتها القاتمة، متحسرًا تارة، متمنيًا أخرى. شعاره: ليتني فعلتُ، وليتني تركتُ، لو أني فعلت كذا لكان كذا، وقديمًا قال الشاعر:

ليت شعري، وأين مني «ليت»؟ إن «ليتا» وان «لوًّا» عناء[1]

ولذا ينصح الأطباء النفسيون، والمرشدون الاجتماعيون، ورجال التربية، ورجال العمل: أن ينسى الإنسان آلام أمسه، ويعيش في واقع يومه، فإن الماضي بعد أن ولَّى لا يعود.

ما مضى فات، والمؤمَّل غيب ولك الساعة التي أنت فيها[2]

وأبعد الناس عن الاستسلام لمثل هذه المشاعر الأليمة، والأفكار الداجية هو المؤمن الذي قوي يقينه بربه، وآمن بقضائه وقدره، فلا يسلم نفسه فريسة للماضي وأحداثه، بل يعتقد أنه أمر قضاه الله كان لا بد أن ينفذ، وما أصابه من قضاء الله لا يقابل بغير الرضا والتسليم، ثم يقول ما قال الشاعر:

---

(١) من شعر أبي الزبيد الطائي. انظر: الكتاب لسيبويه (٢٦١/٣)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) من شعر إبراهيم بن عثمان الغزي. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٥٠٦/٤)، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

QaradawiBooks.com

سبقت مقاديـر الإلـه وحكمه فأرح فؤادك من «لعل» ومن «لوِّ»

وقول الآخر:

ولسـت براجـع ما فـات مني بـ «لهفَ» ولا بـ «ليتَ» ولا «لوَ انِّي»[١]

إنه لا يقول: لو أني فعلت كذا لكان كـذا. ولكن يقول: قدر الله وما شاء فعل. فإن «لو» تفتح عمل الشيطان[٢]، كما علمه الرسول ﷺ.

إنه يوقن أن قدر الله نافذ لا محالة، فلِمَ السخط؟ ولِمَ الضيق والتبرُّم؟ والله تعالى يقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

إن شعار المؤمن دائمًا: قدر الله وما شاء فعل.. الحمد لله على كل حال. وبهذا لا يأسى على ما فات، ولا يحيا في خضم أليم من الذكريات، وحسبه أن يتلو قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

الرضا:

ومن آثار الإيمان في حياة الفرد الذي هو من أول أسباب السكينة النفسية التي هي سرُّ السعادة: الرضا الذي يجعله مستريح الفؤاد، منشرح الصدر، غير متبرم ولا ضجر، ولا ساخط على نفسه، وعلى الكون والحياة والأحياء.

---

(١) ذكره ابن مالك في شرح التسهيل (٢٨٢/٣)، تحقيق د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، نشر دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، وابن ماجه في المقدمة (٧٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

في الحديث يقول النبي ﷺ: «**من سعادة المرء استخارته ربه، ورضاه بما قضى، ومن شقاء المرء تركه الاستخارة وعدم رضاه بعد القضاء**»[(١)].

هذا الرضا نعمة روحية جزيلة، هيهات أن يصل إليها جاحد بالله، أو شاكٌّ فيه، أو مرتاب في جزاء الآخرة، إنما يصل إليها من قوي إيمانه بالله وحسُن اتصاله به. وقد خاطب الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طـه: ١٣٠]. وامتنَّ عليه بقوله: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥].

وقال النبي ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا**»[(٢)]. وأثنى الله تعالى على المؤمنين بقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [البينة: ٨].

ومنشأ هذا الرضا أنَّ المؤمن راضٍ عن نفسه، أعني عن وجوده ومكانه في الكون؛ لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة، ولا كمًّا مهملًا، ولا شيئًا تافهًا، بل هو قبس من نور الله، ونفخة من روح الله، وخليفة في أرض الله.

وهو راضٍ عن ربه؛ لأنه آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته، واطمأن إلى علمه وحكمته، وأنه أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ووسع كل شيء رحمة.

---

(١) رواه أحمد (١٤٤٤) وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في القدر (٢١٥١) وقال: غريب. عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٣٤)، وأحمد (١٧٧٨)، والترمذي في الإيمان (٢٦٢٣)، عن العباس بن عبد المطلب.

QaradawiBooks.com

فهو موقن تمام اليقين: أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه به، ينظر في الأنفس والآفاق فيرى آثار بره تعالى ورحمته، فيناجي ربه: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والمؤمن ـ نتيجة لهذا ـ راضٍ عن الحياة والكون من حوله؛ لأنه يعتقد أن هذا الكون الفسيح صنع الله الذي أتقن كل شيء، ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]. وكل ذرة في الأرض أو السماء تدل على حكمة حكيم، وتقدير عزيز عليم، وتدبير ملك عظيم، ورعاية رب كريم رحيم.

المؤمن عميق الإحساس بنعم الله:

إن مما يسخط الناس على أنفسهم وعلى حياتهم، ويحرمهم لذة الرضا، أنهم قليلو الإحساس بما يتمتعون به من نعم غامرة، ربما فقدت قيمتها بإلفها، أو بسهولة الحصول عليها، وهم يقولون دائمًا: ينقصنا كذا وكذا، ونريد كذا وكذا، ولا يقولون: عندنا كذا وكذا.

ولكن المؤمن عميق الإحساس بما لله عليه من فضل عميم، وإحسان عظيم، ونعم تحيط به عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته.

المؤمن يشعر بنعمة الله عليه في كل شيء حوله، ويرى في كل ذرة في الأرض أو في السماء منحة من الله له، تيسِّر له معيشته، وتعينه على القيام برسالته في الحياة. إنه يرى نعمة الله في هَبَّة الريح، وسَيْر السحاب، وتفجُّر الأنهار، وبزوغ الشمس، وطلوع الفجر، وضياء النهار، وظلام الليل، وتسخير الدوابِّ، وإنبات النبات.

QaradawiBooks.com

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

أمَّا نعمة الله عليه في شخصه هو، فما أعظمها! وما أغرزها! فمن نعمة الخلق والإيجاد، إلى نعمة العلم والإدراك، ونعمة الرزق، ثمَّ أعظمها نعمة الإيمان والهداية إلى صراط الله المستقيم: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

المؤمن راض بما قدَّر الله عليه:

والمؤمن كما يغمره الشعور بنعمة الله عليه في كل حين وفي كل حال، لا يفقد هذا الشعور وإن أصابته البأساء والضرَّاء، وهزته زلازل الحياة.

إنه راضٍ بما قضى الله له، وما قدر عليه، إيمانًا بأن الله تعالى لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا يقضي أمرًا يريد به عسرًا لعباده، وأنه سبحانه أرحم بهم من الوالدة بولدها، وأن الخير المطوي في جوف ما نظنه كارثة وشرًّا، وما نكرهه بطبيعتنا البشرية: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

الأمن النفسي:

ومن آثار الإيمان في حياة الفرد والذي يمنحه السكينة النفسية والطمأنينة: الأمن، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

QaradawiBooks.com

المؤمن لا يواجه المستقبل خائفًا وجلًا، ولا يعيش في فزع منه، ورهبة من غموضه، وتوجُّس من جبروته، كأنه عدو شرير متربِّص، بل يعيش آمن النفس كأنه في الجنة.

إن إيمانه كان مصدرَ أمنِه، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة، بل هو نوع منها، إنه طمأنينة تتعلَّق بالمستقبل، بكل ما يتوقعه الإنسان ويخاف منه، أو يخاف عليه، ولا سعادة بدون هذا الأمن النفسي.

وقد قيل لحكيم: ما السرور؟ فقال: الأمن؛ فإني وجدت الخائف لا عيش له.

ولا عجب أن جعل الله الجنة دار أمن وسلام كامِلَين، فأهلها في الغرفات آمنون، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وتتلقاهم الملائكة منذ اللحظة الأولى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦].

الإيمان مصدر الأمان:

إن الناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمور شتى، ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها. فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرَّط في حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

أمَّا الملحِدون الجاحدون فهم أكثر الناس مخاوف ـ وإن كتموها عن الناس ـ إنهم يخافون الزمن والكوارث، والفقر والمرض والناس، وأشد ما يُخيفهم الموت، فهم ينظرون إليه نظرتهم إلى سبع فاتك، وعدو متربص، ونهاية مجهولة، ومصير مخوف.

QaradawiBooks.com

والمؤمن قد سلم من ذلك كله، إنه آمِنٌ على رزقه أن يفوت؛ فإن الأرزاق في ضمان الله الذي لا يخلف وعده. ولا يضيع عبده، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣]. وهو بذلك مطمئن إلى أن الله لن يهلكه جوعًا، وهو الذي يطعم الطير في الوُكُنات، والسباع في الفلوات، والأسماك في البحار، والديدان في الصخور.

وكذلك أمِنَ المؤمن على أجله؛ فإن الله قدَّر له ميقاتًا مسمَّى، أيامًا معدودة وأنفاسًا محدودة، لا تملك قوه أن تَنقُص من هذا الميقات أو تَزيد فيه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

هذا الأمن على الرزق والأجل منح المؤمن السكينة والطمأنينة، كما منحه القوة في مواجهة الحياة، وما فيها من طغيان وجبروت.

هدَّد الحجاج سعيد بن جبير بالقتل فقال له: لو علمت أن الموت والحياة في يدك ما عبدت إلهًا غيرك!

المؤمن لا يخاف الموت:

وهو كذلك لا يعيش في خوف من الموت، وجزع من مرارة كأسه، إنه زائر لا بد من لقائه، وقادم لا ريب فيه، والخوف لا يرده، والجزع لا يثنيه: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾ [الجمعة: ٨]، ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

إنَّ مما يهوِّن شأن الموت عند المؤمن أنّه في عقيدته ليس عدمًا محضًا، ولا فناءً صرفًا، إنه انتقال من حياة إلى حياة، ومن

QaradawiBooks.com

طور إلى طور، وفي الأثـر: إنكم خلقتم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار[١].

إن الله ـ وهو الجواد المطلق ـ لا يسلب نعمةً أنعم بها إلا وهو يعطي نعمة أكبر منها، فلا يسلب هذه الحياة الضعيفة القيمة التي لا تستحق أن تسمى الحياة الباقية إلا ويعطي حياة أوسع وأبقى وأجمل وأفضل.

وقال يحيى بن معاذ: لا يكره لقاء الموت إلا مُريب، فهو الذي يقرِّب الحبيب من الحبيب.

وقيل لأعرابي اشتد مرضه: إنك ستموت. فقال: وإلى أين يُذهب بي بعد الموت؟ قالوا: إلى الله. فقال: ويحكم، وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا من عنده؟

الأمل:

ومن آثار الإيمان فـي حياة الفرد، وهو مصدر من مصادر السـعادة لديه: الأمل الذي به تنمو شجرة الحياة، ويرتفع صرح العمران، ويذوق المرء طعم السـعادة، ويحس ببهجة الحياة، والذي بدونه تصبح الحياة أضيق من حلقة الخاتم، بل من سمِّ الخياط.

وقديمًا قال الشاعر:

ما أضيق العيش لولا فُسحة الأمل[٢]!

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨٧/٥)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

(٢) من لامية العجم للطغرائي. انظر: ديوانه صـ٣٠٦، تحقيـق: د. علي جواد طاهر ود. يحيى الجبوري، نشر مطبعة الدوحة الحديثة، ط٢، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

وضد الأمل اليأس، وهو انطفاء جذوة الأمل في الصدر، وانقطاع خيط الرجاء في القلب، فهو العقبة الكؤود، والمعوق القاهر، الذي يحطم في النفس بواعث العمل، ويوهي في الجسد دواعي القوة، ورحم الله من قال:

واليأس يحدث في أعضاء صاحبه ضعفًا ويورث أهل العزم توهينا[1]

بل هو سم بطيء لروح الإنسان، وإعصار مدمر لنشاط الإنسان، وتلك حال اليائسين أبد الدهر: لا إنتاج في الحياة، ولا إحساس بمعنى الحياة.

ولذلك جعله الله تعالى قرين الكفر وطريق الضلال، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ولذلك كان هذا الأمل ملازمًا للإيمان، وكان المؤمن أوسع الناس أملًا، وأكثرهم تفاؤلًا واستبشارًا، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرُّم والضجر، إذ الإيمان معناه الاعتقاد بقوة عليا تدبِّر هذا الكون، لا يخفى عليها شيء، ولا تعجز عن شيء، الاعتقاد بقوة غير محصورة، ورحمة غير متناهية، وكرم غير محدود، الاعتقاد بإله قدير رحيم، يجيب المضطرَّ إذا دعاه، ويكشف السوء، يمنح الجزيل، ويغفر الذنوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، إله هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأبر بخلقه من أنفسهم.

إن الماديين يقفون عند السنن المعتادة، والأسباب الظاهرة، لا يطمعون في شيء وراءها، أما المؤمنون فيَعْلُون على ظواهر الأسباب، وينفُذون إلى

(١) هو الأديب حفني ناصف.

QaradawiBooks.com

سرِّ الوجود، إلى الله خالق الأسباب والمسبَّبات، الذي عنده من الأسباب الباطنة ما يخفى على إدراك عباده، فلماذا لا تتجه قلوبهم إليه حين تدْلَهِمُّ الأزمات، وتستحكم الحلقات، ويضيق على أعناقهم الخناق؟

إنهم يجدون فيه الملاذ في الشـــدة، والأنيس في الوحدة، والنصير في القلة.

يتجه إليه المريض الذي اســـتعصى مرضه على الأطباء، ويدعوه آملًا الشفاء.

ويتجه إليه المكروب يسأله الصبر والرضا، والخَلَف من كل فائت، والعِوَض من كل مفقود.

ويتجه إليه المظلوم آملًا يومًا قريبًا ينتصر فيه على ظالمه، فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب.

ويتجه إليه المحروم من الأولاد سائلًا أن يرزقه ذرية طيبة.

وكل واحد من هـــؤلاء آملٌ في أن يُجاب إلـــى ما طلب، ويُحقَّق له ما ارتجى، فما ذلك على قدرة الله ببعيد، وما ذلك على الله بعزيز.

الثبات في الشدائد:

ومن آثار الإيمان في حياة الفرد الثبات في الشـــدائد، ففي الحديث يقول النبـــي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كلـــه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته ســـرَّاء شـــكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر، فكان خيرًا له**»[1].

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٧٦٩٢)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب الرومي.

QaradawiBooks.com

إنَّ طبيعة الحياة الدنيا، وطبيعة البشر فيها، تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء فيها من كوارث تصيبه، وشدائد تحل بساحته، فكم يخفق له عمل أو يخيب له أمل. أو يموت له حبيب. أو يمرض له بدن، أو يفقد منه مال، أو.. أو.. إلى آخر ما يفيض به نهر الحياة... حتى قال الشاعر يصف الدنيا:

جبلت على كدر وأنت تريدها صفوًا من الآلام والأكدار[1]!

الملحدون أشدُّ الناس جزعًا:

وقد أثبت الاستقراء والمشاهدة أن أشد الناس جزعًا، وأسرعهم انهيارًا أمام شدائد الحياة؛ هم الملحدون والمرتابون وضعاف الإيمان، وقد وصف القرآن هذا النموذج من الناس فقال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: ٩]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

إنَّهم لا يؤمنون بقدر، فيرضوا به، ولا بإله، فيطمئنوا إلى حكمته في خلقه، ولا بأنبياء، فيجدوا في حياتهم القاسية قدوة وعبرة، ولا بحياة أخرى، فتهب عليهم نسماتها منعشة للنفس، وطاردة للكآبة، باعثة للأمل.

ثبات المؤمنين ومصدره:

أما المؤمنون فهم أصبر الناس على البلاء، وأثبتهم في الشدائد، وأرضاهم نفسًا في المُلِمَّات؛ لأنهم عرفوا أن ما ينزل بهم من مصائب

(١) من قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي، يرثي فيها ولده، كما في خزانة الأدب لابن حجة الحموي (٣٥/١)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

ليس ضربات عجماء، ولا خبط عشواء، ولكنه وفق قدر معلوم، وقضاء مرسوم، وحكمة أزلية، وكتابة إلهية، فآمنوا بأنه ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وعرفوا من لطف ربهم أن هذه الشدائد دروس قيِّمة لهم، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم، تنضح نفوسهم، وتصقل إيمانهم، وتذهب صدأ قلوبهم: «**مثل المؤمن تصيبه الوعكة من البلاء، كمثل الحديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها**»[(١)].

وما أبلغ ما قال الرافعي: «ما أشبه النكبة بالبيضة! تُحْسَبُ سجنًا لما فيها وهي تحوطه، وتربِّيه وتُعينه على تمامه، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة، والرضا إلى غاية، ثم تُنْقَف[(٢)] البيضة، فيخرج خلق آخر.

وما المؤمن في دنياه إلا كالفرخ في بيضته: عمله أن يتكون فيها، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل فيخرج إلى عالمه الكامل»[(٣)].

ورجاء مثوبة الله تعالى على ما يبتلى به الإنسان في دنياه نعمة روحية أخرى تهوِّن على الإنسان البلاء، وهذه المثوبة تتمثل في تكفير السيئات، وما أكثرها!! وزيادة الحسنات، وما أحوج الإنسان إليها!! وفي الحديث

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٧٣/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، بلفظ: «إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك والحمى، كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها». عن عبد الرحمٰن بن أزهر.

(٢) النقف: ثقب البيضة ونقب قشرتها.

(٣) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي (٩٧/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

الصحيح: «**ما يصيب المسلم من همٍّ ولا غمٍّ ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**»[١].

أصاب أحد الصالحين شيء في قدمه، فلم يتوجع ولم يتأوه، بل ابتسم واسترجع، فقيل له: يصيبك هذا ولا تتوجع؟ فقال: إن حلاوة ثوابه أنستني مرارة وجعه!

الملحدون يعترفون بأثر الإيمان في الأزمات:

بقي أن نقول: إنَّ الملحدين أنفسهم شعروا بأن أنظمتهم وفلسفتهم المادية الجامدة لا تستطيع أن تهب للناس الروح المعنوية التي تهون عليهم الشدائد، وتمدهم بالصبر والثبات في الأزمات، ولم يملك الشيوعيون ـ على تعصُّبهم ـ في الحرب العالمية الثانية إلا أن يطلقوا سراح الدين وقتًا ما ليؤدي دوره في تثبيت النفوس وإمساكها أن تنخلع وتنهار، وأرغمتهم الظروف أن يتركوا الشعوب ترجع إلى فطرتها، فتملأ فراغها بما لا يمكن أن تملأ إلا به، بالإيمان.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٠

لماذا أنتم مسلمون؟

قال صاحبي: اجتمعتُ في مدينة لندن مع مجموعة كبيرة، معظمهم من المسلمين الجدد، يمثلون بلادًا مختلفة، وألوانًا مختلفة، وألسنة مختلفة، وثقافات مختلفة، فهناك الأوربيون والأمريكيون، الذين يمثلون الثقافة الغربية، التي تسود العالم.

وهناك اليابانيون والصينيون والكوريون، الذين يمثلون ثقافات أخرى وألسنة أخرى، لها أهلها ودورها في عالمنا.

وهناك الهنود والباكستانيون والبنغاليون، ويمثلون جنسًا آخر وثقافة أخرى.

وهناك الإندونيسيون والماليزيون بجوارهم، يمثلون جنسًا وثقافة أخرى.

وهناك عرب وأفارقة وآسيويون وأستراليون، ومن كل قارات العالم. ولكن الغريب أن هؤلاء جاؤوا إلى لندن ليشاركوا في أحد المؤتمرات الإسلامية العالمية، كل منهم يمثل بلده أو جمعيته أو جامعته، أو مدرسته، أو مؤسسته، فرغم هذا التباين الذي ذكرنا، رأينا أنهم جميعًا «مسلمون»، جاؤوا من بلاد وقارات وثقافات، غير أنهم ينتمون إلى دين واحد، هو الإسلام.

نسخة مجانية

كلهم ينطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله. وكل واحد منهم يشعر أنه أخ لهذه المجموعة التي حضرت من مختلف الأماكن والمساكن والمناطق والحضارات، وأن هذه الأخوة أنستهم كل ما يفرق بينهم في العادة من الاختلاف القاري: أوربي، أمريكي، آسيوي، أفريقي، أسترالي. أو الاختلاف اللوني: أبيض، أو أسود، أو ملوَّن. أو الاختلاف الجنسي: عربي، عجمي. أو الاختلاف الطبقي: غني، فقير.

كان وجود هذه الفئات المتنوعة من المسلمين مصدرًا مهمًّا لكثير من التساؤلات، من الذين يبحثون عن المعرفة بالسؤال، مثل صاحبي الذي يتعب بكثرة أسئلته.

ـ قال لهم: نريد أن نطرح عليكم أسئلتنا الصريحة، فهل تساعدوننا على ذلك؟

ـ المشاركون: يسرنا أن نجيب عن أي سؤال يوجه إلينا، ما دام سؤالًا يتسم بالعقل والحكمة.

ـ السائل: صدقتم، والله لا أريد أن أسألكم إلا عما أحتاج إلى معرفته، وإجابته عندكم، إذا لم يمنعكم مانع منه. أريد أن أسألكم منفردين ومجتمعين: ما الذي أعجبكم في الإسلام، وخصوصًا أن منكم من لم يعرف الإسلام، إلا من سنين معدودة؟ ومعنى هذا أنه لم يكن متديِّنًا، فغير حياته، والتزم بدين.

وبعضكم كان وثنيًّا، فترك الوثنية، والتزم بالتوحيد، وبعضكم كان مسيحيًّا، فأكمل مسيحيته وآمن بمحمد خاتم النبيين، بعد أن كان مؤمنًا بموسى وعيسى بن مريم.

QaradawiBooks.com

قال لهم: بالله عليكم أرجو أن تخبروني بصراحة: ما الذي وجدتموه في الإسلام فشدَّكم إليه، والتزمتم به، وتركتم دينكم القديم وآمنتم به؟

هنا اختلفت إجابات المشاركين في المؤتمر، وكل أجاب بما رآه أولًا في الإسلام، ثم اندمج في هذا الدين فأصبح كلُّه محلَ الإعجاب والحب والتقدير.

العقيدة:

أجاب أحد المشاركين صاحبي بقوله: أعجبني في الإسلام عقيدته الواضحة، وتوحيده الصافي، فقد ربط بين الله وعباده، وفتح الله بابه لمن يريد أن يدخل إليه، ولم يجعل عليه ثقلًا، ولم يَدَعْ لأحد من خلقه أن يدَّعي أنه هو الوسيط بين الله تعالى وعباده، فإن الله تعالى ليس في حاجة إلى وسيط.

وقد جاء محمد ﷺ إلى مشركي العرب، فقالوا له: أقريب ربنا فنناجيَه أم هو بعيد فنناديَه؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦][(١)].

ليس هناك في الإسلام مَن يدعي أنه عنده «صكوك الغفران»، يبيعها لمن يدفع له ثمنها، ومن دفع الثمن يستلم صك الغفران من الأب أو القسيس. وهذا كذب على الله، لم يعط الله تعالى مفاتيح مغفرته أو جنته لأحد، فيتصرفَ فيها كما يريد، يبيع صكوك الغفران أو مفاتيح الجنان.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٨٠/٣)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٧)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

في أوربا في العصور الوسطى، كانت سوقٌ رائجة لرجال الدين، وتجار الكهنوت، وهو ما جعل بعض الناس من اليهود والملاحدة يتلاعب مع المتلاعبين بالدين، فذهب إلى أحد القساوسة ليشتري منه «جهنم»، فقال له: وماذا تصنع بجهنم، إنما نبيع ما ينتفع به الناس؟ فقال له: بعها لي، وأنا حر فيها بعد ذلك. فباعها له، وقبض الثمن الذي حدده.

وذهب هذا اليهودي يقول للناس: أنا معي جهنم، وأعدكم بأني لن أدخل فيها أحدًا منكم. يقول للناس: لا داعي أن تشتروا صكوك الغفران بأثمانها الباهظة، فأنا ضامن لكم ألا تدخلوا جهنم، التي اشتريتها من القسيس، واستوليت عليها!!

الباب بين المسلم وربه مفتوح لا حاجة معه إلى مَن يتوسط لديه، يستطيع أن يصلي في بيته، مناجيًا ربه، تاليًا كتابه، ذاكرًا له، مصلِّيًا على نبيه، ولا يستطيع أحد أن يقول له: صلاتك غير مقبولة؛ لأنك لم تعتمد على كاهن أو وسيط.

ويستطيع المسلم أن يصوم شهر رمضان، وهو الصيام المفروض سنويًّا على كل مسلم ومسلمة، أو ما شاء من الأيام، ما دام يعرف حدود الصيام، دون حاجة إلى أي أحد يقوم بدله بتقديم هذه العبادة.

قلتُ لصديقي المحاور: أنا صمتُ رمضان من صغري، وأنا ابن السابعة من عمري، وظِلتُ أصومه مع المسلمين حتى اليوم أكثر من ثمانين عامًا.

ويستطيع المسلم أن يتقدم إلى ربه بزكاة ماله، وأن يعطيها للفقير، داعيا كل منهما للآخر، وداعيًا هو لنفسه: اللهم تقبلها مني، واجعلها مغنمًا، ولا تجعلها مغرمًا.

QaradawiBooks.com

وكذلك يذهب إلى الحج من بلده، راغبًا فـي حج بيت الله الحرام، وهو الركن الخامس من أركان الإسـلام، حتى يصل إلى مكان معروف للحجاج، يسـمى الميقات، يغيِّر عنده الرجال ملابسـهم، ويلبسون ثيابًا بيضاء بسيطة غير ملونة، فيلبسـها وهو ينوي الحج إلى بيت الله الحرام، قائلًا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شـريك لك لبيـك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك. والمرأة ليس عليها إلا أن تلبس اللباس الذي يغطي بدنها كله إلا الوجه والكفين، ويكون مناسبًا لهذه الرحلة الربانية.

وما أجمل هذه الكلمات: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك. حينما تصدر من فريق من الحجاج، يهتفون بها في صوت واحد، مخلصٍ لله مستجيبِ النداء!

ومن المشـاركين من وصف لصاحبي أنه حفظ كلمات في ذكر الله، وفي الدعاء، وفي الاسـتغفار من ذنوبه، فتعبَّد بـه كلما قام من ليله، أو تعبد في نهاره.

الزكاة:

ومن المشـاركين من شـرح لصاحبي ما حبَّبه في الإسـلام، وهو الفريضة الثانية بعـد إقامة الصلاة، وهي: إيتاء الـزكاة، وقد ربط القرآن إيتاء الزكاة بإقامة الصلاة، ثمانية وعشرين مرة، ليدلنا على أهمية الزكاة التي هي الركن المالي والاجتماعي في الإسلام.

الزكاة هي الجزء المالي الذي يُسهم به المسلم بما كسبه أو ورثه من مال حلال، إذا بلغ نصابًا محددًا معروفًا، فيدفع جزءًا قليلًا منه، قد يكون ربع عشـر المال (٢,٥٪ من المال)، كما في الدراهم والدنانير والنقود،

QaradawiBooks.com

يدفع هذا المقدار القليل عنها في كل سنة، وكذلك مال التجارة، يدفع عنه هذا المقدار، مما عنده من التجارة.

وقد يدفع عشر المال مما يخرج له من الزرع، أو من ثمار الأشجار من النخل والعنب والرمان ونحوها من الفواكه، إذا كانت تسقى بالأمطار المعتادة أو بماء الأنهار من غير تكلفة ميكانيكية أو يدوية أو حيوانية، وإلا فيخرج نصف عشر الزرع.

وكل مال قابل للنماء والزيادة يكسبه المسلم: يدفع عنه الزكاة السنوية، إن أبقاه في منزله، ولم يُنَمِّه أو يُشَغِّله؛ لأن الأصل في المال الإسلامي: أنه ينمو دائمًا، ولا مجال فيه للكنز، وقد توعد الله تعالى الكانزين بعذاب جهنم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

هذه الزكاة على المال إذا بلغ نصابًا معيَّنًا، وهناك زكاة على الرؤوس، تجب على الأفراد كل عام بمناسبة الفطر من رمضان، وتسمَّى «زكاة الفطر»، وهي بمنزلة كفارة عمَّا يقترفه الإنسان من اللغو والرفث، الذي يجب أن يتجنبه الصائم، فإذا لم يتجنَّبه جاءت هذه الزكاة طُهرة له من ذلك، وهي أيضًا كما جاء في الحديث النبوي: طعمة للمساكين في يوم العيد[1].

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (٥٦٨/١)، وقال: هذا حديث على شرط البخاري. ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة، والدارقطني في زكاة الفطر (٢٠٦٧)، وقال: ليس فيهم مجروح. وحسَّن إسناده النووي في المجموع (١٢٦/٦)، والألباني في صحيح أبي داود (١٤٢٧)، عن ابن عباس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلا يجوز أن ينعم الأغنياء بالعيد، ويفرحوا بالفطر فيه، على حين لا يجد الفقير ما يشعرهم بالفطر في هذا اليوم المبارك. ولهذا شرعت زكاة الفطر، فريضة فرضها الرسول الكريم على كل من كان معه مقدارها، فاضلًا عن قوته وقوت أولاده، يوم العيد وليلته، قال: «**أما غنيُّكم، فيزكيه الله تعالى، وأما فقيركم، فيرد الله تعالى عليه أكثر مما أعطى**»[1]. فترى كل الناس في العيد تقريبًا يشاركون في زكاة الفطر، وهم جميعًا ينفقون في السراء والضراء، القليل يعطي من القليل عنده، والله تعالى يرد عليه ما يستحقه من الأغنياء الذين يعطونه من زكاة فطرهم، فيأخذ أكثر مما أعطى.

وبهذه الزكاة فرض الإسلام أن يشترك أبناء المجتمع كلهم، غنيهم وفقيرهم في فرحة العيد، ويقيمون الصلاة معًا، ويُعيِّد بعضهم على بعض، ولا يقبل الإسلام أن يكون العيد للأغنياء، ويحرم من فرحته الفقراء.

الحج:

ومن العبادات التي شرعها الإسلام، ونبه عليها المسلمون الجدد: عبادة الحج إلى بيت الله الحرام، وهي فريضة تجب في العمر مرة لمن استطاع إليه سبيلًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. بها يتعرف على إخوانه المسلمين، وهم بالملايين، جاءوا من أنحاء العالم، لا فرق بين أمير وخفير، ولا بين غني وفقير، يهدرون جميعًا بتلبية واحدة، في زي واحد، وشعائر واحدة.

(١) رواه أحمد (٢٣٦٦٤) وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الزكاة (١٦١٩)، عن عبد الله بن ثعلبة.

QaradawiBooks.com

علاقة المسلم بربه:

ومن المشاركين مَن شرح لصاحبي ما يشعُرُ به من لذة التعبُّد لله تعالى على الطريقة الإسلامية.

فلا يوجد دين كالإسلام ربط بين المسلم وبين الله تعالى، فقد جعل غاية الإنسان الأولى هي عبادة الله تعالى وحده، وعدم الشرك به شيئًا أو أحدًا من خلقه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

بعض الأديان لا يكاد يجد المتديِّن بها فرصة يلقى فيها ربه، وإذ وجدها كانت أشبه برحلة رياضية، يفرِّج بها عن نفسه، وليست فريضة دينية يطالب بها ممَّن كلَّفه بأدائها.

المسيحي ليست عنده شعائر تعبدية مفروضة عليه فرضًا دينيًّا، يخاف من لم يؤدِّها من عقوبة الله تعالى عليه، كل ما على المسيحي أن يذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد، وكثيرًا ما يذهب بعضهم للتلاقي على الصداقة والتقارب.

أما المسلم في الإسلام فهو يلزم بأداء فرائض أربع، الصلاة الزكاة والصيام والحج، لا بد من أدائها، وعدم تأخيرها عن وقتها المحدد لها:

أولها: الصلوات اليومية الخمس: فرض الصبح من طلوع الفجر إلى شروق الشمس، وصلاة الظهر إلى العصر، والعصر إلى المغرب. وتنتهي صلاة اليوم بصلاة العشاء، ويمكن أن يصليها المسلم منفردًا، ولا يحتاج في إقامتها إلى قسيس يساعده. ولا في صلاة الجمعة، كل مسلم يمكنه أن يقيم جماعة مع إخوانه ولا حرج.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وهناك شروط عامة للصلاة، مثل الاغتسال والوضوء، وطهارة البدن والثوب والمكان. وهناك النية التي هي شرط القبول لكل عمل صالح عند الله، «**إنما الأعمال بالنيات**»[(١)]. كما هناك صلوات مطلوبة في أوقات خاصة.

وهناك صلاة الجماعة، وتكون في كل مسجد بأقل ما يمكن من العدد، وكلما كثر عدد المصلين كانت صلاتهم أقرب إلى الله، وأفضل عنده.

ومن شقَّ عليه الصلاة في المسجد صلَّى حيث استطاع، وأقام جماعة صغيرة إن أمكن مع زوجته أو أمه أو ابنه أو ابنته.

لا يوجد دين غير الإسلام فتح باب الصلوات بين المسلم وربه، فهناك صلاة الليل، التي يقوم فيها المسلم والناس نيام، مناجيًا لمولاه، تاليًا للقرآن، راكعًا ساجدًا، داعيًا خاشعًا. كما وصف الله المحسنين من عباده بقوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وهناك صلاة الضحى، بعد طلوع الشمس وارتفاعها إلى صلاة الظهر، يصلي ولو ركعتين، وخصوصًا لمن لم يستطع أن يكون له حظ من الليل.

وهناك صلوات تقام في جماعة، مثل صلاة الاستسقاء، حين يحتاج الناس إلى المطر، بعد جفاف الأرض، وشوقها إلى الماء الذي يحييها بعد موتها، ويصلي مع الإمام، أو كبير العلماء في البلدة، لعل الله يزيل جدبهم، وينزل عليهم عونه وغيثه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

الصوم:

ومِن المشاركين مَنْ شرح لصاحبي ما وجده في الصيام الإسلامي، من معانٍ لم يجدها في صيام الأديان الأخرى، فليس الصيام فيه عن نوع معين من الطعام، مثل ذي الروح، وإباحة الأطعمة الأخرى عدة أيام، فهذا وإن كان فيه تضييق، إلا أنه ليس مثل الحرمان المطلق من الطعام والشراب، الذي يتميز به صيام المسلم، وذلك كل يوم من وقت الفجر إلى غروب الشمس، ومن الأيام ما يكون قصيرًا، ومنه ما يكون طويلًا، ومنه ما يكون باردًا، ومنه ما يكون حارًّا، حيث الصيام بالأشهر القمرية التي تمر بالسنة كلها ربيعًا وخريفًا، وصيفًا وشتاء.

على أن الصيام الكامل هو ما يصوم فيه الإنسان كله عن كل ما يُدنِّس صحيفته من السباب، والشجار مع الناس، وقول الإثم، وغير ذلك، ولهذا قال رسول الإسلام ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[1].

هذه العبادات الأساسية الأربع، التي جعلها الإسلام فرائض على المسلمين، لا يُعفى منها رجل ولا امرأة، عند بلوغ سن التكليف بها، وعلى المسلمين أن يتعلَّموها ويؤدوها كما ينبغي، وأن تدخل ضمن مناهجهم التعليمية، حتى يعرفها الصغار قبل أن يبلغوا ليتهيؤوا لها.

الذكر:

وهناك عبادات أخرى، ليست فرائض، بل هي مندوبات مستحبات، مطلوبات من المسلم على السَّعة والتيسير، مثل: الذكر لله تعالى؛ من

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، وأحمد (٩٨٣٩)، وأبو داود (٢٣٦٢)، والترمذي (٧٠٧)، وابن ماجه (١٦٨٩) ثلاثتهم في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

التسبيح (سبحان الله)، والتحميد (الحمد لله)، والتهليل (لا إله إلا الله)، والتكبير (الله أكبر)، والحوقلة (لا حول ولا قوة إلا بالله).

ومثل الدعاء، الذي يدعو به الإنسان ربه، كما قال النبي ﷺ: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر**»[1].

ومثل دعاء سيدنا آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومثل دعاء سيدنا إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠ ـ ٤١].

ومثل دعاء سيدنا شعيب: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

ومثل دعاء سيدنا موسى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

ومثل قوله: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وقوله: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

ومثل قول السحرة حينما آمنوا وهدَّدهم فرعون، قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

---

(١) رواه مسلم في الذكر (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومثل قول الحواريين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

ومثل قول أيوب: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقول ذي النون إذ نادى في بطن الحوت، وهو في الظلمات: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ومثل قول النبي ﷺ: «**اللهم رب جبرائيل وإسرافيل وميكائيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»(١).

ومثل دعائه ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنَّا الدَّيْن، وأغننا من الفقر**»(٢).

وهناك الاستغفار، أي طلب المغفرة من الله تبارك وتعالى، في صيغة أدعية قرآنية ونبوية، يتذوق الإنسان فيها حلاوة العبودية له، والوقوف ببابه، والتمسح بأعتابه، واستمداد العفو منه، مما قصَّر فيه الإنسان من الأعمال الصالحات أو الواجبات، وما فَرَّط فيه في جانب السيئات، كما

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧٠)، وأحمد (٢٥٢٢٥)، والنسائي في قيام الليل (١٦٢٥)، عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٠٢.

QaradawiBooks.com

في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

ومن الأدعية النبوية: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني.**

اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي.

اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرْتُ، وما أسررْتُ وما أعلنْتُ، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر، وأنت على كل شيء قدير»[(١)].

ومن المشاركين في هذا المؤتمر: من بين ما أعجبه في الإسلام، حيث وجد في بعض التشريعات ما لم يجده في القوانين والأنظمة الأخرى السائدة في العالم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

الارتباط الأسري:

فبعضهم أعجبه حرص الإسلام على قيام الأسرة، وعلى الارتباط الزوجي، حتى إن القرآن يسمي كلًّا من الرجل والمرأة المرتبطين بهذا العقد المشترك: زوجًا للآخر، فالرجل زوج للمرأة، والمرأة زوج للرجل. والقرآن يجعل ذلك من آيات الله في الكون، مثل خلق السماوات والأرض. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فبين القرآن في هذه الآية: الأسس والأركان للحياة الزوجية السعيدة؛ وهي السكون النفسي، والمودة والرحمة. ولذا قال تعالى: ﴿أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟﴾، فالإنسان في حاجة إلى مسكنَيْن: مسكن مادي يسكن فيه، وإلى ما هو أهم منه، وهو مسكن معنوي، يسكن إليه، وهو المرأة الصالحة. وفيها قال الرسول الكريم: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»(١).

رجال ونساء أسلموا يتحدثون عمَّا أعجبهم في الإسلام:

وما قاله المسلمون العاديون هنا قالته نخبة من رجال الفكر والأدب وكبار السياسيين والعلماء والاجتماعيين في عدة أقطار، يشرحون فيها أهم ما رأوا في الإسلام من بيِّنات جعلتهم يعتنقونه عن قناعة، ليس فيها تردُّد أو شكٌّ، ويجدر بنا أن نذكر طرفًا من أقوالهم، منقولة من كتاب «لماذا أسلمنا؟»، من غير تدخل بالتعليق عليها:

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٧)، والنسائي (٣٢٣٢)، وابن ماجه (١٨٥٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

١ ـ القرآن:

ينقل المستشار كمال رضوان حديث الأستاذ زكي عريبي[١] عن القرآن قائلًا: «قد كنتُ ملتصقًا به بحكم عملي معه، كنتُ أدخل إلى مكتبه لعرض بعض القضايا عليه، فأجده يقرأ القرآن، وأمامه على المكتب كتب الفقه والتفسير، ولاحظ على وجهي علامات الدهشة والتعجب، فابتسم وقال لي: من قراءتي للقرآن تعلمتُ أصول اللغة العربية وفنونها، وبلاغة البيان، مما أكسبني الكثير والكثير في مرافعاتي، لهذا أنصحك بقراءة القرآن مرات ومرات، وتمعُّن معانيه، لتكسب طلاقة اللسان وحلاوة التعبير، وتتمكن من أدوات اللغة في مرافعاتك. وقد عملت بنصيحته وكانت نعم النصيحة»[٢].

ويقول مؤمن عبد الرزاق صلاح «من سيلان»: «قرأت شيئًا من سور القرآن الكريم، فإذا العجب يتملَّكني؛ كنت فيما مضى أرى أن لا شيء يداني الإنجيل، فإذا بي أراني كنتُ على خطأ عظيم. ليس من شك في أن القرآن الكريم يشيع فيه الحق، وأن تعاليمه إيجابية عملية، وخالية من الطقوس والعقائد الغامضة، فكان كل يوم يمضي يقرِّبني رويدًا نحو دين «السلام والحب»، دين الإسلام ولا ريب»[٣].

---

(١) محامي مصري يهودي مشهور، كان عميد اليهود في مصر، وله نشاط سياسي كبير في مصر بعد ثورة يوليو، أسلم عام ١٩٦٠م.

(٢) لماذا أسلمت للأستاذ الكبير زكي عريبي المحامي صـ ٤٩، إعداد محمد عبد الله السمان، نشر دار الروضة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(٣) لماذا أسلمنا مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر صـ ١٨٤، ترجمة مصطفى جبر، نشر وزارة التربية والتعليم، قطر، ط٢، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

أما علي سلمان بنوا[١] فيقول: «إن من بين آيات هذا القرآن الذي أوحى الله به منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، ما يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية»[٢].

ويقول فوز الدين أحمد أوفرنج[٣]: «إن للأسلوب القرآني جماله وروعته، وهذا ما لا يتوفر لأساليب ترجمته إلى اللغات الأخرى، وإنني أشير هنا إلى نص كلمات الله في بعض آيات القرآن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠]»[٤].

وقال: كولونيل دونالداس[٥]: «التعاليم الأصيلة التي جاء بها محمد ﷺ لم يغيِّرها المشرِّعون بتعديلات أو إضافات، فها هو القرآن على حاله التي أنزل بها على محمد ﷺ لهداية مشركي ذلك الزمان، يبقى ثابتًا راسخًا رسوخ روح الإسلام ذاته»[٦].

---

(١) حاصل على دكتوراه في الطب، ينتمي لأسرة فرنسية كاثوليكية، كان ملحدًا، لا يقبل سلطة القساوسة بمغفرة الذنوب، وتأثر بكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، وأحكام الطهارة، ومراعاة الإسلام للطبيعة البشرية، وسبب إسلامه هو القرآن الكريم، الذي يحمل نفس النظريات التي كشف عنها العلم الحديث.

(٢) لماذا أسلمنا صـ ٧١.

(٣) واعظ وباحث اجتماعي هولندي، اهتم بالشرق ودراسة العربية وهو في الابتدائية، ومن خلالها تعرف على الإسلام، واقتنع برسالة محمد ﷺ، تأثر بكتاب أ. ج. بروان عن الأدب الفارسي، ودرس اللاهوت، يرى الإسلام دينًا خالصًا من الخرافات والأساطير، يجد فيه المسلم توافقه مع نفسه والعالم ومع الله.

(٤) المصدر السابق صـ ١٤٨.

(٥) شاعر وناقد ومؤلف أمريكي، تأثر ببساطة الإسلام ومساجده، وسلوك المسلمين وإيمانهم وصلواتهم، وزاد يقينه بإدراكه للنزعة الإنسانية الشاملة للإسلام، وواقعيته، ووسطيته، وبساطته، وسماحته مع الأديان الأخرى، ونقاء عقيدته من عبادة الأوثان، وعدم تغيير أحكام الإسلام بعد الرسول ﷺ، وقدرة الإسلام على الارتقاء بالروح الإنسانية.

(٦) المصدر السابق صـ ٩١.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

٢ ـ دين الفطرة:

وعن كون الإسلام دين الفطرة يقول علي سلمان بنوا: «ونلاحظ كذلك أن المسيحية التزمت الصمت فيما يتعلق بغرائز الإنسان الفسيولوجية، بينما نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي ينفرد بمراعاة الطبيعة البشرية»[(١)].

ويقول محمد سليمان تاكيوتشي[(٢)]: «والإسلام دين الفطرة، ولهذا نجد في مرونته ما يناسب حاجات الناس على تباينهم في كل العصور على اختلافها، كما نرى أنه قام بدور هام في تطوير المدنية البشرية في تاريخه الذي يمكن اعتباره قصيرًا نسبيًّا»[(٣)].

٣ ـ الانتماء إلى أصل واحد:

أما الانتماء إلى أصل واحد وهو آدم، فيقول عنه الدكتور عمر رولف بارون إهرنفيلز[(٤)]: «هذا الشعور بالحب للانتماء إلى أصل واحد في الأبوَّة، يحمل في طيَّاته شعور الحب المقدَّس للانتماء إلى أم واحدة؛ ومن أسماء الله «الرحمن الرحيم»، وكلا اللفظين مشتقٌّ من أصل كلمة

(١) لماذا أسلمنا صـ ٧١.

(٢) عضو بجمعية علم الأجناس البشرية اليابانية، أعجب بالأخوة الإسلامية، والاتصال بين العبادة والحياة، والتآلف بين الروحية والمادية، ودور الإسلام الهام في تطوير المدنية البشرية، ويؤكد على حاجة المجتمع الياباني للإسلام، لغناه في الجانب الروحي.

(٣) المصدر السابق صـ ١٦٦.

(٤) أستاذ علم الأجناس البشرية في النمسا، تأثر بوحدة منبع الإسلام والديانات الكتابية، ونشر الإسلام للسلام، وكونه آخر الأديان، ورسوله محمد ﷺ خاتم الأنبياء، وتأكيده لروح الأخوة الإنسانية الشاملة، وتقريره لوحدة أصل الإنسان وما يضفيه ذلك من مشاعر الحب والانتماء بين البشر.

QaradawiBooks.com

«رحم» في اللغة العربية، ويرمز معنى هذا إلى معنى جملة «Goethe's Das Ewing Weibliche Zieht uns himan» بينما معناها اللفظي هو الرحم، من المرأة»[١].

٤ ـ الأخوة الإسلامية:

أما الأخوة الإسلامية فقد كانت مثار إعجاب عدد من المهتدين للإسلام، منهم الدكتور عمر رولف بارون إهرنفيلز، حيث يقول: «يؤكد الإسلام روح الأخوة الإنسانية الشاملة بين عباد الله جميعًا، مهما تباينت سلالاتهم أو طوائفهم، أخوة لا تنال منها الفوارق من لغة أو من تاريخ، أو حتى من العقائد الدينية»[٢].

ويتابع الكولونيل دونالداس قائلًا: «والأخوة العالمية الشاملة في الإسلام، بغضِّ النظر عن اختلاف العنصر أو المذهب السياسي أو اللون أو الإقليم؛ قد ثبتت عندي بكل يقين واقتناع مرات ومرات؛ وهذه ظاهرة أخرى كانت ضمن الدوافع التي قادتني إلى الإيمان بالإسلام»[٣].

ويقول مستر ر. ل. ملما[٤]: «مبدأ الأخوَّة في الإسلام، يمتد ليشمل البشرية عامة، بغير اعتبار للون أو جنس أو عقيدة، وينفرد الإسلام بين كل الأديان في أنه الوحيد الذي طبَّق هذا المبدأ عمليًّا؛ والمسلمون

(١) لماذا أسلمنا صـ ٤٧.

(٢) المصدر السابق صـ ٧٤.

(٣) المصدر السابق صـ ٩٢.

(٤) عالم في تاريخ الأجناس البشرية وكاتب وأديب هولندي، درس اللغات الشرقية وتعلم العربية، وقرأ بعض الكتب الإسلامية، وزار بعض البلاد الإسلامية، وتأثر بالقيم الإسلامية الروحية الكبرى، ووحدانية الله، والصلة بين العبد وربه، والتسامح، والأخوة، وتقدير الإسلام للعقل، وتحريمه للخمور والمخدرات.

QaradawiBooks.com

أينما كانوا على سطح هذه المعمورة، ينظر الواحد منهم إلى الآخر نظرة الأخ لأخيه»[١].

وقال علي محمد موري[٢]: «وفي يقيني أن تعاليم الإسلام وحدها، ولا شيء سواها، هي التي تقدم ـ ولا ريب ـ الحل الذي طال البحث عنه، لا سيما في مبدأ الأخوة في الإسلام الذي ينال مني كل إعجاب. فالمسلمون كلهم إخوة، ويأمرهم الله أن يعيشوا في سلام، وأن تسودهم روح الألفة، وإنني مؤمن بأن هذا الطراز من الأُخُوَّة الحيَّة هو أشد ما يفتقر إليه العالم في يومنا هذا»[٣].

ويقول محمد سليمان تاكيوتشي: «والأخوة في الإسلام لا تعترف بفوارق أو حواجز من موطن أو عشيرة أو سلالة، ولكنها تجمع بين سائر المسلمين في جميع أنحاء العالم؛ زد على ذلك: أن الإسلام لا يختص بنخبة قليلة مصطفاة، بل هو دين لعامة الناس، سواء أكانوا باكستانيِّين أم هنودًا، أم عربًا، أم أفغانيين، أم صينيين، أم يابانيين. وبإيجاز هو دين عالمي لجميع الأجناس والدول»[٤].

قال مؤمن عبد الرزاق صلاح «من سيلان»: «وما كان للأخوة الإسلامية إلا أن تسترعي إعجابي وانتباهي، وأقول للذين يريدون أن

(١) لماذا أسلمنا صـ ٩٦.

(٢) باحث اجتماعي وواعظ ياباني، تأثر بنمط عيش المسلمين وسلوكهم، وانصراف اليابانيين عن البوذية واعتناقهم للمسيحية بينما الشعوب الأوربية تتخلى عنها، ويرى في تعاليم الإسلام الحل المنشود للمشكلة الروحانية لليابانيين، بأخوة الإسلام وسلامه وتآلف أتباعه.

(٣) المصدر السابق صـ ١٥٥.

(٤) المصدر السابق صـ ١٦٥.

QaradawiBooks.com

يروا بأعينهم كيف يتحقق مبدأ «أحِبَّ لجارك ما تحب لنفسك»[١]، إنهم لن يجدوا ذلك في غير ظل الأخوة الإسـلامية، فلم يرَ العالم كله وحدة بين البشر أعظم منها أو أكثر عمقًا وإخلاصًا»[٢].

٥ ـ دين يحترم العقل:

وكان احترام الإسلام لعقل الإنسان مثار إعجاب البروفيسور هارون مصطفى ليون[٣] إذ يقول: «من مفاخر الإسلام أنه مبنيٌّ على العقل، ولا يطالب معتنقيه أبدًا بتجميد طاقاتهم الفكرية؛ مخالفًا بذلك عقائد أخرى، تلزم تابعيها بالاعتقاد الأعمى لمذاهب وآراء معينة دون تفكير فيها، على أساس أن ذلك من شـأن الكنيسة، بينما يحض الإسـلام على البحث، ويدعو إلى النظر والتدبر، قبل التصديق والإيمان»[٤].

ويقول مستر ر. ل. ملما: «تقدير الإسـلام للعقل والمادة، ولقيمة كل منهما، باعتبارهمـا حقائق قائمة، وأن النمو العقلي في الإنسـان يسـير جنبًا إلى جنب مع احتياجاته الجسـدية، وأن على الإنسان أن يسلك في الحياة سـبيلًا يهيمن فيه بالعقل على المادة، ويخضع فيه المادة لحكم العقل»[٥].

---

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «**لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**». رواه البخاري (٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

(٢) لماذا أسلمنا صـ ١٨٤.

(٣) عالم لغوي وجيولوجي ومؤلف إنجليزي، تأثر ببناء الإسـلام على العقل، وإعمال الفكر، والحض على البحث، والنظر والتدبر، قبل التصديق والإيمان، بخلاف الأديان الأخرى التي تقوم على الاتباع الأعمى.

(٤) المصدر السابق صـ ٦٥.

(٥) المصدر السابق صـ ٩٦ ـ ٩٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقالت الآنسة مسعودة ستينمان[١]: «والإسلام يدعونا إلى تقديس الله، وأن نخضع لشـريعته، وفي ذات الوقت يدعونا ويشجعنا على استعمال العقل، مع مراعاة عواطف الحب والتفاهم جنبًا إلى جنب»[٢].

٦ ـ سماحة الإسلام مع الأديان الأخرى:

يقول الكولونيل دونالداس في معرض حديثه عن سـماحة الإسلام: «وهذا نابع من اتساع الأفق الفكري، تجعله قريبًا إلى قلوب أولئك الذين يتعشـقون الحرية، فقد دعا محمـد ﷺ أتباعه إلى أن يحسـنوا معاملة المؤمنين بالتوراة والإنجيل، وإلى الإيمان بأن إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم رسـل من عند الله الواحد الأحد؛ ولا شـك إن هذه سَمَاحة في الإسلام يمتاز بها عن الأديان الأخرى»[٣].

ويقول مستر ر. ل. ملما: «مبدأ التسـامح في الإسلام، كما يبدو في هذه الكلمات الخالدة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وأن المسلم مطالب بالبحث عن الحق حيثما وجـده، ومطالب كذلك باحترام ما في الأديان الأخرى من خير»[٤].

٧ ـ دين النظافة والطهارة:

وقد كانت نظافة المسـلمين أحد الأسـباب التـي جذبت علي سـلمان بنوا إلى الإسـلام، يقول: «وممَّـا كان يباعـد بيني وبين

(١) آنسة إنجليزية، ترى في الإسلام الدين الذي يقبله العقل، والذي يحقق الصلة بين الإنسان وخالقه والكون من حوله، ويجعل لحياته هدفًا، ويهيئ له أسباب الفوز بالرضا والسعادة.

(٢) لماذا أسلمنا صـ ١٠٤.

(٣) المصدر السابق صـ ٩١.

(٤) المصدر السابق صـ ٩٦.

QaradawiBooks.com

المسيحية: أنّها لا تحوي في تعاليمها شيئًا يتعلّق بنظافة وطهارة البدن، لا سيما قبل الصَّلاة، فكان يخيَّل لي أنَّ في ذلك انتهاكًا لحرمة الربِّ؛ لأنّه كما خَلَق لنا الروح، فقد خلق لنا الجسد، وكان حقًّا علينا ألَّا نهمل أجسادنا»[١].

أما الكولونيل دونالداس فيقول: «وكان الرسول حريصًا على صحة قومه، فأمرهم بالتزام النظافة إلى أبعد الحدود، كما أمرهم بالصوم والسيطرة على الشهوات الجسدية. وأذكر أنني كنت عندما أقف في مساجد إسطنبول ودمشق وبيت المقدس والقاهرة والجزائر وطنجة وفاس.. وغيرها من المدن، كنت أحس شعورًا عميقًا بقدرة الإسلام وبساطته، على الارتفاع بروح البشر إلى الآفاق العليا، دون حاجة إلى زخارف أنيقة، أو تماثيل أو تصاوير، أو موسيقا أو طقوس رسمية، فالمسجد مكان للتأمل الهادئ، ونسيان الذات وفنائها، واندماجها في الحقيقة الكبرى، في ذكر الله الأحد»[٢].

٨ ـ دين الاعتدال والتيسير:

قال: كولونيل دونالداس: «والاعتدال والتوسط في كل شيء هما دعامتان أساسيتان في الإسلام استحوذتا على كل إعجابي وتقديري»[٣].

(١) لماذا أسلمنا صـ ٧١.

(٢) المصدر السابق صـ ٩١ ـ ٩٢.

(٣) المصدر السابق صـ ٩١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال عمر ميتا[١] في أثناء مقارنته بين البوذية والإسلام: «ولكن الإسلام يختلف عن ذلك كل الاختلاف، فتعاليمه سهلة بسيطة وواضحة لا التواء فيها، وهي في نفس الوقت عملية إلى أبعد الحدود.

الرجل العادي يستطيع أن يفهم تعاليم الإسلام لبساطتها وسهولة تطبيقها، ولذلك لا نجدها حكرًا على طائفة من رجال الدين أو القساوسة، كما نرى ذلك في الأديان الأخرى»[٢].

وقال مؤمن عبد الرزاق صلاح: «وقد أقنعني بالإسلام فوق ذلك خلوه من التعقيدات، فهو مثالي وعملي، وهو دين العقل والقدرة على التطور، وهو كذلك مثالي في عقيدة وحدانية الله، وفي نواحيه الروحية، وبهذا فهو الدين الوحيد الذي تصلح به البشرية جميعًا؛ لأنه عملي في نظرياته ومعتقداته، ولأنه منطقي ومتجدد تجدد الحياة»[٣].

٩ ـ دين المساواة بين الناس جميعًا:

وعن كون الإسلام دين المساواة بين الناس جميعًا يقول الكولونيل دونالداس: «وتتجلى ديموقراطية الإسلام التي أثارت إعجابي في تساوي الحقوق بين المِلك صاحب السلطان وبين الفقير المتسوِّل داخل جدران المسجد، فهم يسجدون جميعًا لله، ليس هناك مقاعد تُستأجر، ولا أماكن تُحجز لفئة دون أخرى»[٤].

---

(١) اقتصادي وباحث اجتماعي وواعظ ياباني، تأثر بسهولة الإسلام ووضوحه بخلاف البوذية التي تقدم فلسفة معقدة، ويرى في الإسلام دين السلام الحقيقي الذي تحتاجه البشرية، لا سيما أهل اليابان.

(٢) لماذا أسلمنا صـ ١٥٠.

(٣) المصدر السابق صـ ١٨٥.

(٤) المصدر السابق صـ ٩٢.

QaradawiBooks.com

وقال مستر ر. ل. ملما: «والمساواة بين الناس جميعًا أمام الله، تتمثل واضحة في لباس الإحرام في الحج»[١].

١٠ ـ الصلة بين العبد وربه مباشرة:

يقول الكولونيل دونالداس: «لا يؤمن المسلم بوسيط بينه وبين ربه، بل يتوجَّه رأسًا إلى الله خالق الخلق وواهب الحياة ـ وهو لا يراه ـ دون التجاءٍ إلى صكوك غفران، أو إيمان بقدرة معلِّم على منحه الخلاص»[٢].

وقال مستر ر. ل. ملما: «الصلة بين خالق الكون ومخلوقاته التي ميَّز الله الإنسان عليها صلة مباشرة؛ فلا يحتاج المؤمن إلى وساطة، كما لا يحتاج الإسلام إلى كهنوت. ومن تعاليم الإسلام أن الصلة بالله ترجع إلى الإنسان نفسه، وأن على الإنسان أن يعمل في حياته الدنيا لحياته الأخرى، وأنه مسؤول عن عمله، ولن تكفَّر ذنوبه بتضحية نفس أخرى بريئة؛ وأنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]»[٣].

أما السيدة سيسيليا محمودة كانولي «من أستراليا» فتقول: «ولو أن أحدًا سألني عن أهم جانب في الإسلام اجتذبني، لأجبت إنها الصلاة؛ لأن الصلاة في المسيحية لا تعدو أن تكون دعاء لله «بواسطة المسيح عيسى» ليمنحنا خير الدنيا، أما في الإسلام فهي ثناء على الله، وتحميد له على كافة نعمه؛ لأنه العليم بما ينفعنا ويمنحنا ما يلزمنا، دون أن نسأله من ذلك شيئًا»[٤].

---

(١) لماذا أسلمنا صـ ٩٦.

(٢) المصدر السابق صـ ٩٢.

(٣) المصدر السابق صـ ٩٦.

(٤) المصدر السابق صـ ١١٧.

QaradawiBooks.com

١١ ـ دين الإسلام شامل:

وعن شمول الإسلام تقول الآنسة مسعودة ستينمان: «يقول الله في القرآن، وهو رسالة الخالق إلى جميع خلقه على اختلاف أجناسهم وأممهم ومكانتهم في المجتمع: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس: ١٠٨].

لا أعرف دينًا يقبله العقل ويجذب الناس إليه، وله من المؤمنين به مثل هذه الجموع الضخمة. ويبدو لي أنه ما من طريق أقرب منه إلى الاقتناع العقلي والرضا في الحياة، ولا أعظم منه أملًا للنجاة في الحياة الآخرة بعد الموت»[(١)].

ويقول عمر ميتا: «والإسلام ينظم الحياة البشرية في كافة جوانبها، ويصقل التفكير الإنساني، وإذا ما صلح تفكير الإنساني وصفا، صلح معه العمل تلقائيًّا»[(٢)].

١٢ ـ دين يوازن بين متطلبات الروح وحاجات الجسد:

وعن توازن الإسلام يقول محمد سليمان تاكيوتشي: «الحياة البشرية مزيج من الروح والمادة، فقد خلقنا الله من روح وجسد، فإذا أردنا الكمال لحياتنا، كان لزامًا علينا أن نربط بين أرواحنا وأجسادنا، وألَّا نجعل حدًّا فاصلًا بين حياة روحية ومادية.

(١) لماذا أسلمنا صـ ١٠٤.

(٢) المصدر السابق صـ ١٥٠.

QaradawiBooks.com

والإسلام يقدر أهمية كل من الجانبين المادي والروحي، ويضع كلًّا منهما موضعه الصحيح، وعلى هذا الأساس تقوم فلسفته التي تتناول جميع نواحي الحياة البشرية»[١].

وقال محمد إسكندر راسيل وب[٢]: «إن روح العقيدة الإسلامية الحقَّة تكمن في الخضوع لإرادة الله؛ وحجر الزاوية فيها الصلاة. والإسلام دعوة إلى الأخوة العالمية وإلى المحبة بين العالمين جميعًا، وإلى الخير للناس كافة، ويتطلب طهارة العقول، وطهارة العمل، وطهارة الحديث، ويدعو إلى طهارة البدن ونظافته.

إن هذا الدين ـ بين جميع الأديان التي عرفها العالم ـ هو ولا شك أبسطها، وهو في نفس الوقت أقدرها على السمو بالبشرية»[٣].

وقال: كولونيل دونالداس: «إن بساطة الإسلام، ومساجد المسلمين بجاذبيتها وبما في أجوائها من روعة وجلال، والجدُّ والوقار اللذين يتميَّز بهما المسلمون المؤمنون، والثقة الباعثة على اليقين في قلوب الملايين العديدة المنتشرين في أنحاء المعمورة؛ والذين يستجيبون لنداء الصلاة، لخمس مرات في اليوم، كل هذه الأمور ملكت عليَّ مشاعري منذ البداية.

على أنني بعد أن قرَّرتُ أن أنضمَّ إلى ركب المسلمين، وجدت أن هناك أسبابًا كثيرة أخرى أهم وأعمق من هذه الدوافع زادتني يقينًا

(١) لماذا أسلمنا صـ ١٦٦، ١٦٧.

(٢) سياسي ومؤلف وصحفي أمريكي، نشأ في بيئة مسيحية أرثوذكسية، ضاق بجمود الكنيسة، ووجد الإسلام خير دين يلبي الاحتياجات الروحية للجنس البشري، وفيه دعوة إلى الأخوة والمحبة بين العالمين، ويبذل الخير للناس كافة، ويحث على طهارة العقل والعمل والحديث والبدن.

(٣) لماذا أسلمنا صـ ٥٦.

QaradawiBooks.com

وتصميمًا؛ هذا الإدراك الناضج للحياة، وهو من ثمار السنة المحمدية التي تجمع بين الرأي السديد والقدرة العملية، وهذا التوجيه الحكيم، وهذا الحث على البر والرحمة، وهذه النزعة الإنسانية الشاملة، وهذا الإقرار الرائد بتقرير حق الملكية للمرأة، هذه الأمور وكثيرٌ غيرها من التعاليم التي جاء بها رجل مكة «الرسول ﷺ»، كانت بالنسبة لي من الشواهد الحية على واقعية هذا الدين، التي أبرزها محمد ﷺ في قول موجز محكم أخّاذٍ سديد»[١].

ويقول فوز الدين أحمد أوفرنج: «الإسلام يعني أن يكون المرء متفقًا مع نفسه، ومع العالم، ومع الله، إنه يتضمن التسليم بإرادة الله»[٢].

ويقول محمد سليمان تاكيوتشي: «والإسلام كفيل بحل مشاكل الحياة؛ وهو الدين السماوي الوحيد الذي انتصر على عادِيَات الزمن؛ وتعاليمه باقية على أصولها، كما أوحى بها إلى الرسول ﷺ منذ أربعة عشر قرنًا»[٣].

* * *

(١) لماذا أسلمنا صـ ٩٠.

(٢) المصدر السابق صـ ١٤٨.

(٣) المصدر السابق صـ ١٦٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

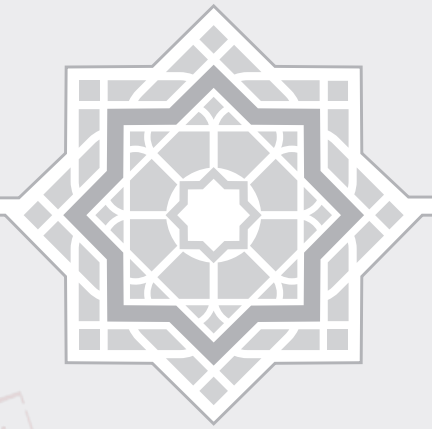

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

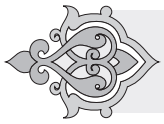

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾	٤	٢٩
﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾	٥	١١٤، ١٣٤، ١٥٣
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾	٦	١٩٥
سورة البقرة		
﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾	٣٠	٥٨، ١١٥
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٣٧	١٤٤
﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾	١١٥	١٩٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	١٨٩
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	١٦٤	١٥٩
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ ﴾	١٦٧	١٢٩
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾	١٨٦	٢١٣
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ ﴾	٢٠١	٤٢، ١٥٢
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾	٢٠٤ ـ ٢٠٦	١٤٩
﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ ﴾	٢٣٧	١٠٦
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾	٢٥٥	١٠١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾	٢٥٦	٢٣١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾	٢٨٢	١٠٦
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾	٢٨٦	٢٣٤
﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾	٢٨٦	٢٢٢
سورة آل عمران		
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ ﴾	١٤	٩١
﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾	١٦	٢٢٣
﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾	٥٣	٢٢٢
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾	٦٤	٦، ٣٠
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾	٩٧	٢١٧
﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	١٠١	١٤٢
﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١١٠	١٨٩
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ ﴾	١٣٣	٣٣
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾	١٣٥	١٤٣
﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا ﴾	١٤٧	٢٢٣
﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ ﴾	١٥٤	٢٠٤
﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ ﴾	١٦٠	١٣٢
﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ ﴾	١٨٥	٩٢
﴿ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	١٩٠	١٥٩
﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾	١٩٣، ١٩٤	٢٢٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة طباعية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النساء		
﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾	١٩	٢٠٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا﴾	٥٦	١٠٣
﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾	٧٨	٢٠٤
﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلٗا﴾	١٤١	١٨٩
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾	١٥٧ ـ ١٥٨	٩٨
﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾	١٦٣	١٠٤
﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾	١٦٥	١١٦
﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾	١٧٢، ١٧٣	١٥٥
سورة المائدة		
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾	٢٧ ـ ٣١	١١٩
﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾	٣٠	١٢٠
﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ﴾	٣١	١٢١
﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي﴾	٣١	١٢١
سورة الأنعام		
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةًۖ﴾	٧٤ ـ ٧٩	٦
﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ﴾	٨١، ٨٢	١٣٣
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾	٨٢	٢٠٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾	٩٥	٧٤
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾	١٠١	١٠٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ﴾	١٢٢	١٩٠
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	١٩٥
﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾	١٦١ ـ ١٦٤	١٣٤
سورة الأعراف		
﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾	١٢	١٤٤
﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦، ١٧	١٢٩، ١٤٤
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	١٤٤، ٢٢١
﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣٠	١٣٠
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٢٠٤
﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾	٥٩	١٤٠، ١٥٤
﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾	٨٩	٢٢١
﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾	١٢٦	٢٢١
﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١٥١	٢٢١
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٤، ١٠٠
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾	١٧٢، ١٧٣	١٥٣
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾	١٧٩	١٤٧
سورة الأنفال		
﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾	٣٩	١٣٤
سورة التوبة		
﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾	٣٤، ٣٥	٢١٦
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾	٤٠	١٩٣، ١٩٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يونس		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾	٢٢	٦٩
﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	٥٨	١٤٤
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾	١٠٨	٢٣٥
سورة هود		
﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ ﴾	٩	٢٠٨
﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾	٥٠	١٥٣
﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾	٦١	١١٥
﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾	١١٣	١٠٧، ١٤٥
سورة يوسف		
﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾	٢٣	١٤٤
﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾	٣٩، ٤٠	١٤٢
﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٨٧	٢٠٦
﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾	٩٢	١٤٥
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾	١٠٨	١٣
سورة الرعد		
﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ ﴾	٢٥	١٤٨
سورة إبراهيم		
﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾	٢٢	١٣٠
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾	٢٤ ـ ٢٦	١٨٨
﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾	٤٠ ـ ٤١	٢٢١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	١٢٦
﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾	٤٦	٢٠٣
﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾	٥٦	٢٠٦
﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾	٩٩	١٥٤
سورة النحل		
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٣٦	١٠٤، ١٤٠، ١٥٤
سورة الإسراء		
﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾	٢٥	١٤٣
﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾	٤٤	١٣٧
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	٦٧	٥١، ١٤٠
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	٧٠	١١٥
سورة الكهف		
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾	٢٩	٤٠
سورة طه		
﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴾	٢٥ ـ ٢٨	٢٢١
﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠	٧٦
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾	١١٥ ـ ١٢٢	١٢٦
﴿ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾	١١٥	١٤٤
﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾	١٢٢	١٤٤
﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ ﴾	١٢٣، ١٢٤	١٩٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنبياء		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾	٢٥	١٤١، ١٥٤
﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا﴾	٤٧	١٠٣
﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٨٣	٢٢٢
﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٨٧	٢٢٢
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾	٩٢	١٥٤
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١٤، ٩٥، ٩٩
سورة الحج		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾	١١	٢٠٨
﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾	٧٨	١٨٩
سورة المؤمنون		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾	٥١، ٥٢	١٥٤
﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾	١١٥ ـ ١١٦	٥٧
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	١٣، ١٠٠
﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾	٢٧ ـ ٢٩	١٢٤
﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾	٤٣ ـ ٤٤	١٤٧
سورة الشعراء		
﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾	٦٢	١٩٧
﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾	٧٧ ـ ٨٢	١٣٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٩	١٥١
﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾	٢١٤	٤٢
سورة النمل		
﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾	٨٨	٧٦، ١٠٩
سورة القصص		
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾	٨	١٤٩
﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾	٢٤	٢٢١
﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ ﴾	٤٠ ـ ٤٢	١٤٩
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	٥٠	١٤٦
سورة العنكبوت		
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾	٦١	١٣٩
سورة الروم		
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾	٢١	٢٢٤
﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٢٨	١٦٠
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾	٣٠	٥١، ٦٩، ١٣٧
سورة لقمان		
﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	١٣٣
﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٠	١١٥، ١٣٦، ٢٠٢
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾	٣٢	٥١
سورة السجدة		
﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾	٧	٧٦، ١٠٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾	١٦	٢١٩
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	١٧	٣٣، ١٥٢
سورة الأحزاب		
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾	٤٠	٩٥، ١٠٠
﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾	٦٧، ٦٨	١٢٩
سورة سبأ		
﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ ﴾	١٣	١٦٢
﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾	١٥	١١٦، ١٣٤
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	١٤
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾	٣١ ـ ٣٣	١٢٨
سورة فاطر		
﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾	٢٤	١٠٤
سورة يس		
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾	٣٦	٧٤
﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾	٦٠، ٦١	١٥٣
سورة ص		
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٢٧ ـ ٢٨	٥٧
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾	٨٧، ٨٨	١٤
﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾	٧٦	١٤٤
سورة الزمر		
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾	٨	٥١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾	٢٩	١٤٢
﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾	٧٣	٣٩، ٥٦
سورة غافر		
﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾	١٦	٢٩
﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾	١٦	٢٩
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	٣٨ ـ ٤٤	٧، ٣٩
سورة فصلت		
﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	١١٧
﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾	٥٣	١٠٩
سورة الشورى		
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	١١	٦٧، ١٠١
سورة الزخرف		
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾	٩	٥٥
﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾	٦٧	١٢٤
سورة الدخان		
﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾	٣٨ ـ ٤٠	٥٧
﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴾	٤٣ ـ ٥٠	٤٠
سورة الجاثية		
﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	٢١ ـ ٢٢	٥٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة محمد		
﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾	١٢	١٣٥
﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ﴾	١٥	٣٦
سورة الفتح		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾	٤	١٩٢
سورة الحجرات		
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾	٧، ٨	٢٠٢
سورة الذاريات		
﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	١٧، ١٨	٢١٩
﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾	٢٢، ٢٣	٢٠٣
﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾	٤٢	١٨٥
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦ ـ ٥٨	٥٨، ١٣٥، ٢١٨
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٠٥
سورة الطور		
﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾	٣٥، ٣٦	٥٤، ٨٧
سورة النجم		
﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾	٤٢	١٣٣
سورة الواقعة		
﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۞ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾	٣٠، ٣١	٣٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحديد		
﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾	٣	١٠٢
﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤	١٩٧
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾	٢٢	٢٠٩
سورة الحشر		
﴿كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾	١٩	١٣٨
سورة الجمعة		
﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾	٨	٢٠٤
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٨	١٨٩
سورة الطلاق		
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾	١٢	٥٨
سورة الملك		
﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾	٣	٧٦
﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	٢٢	١٩٠، ١٩٥
سورة القلم		
﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	٥٢	١٤
سورة الحاقة		
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾	٣٨ ـ ٤٠	١١٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المدثر		
﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾	٤٧	١٥٤
سورة القيامة		
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾	٢٢، ٢٣	٣٢، ٦٦
﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾	٣٦	٥٧
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	١١٧
﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾	٨، ٩	١٥٠
سورة التكوير		
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	٢٧	١٤
سورة الانفطار		
﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾	١٩	٢٩
سورة المطففين		
﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٦	١٢٤
سورة الانشقاق		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾	٦	١٣٣
سورة الأعلى		
﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾	١ ـ ٣	٨٥
سورة الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾	١٧ ـ ٢٠	٨٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفجر		
﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۞ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾	١١ ـ ١٤	٣٢
﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾	٢٧ ـ ٣٠	٢٢٦
سورة البلد		
﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾	١٠	١١٧
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٧ ـ ١٠	١١٧
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾	٤ ـ ٦	١١٥
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾	١، ٢	٧٢
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾	٧، ٨	١٢
سورة الإخلاص		
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾	٣، ٤	٦٧، ١٠١

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحـــديـــث	رقم الصفحة
أ	
أتدرون ما هذا؟. قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر أرسله الله	٤٥
اتقوا النار. قال: وأشاح، ثم قال: اتقوا النار. ثم أعرض وأشاح ثلاثًا	٤٢
اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني	٢٢٣
اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري	٢٢١
اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء	١٠٢، ٢٢٢
اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر	٤٠
اللهم رب جبرائيل وإسرافيل وميكائيل، فاطر السماوات والأرض	٢٢٢
اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا	١٥٠
أما غنيُّكم، فيزكيه الله تعالى، وأما فقيركم، فيرد الله تعالى عليه أكثر مما أعطى	٢١٧
أمر بعض أصحابه أن يُحصوا له عدد الذين يلفظون بالإسلام	١٦١
إن أدنى أهل الجنة منـزلة: رجل صَرَف الله وجهَه عن النار، قِبَل الجنة	٣٤
إن أهل الجنة لَيَتَرَاءَوْن أهل الغُرَف من فوقهم، كما يَتَرَاءَوْن الكوكب الدُّرِّيَّ	٣٥
إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها	٣٧

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الحـــديـث	رقم الصفحة
إن في الجنة غُرَفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها	٣٥
إن في الجنة مائةَ درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله	٣٥
إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة، طولها ستون ميلًا	٣٦
إن لله ملائكة سيارة يتبعون مجالس الذكر... فذكر الحديث	٤١
إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله	٩٥
أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منـزلة؟	٣٤
أنا الخاتم فلا نبي بعدي	٩٥، ١٠٠
أنتم أعلم بأمر دنياكم	١٦١
أنذرتكم النار، أنذرتكم النار	٤٣
إنما الأعمال بالنيات	٢١٩
إنما مَثَلي ومثل أمتي، كمثل رجل استوقد نارًا، فجعلت الدوابُّ والفَرَاش	٤٣
ب	
بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ	٣٦
ح	
الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق بها	١٦٢
د	
الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة	٢٢٤
ذ	
ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا	٢٠٠

QaradawiBooks.com

الحـــديـــث	رقم الصفحة
س	
سألتِ الله لآجالٍ مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة	٤١
ط	
طعمة للمساكين	٢١٦
ع	
عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن	٢٠٧
ف	
فضل العالِم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي	١٧٠
في الجنة بحر للماء، وبحر للبن، وبحر للعسل، وبحر للخمر	٣٦
فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر	٣٣
ك	
كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾	٤٢
كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه	٧٠
الكوثر نهَر في الجنة، حافَّتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت	٣٦
ل	
لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	٢٣٠
لمَّا خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها	٤٤
«ليس كما تقولون، ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، بشرك	١٣٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحـــديـث	رقم الصفحة
م	
ما يصيب المسلم من همٍّ ولا غمٍّ ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها	٢١٠
مثل المؤمن تصيبه الوعكة من البلاء، كمثل الحديدة تدخل النار	٢٠٩
مثلي ومثلكم، كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفَرَاش يقَعْنَ فيها	٤٣
المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل	١٢٥
من سأل الله الجنة ثلاثَ مراتٍ قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة.	٤١
من سعادة المرء استخارته ربه، ورضاه بما قضى	٢٠٠
من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه	٢٢٠
ن	
ناركم هذه؛ ما يوقد بنو آدم، جزء واحد من سبعين جزءًا من نار جهنم	٤٣
و	
والذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا	٤٣
والله لتموتُنَّ كما تنامون، ولتبعثُن كما تستيقظون، ولتحاسبُن بما تعملون،	١٢
ي	
يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار.	٤٢

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ٦

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٨

❖ **القضية المصيرية الكبرى لكل إنسان** ١٩

القضية المصيرية الأولى لكل إنسان: ماذا أنا؟ وما مصيري؟ ٢٠

❖ **إنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا** ٢٩

أهل الدين يدعون الناس إلى جنة الخلد ٣٠

ذكر ما لأدنى أهل الجنة فيها ٣٤

وصف درجات الجنة وغرفها وأنهارها ٣٥

فناء الدنيا ومتعها ٣٧

أهل الدين يدعون الناس إلى الفرار من عذاب جهنم الأبدي ٣٩

الاستعاذة بالله من النار ٤٠

الترهيب من النار ٤٢

شدة حرِّ النار وبُعد قعرها ٤٣

❖ **بقية الأسئلة الخالدة** ٤٧

الأسئلة الخالدة ٤٨

إلى أين المسير؟ ٥٥

لماذا خُلِق الإنسان؟ ٥٧

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

❖ **هل يعيش الإنسان بغير دين؟** **٦١**

❖ **وأي دين يرتضيه الإنسان لنفسه؟** **٦١**

إلغاء الدين من حياة الإنسان وفكره ووجدانه ٦٣

مناقشة الملحدين الذين ينكرون وجود الإله ٦٤

دلالة الفطرة السليمة ٦٨

دلالة الكون على الله ٧٠

الأدلة الكونية الأربعة ٧١

دليل الخلق ٧١

أسماء عدة لدليل الخلق ٧٤

دليل التسوية ٧٥

ما موقف الماديين أمام هذه الأدلة؟! ٨٤

زعم المصادفة ٨٥

الرد على دعوى المصادفة ٨٥

فكر في نهايتك إن كنت ذا دين ٩١

أمام الوثنية طريقان للتعامل مع الدين ٩٣

الأديان الكتابية ٩٤

أي دين من الأديان الكتابية نرتضيه؟ ٩٧

أولها: الديانة اليهودية **٩٧**

ثانيها: الديانة المسيحية **٩٨**

ثالثها: الديانة الإسلامية **٩٩**

❖ **الإنسان مخلوق مختار** **١٠٩**

دلالة الكون على الله ١٠٩

الإنسان مخلوق غير مستقِلٍّ ١١٠

QaradawiBooks.com

الإنسان مخيّر أم مسيّر.. بين الخير والشر؟ ١١٤
الرد على من يزعم أنه مخلوق للشر لا للخير ١١٦
من يزعم أنه مجبور من القدر الأعلى ١١٧
القدر لا يفرض سلوكًا معينًا على الإنسان ١١٨
الإنسان هو الذي يصنع مصيره بيده ١١٩
❖ **أعذار غير مقبولة ١٢٣**
الأصدقاء هم الذين ضلَّلوني ١٢٣
سبب شقاء الإنسان هو المرأة ١٢٥
سبب شقاء الإنسان هو الطوائف الأخرى المخالفة ١٢٧
من الناس من يرمي وزره كلَّه فوق ظهر إبليس ١٢٩
❖ **ماذا يقدم الدين الصحيح للإنسان؟ ١٣١**
الدين يحقق الأمن النفسي للإنسان ١٣٢
الغاية الأولى للإنسان: الربانية: أن يعيش لله وحده ١٣٣
من ثمرات هذه الربانية في النفس والحياة ١٣٦
أولًا: معرفة غاية الوجود الإنساني ١٣٦
ثانيًا: الاهتداء إلى الفطرة ١٣٧
ثالثًا: سلامة النفس من التمزُّق والصراع ١٤١
رابعًا: التحرر من العبودية للأنانية والشهوات ١٤٢
تفاوت الغايات والأهداف لدى الأفراد ١٤٥
الدين يرد الإنسان إلى فطرته، فيلتقي بعباد الله في التاريخ كله ١٥٣
النداء الأول في كل رسالة: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ ١٥٣
الجميع مأمورون بالعبادة ١٥٤

QaradawiBooks.com

❖ هل للدين مكان في عصر العلم؟ ١٥٧
حجة من يرفض الدين ١٥٧
الحضارة والعلم ١٥٨
موقف الإسلام من العلم ١٥٨
إضافات إسلامية مهمة لاستخدام العلم ١٦١
أثر العلم الإسلامي في الحضارة ١٦٣
الإسلام يوحِّد بين الدين والعلم ١٦٩
أين نشأت مشكلة التعارض بين الدين والعلم؟ ١٧٠
❖ الطب النفسي في موكب الإيمان ١٧٣
من الفلاسفة من يؤمن بأثر الإيمان وإن لم يؤمن بالله ١٨٢
الإيمان الذي نعنيه هو الإيمان القوي الدافق ١٨٣
أثر الإيمان والدين في بلادنا الإسلامية ١٨٤
أثر الإيمان في حياة الفرد ١٨٨
الإيمان وكرامة الإنسان ١٨٨
الإيمان والسعادة ١٩٠
لكن: أين السعادة؟ ١٩٠
السعادة في داخل الإنسان ١٩١
سكينة النفس ١٩٢
استجابة المؤمن لنداء الفطرة ١٩٣
اهتداء المؤمن إلى سر وجوده نجاة من عذاب الحيرة والشك ١٩٤
أنس المؤمن بالوجود كله ١٩٥
المؤمن يعيش في معية الله ١٩٦
المؤمن لا يعيش بين «لو» و«ليت» ١٩٨
الرضا ١٩٩

غير مرخص للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

المؤمن عميق الإحساس بنعم الله ٢٠١
المؤمن راض بما قدَّر الله عليه ٢٠٢
الأمن النفسي ٢٠٢
الإيمان مصدر الأمان ٢٠٣
المؤمن لا يخاف الموت ٢٠٤
الأمل ٢٠٥
الثبات في الشدائد ٢٠٧
الملحدون أشدُّ الناس جزعًا ٢٠٨
ثبات المؤمنين ومصدره ٢٠٨
الملحدون يعترفون بأثر الإيمان في الأزمات ٢١٠

❖ لماذا أنتم مسلمون؟ ٢١١

العقيدة ٢١٣
الزكاة ٢١٥
الحج ٢١٧
علاقة المسلم بربه ٢١٨
الصوم ٢٢٠
الذكر ٢٢٠
الارتباط الأسري ٢٢٤
رجال ونساء أسلموا يتحدثون عمَّا أعجبهم في الإسلام ٢٢٤

١ ـ القرآن ٢٢٥
٢ ـ دين الفطرة ٢٢٧
٣ ـ الانتماء إلى أصل واحد ٢٢٧
٤ ـ الأخوة الإسلامية ٢٢٨
٥ ـ دين يحترم العقل ٢٣٠

QaradawiBooks.com

٦ ـ سماحة الإسلام مع الأديان الأخرى ٢٣١
٧ ـ دين النظافة والطهارة ٢٣١
٨ ـ دين الاعتدال والتيسير ٢٣٢
٩ ـ دين المساواة بين الناس جميعًا ٢٣٣
١٠ ـ الصلة بين العبد وربه مباشرة ٢٣٤
١١ ـ دين الإسلام شامل ٢٣٥
١٢ ـ دين يوازن بين متطلبات الروح وحاجات الجسد ٢٣٥
❖ فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٢٤١
❖ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٢٥٥
❖ فهرس الموضوعات ٢٥٩

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com